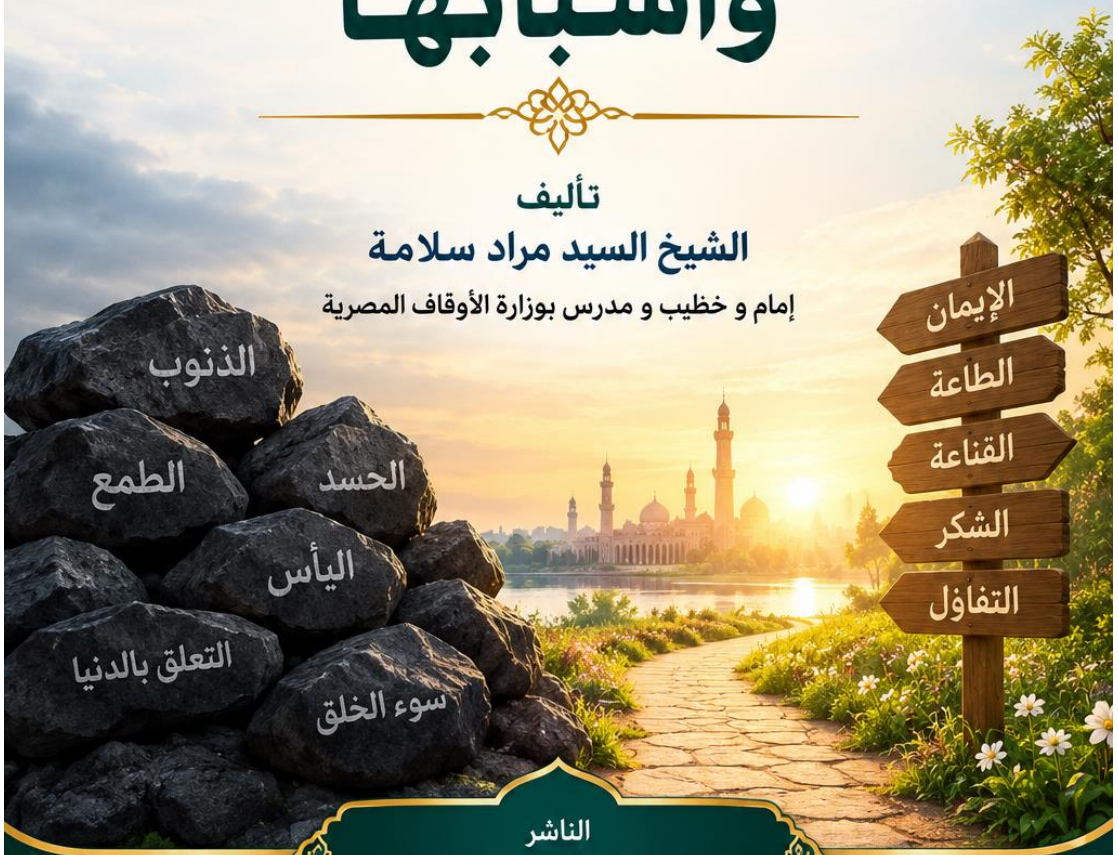
سلسلة الموانع
(5)

موانع السعادة وأسبابها

تأليف
الشيخ السيد مراد سلامة
إمام و خطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية



الناشر
المكتبة المرادية الإلكترونية

سلسلة الموانع
(5)

موانع السَّعَادَة وأسبابها

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام و خطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية

الناشر

المكتبة المرادية الإلكترونية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في الإيمان طمأنينة القلوب، وفي ذكره أنس النفوس، وفي طاعته صلاح الأحوال، والعمل الصالح سبيلًا إلى الحياة الطيبة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أرشد أمته إلى مكارم الأخلاق، ودلَّها على طرق الخير والفلاح، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن السعادة مطلب إنساني عظيم، وغاية يسعى إليها الناس على اختلاف أحوالهم وتباين ظروفهم، يبذلون في سبيلها الأموال والجهود، ويأملون أن يجدوا فيها راحة النفس وطمأنينة القلب واستقرار الحياة .غير أن كثيرًا من الناس يخطئون الطريق إليها، فيظنون أنها في كثرة المال، أو بلوغ المناصب، أو نيل الشهرة، أو كثرة الأبناء، وينسون أن هذه النعم، على عظيم قدرها، لا تكفي وحدها لتحقيق السعادة ما لم يصحبها إيمان يطمئن به القلب، ورضا تسكن به النفس، وعمل صالح تستقيم به الحياة.

وقد بيَّن الله تعالى أن الحياة الطيبة ثمرة الإيمان والعمل الصالح، فقال سبحانه :﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾]النحل .[٩٧ :فالسعادة الحقيقية ليست في خلو الحياة من المشكلات والابتلاءات، وإنما في امتلاك الإيمان الذي يعين الإنسان على مواجهتها، والرضا الذي يخفف عنه مشقة التعلق بما فاته، واليقين الذي يفتح أمامه أبواب الأمل والرجاء.

وإذا كانت السعادة غاية ينشدها الإنسان، فإن هناك موانع كثيرة تحول بينه وبينها، بعضها يتعلق بعقيدته وقلبه، كضعف الإيمان والذنوب والحسد والكبر واليأس، وبعضها يرتبط بسلوكه وأخلاقه، كالظلم والعقوق وقطيعة الرحم وسوء الظن والخصام، وبعضها ينشأ من أحواله النفسية والدنيوية، كالطمع والجشع وعدم الرضا وكثرة الهموم والتعلق بالدنيا والحقد والغل.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب »موانع السعادة وأسبابها«؛ ليجمع بين بيان حقيقة السعادة في الإسلام، والكشف عن الأوهام التي يظنها بعض الناس طريقًا إليها، والتعريف بأهم الموانع التي تفسدها، ثم بيان الأسباب والمفاتيح التي تعين الإنسان على تحصيلها والمحافظة عليها.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة:

✍**الباب الأول :مفهوم السعادة في الإسلام،** وفيه بيان تعريف السعادة عند القدماء، والتمييز بينها وبين اللذة والراحة، وتصحيح بعض التصورات الخاطئة المتعلقة بالمال والمنصب والشهرة وكثرة الأبناء.

✍**الباب الثاني :موانع السعادة،** وفيه تناول الموانع المتعلقة بالعقيدة والقلب، والموانع المرتبطة بالسلوك والأخلاق، والموانع النفسية والدنيوية التي تحرم الإنسان من صفاء النفس وراحة البال.

✍**الباب الثالث :مفاتيح السعادة،** وفيه بيان أسباب السعادة في العقيدة والعبادة، وأسبابها في القلب والنفس، ثم دور الأسرة والعلاقات الإنسانية، من بر الوالدين وصلة الرحم والصحبة الصالحة والإحسان إلى الناس، إلى استثمار الوقت وتحقيق التوازن بين حاجات الروح والجسد.

وقد حرصت في هذا العمل على الاسترشاد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وربط المعاني الإيمانية والأخلاقية بواقع الحياة، رجاء أن يجد القارئ فيه ما يعينه على فهم نفسه، ومراجعة سلوكه، والتخلص من أسباب الشقاء، والأخذ بمفاتيح السعادة.

وإن من أهم ما أردت التأكيد عليه أن السعادة لا تتحقق بمجرد امتلاك المزيد من متاع الدنيا، بل تبدأ بإصلاح القلب، وتقوية الصلة بالله، والتحلي بالقناعة والشكر، والعفو والتسامح، وحسن الظن، والإحسان إلى الخلق .فربما كانت بداية السعادة توبة صادقة، أو قلبًا يتخلص من الحسد، أو خصومة تنتهي بالعفو، أو رحمًا توصل بعد قطيعة، أو نعمة يستشعر الإنسان قيمتها بعد طول غفلة.

وختامًا، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، وأن يرزقنا قلوبًا سليمة، ونفوسًا مطمئنة، وأخلاقًا فاضلة، وأن يعيننا على اجتناب ما يفسد سعادتنا، والأخذ بما يصلح ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا من أهل الحياة الطيبة في الدنيا والفوز العظيم في الآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بالأوقاف المصرية

الباب الأول مفهوم السعادة في الإسلام

وفيه

الفصل الأول: تعريف السعادة

الفصل الثاني: السعادة بين الوهم والحقيقة

الفصل الثالث: أوهام السعادة

الفصل الأول تعريف السعادة

السعادة أ-السعــادة لغة : تشتق كلمة السعادة من فعل سعد وأسعد ، ومن توابعها المعجمية السعد والسعودة والسعود. ومن ثم ، فكلمة :" السعد كما يقول ابن منظور – (سعد) السَّعْد اليُمْن وهو نقيض النَّحْس والسُّعودة خلاف النحوسة والسعادة خلاف الشقاوة يقال يوم سَعْد ويوم نحس وجمعه سُعود ... و سَعِدَ يَسْعَدُ سَعْداً وسَعادَة فهو سعيد نقيض شَقى مثل سَلِم فهو سَليم وسُعْد بالضم فهو مسعود والجمع سُعداء والأُنثى بالهاء قال الأَزهري وجائز أَن يكون سعيد بمعنى مسعود من سَعَده الله ويجوز أَن يكون من سَعِد يَسْعَد فهو سعيد وقد سعَده الله وأَسعده وسَعِد يَسْعَد فهو سعيد وقد سَعده الله وأَسعده وسَعِد جَدُّه وأَسَعده أَنماه ويومٌ سَعْد وكوكبٌ سعد وُصِفا بالمصدر وحكى ابن جني يومٌ سَعْد وليلةٌ سعدة)([1]) .

ونفهم من هذه الدلالات اللغوية أن السعادة نقيض الشقاء والبؤس والنحس، وأنها بمعنى الرضى والبركة والخير والنماء واليمن والارتواء والإشباع، وتحيل كذلك على المساعدة والعمل والأساس والتعاون. وبهذا، تكون السعادة هي تحقيق اللذة والخير عن طريق التدبير والعمل المثمر والتعاون الجماعي.

ب- السعــادة اصطلاحا:

السعادة في الإسلام جاءت في الكتاب والسنة بألفاظ وتعابير متعددة، فقد جاءت باسم) الحياة الطيبة)، كما قال – تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

[1] – لسان العرب – (ج ٣ / ص ٢١٣)

يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة هي السعادة، وتحققت بالإيمان، والعمل الصالح، والحياة الدنيا حتى مع الإيمان والعمل الصالح لن تخلو من المكدرات والمنغصات أبداً، فهي دار كبد، كما قال – تعالى–: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" [البلد:٤]، وهي دار اختبار وابتلاء، " ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]] أي: نختبره، وقال – تعالى" :- ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]

كما جاء التعبير عن السعادة بنفي الشقاء، والضلال، وبذكر مقابلها، وهو الضنك، قال – تعالى–: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] فالشقاء الذي هو ضد السعادة مقرون بالإعراض عن ذكر الله، واتباع هدى الله هو سبيل البعد عن الشقاء، وتحقيق السعادة .

كما جاء التعبير عن السعادة بانشراح الصدر، قال – تعالى–: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وجاء التعبير عنها بطمأنينة القلب، قال – تعالى–: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فطمأنينة القلب، وانشراح الصدر كلها من السعادة، وتتحقق بذكر الله، والاهتداء للإسلام .

والسعادة التامة الكاملة هي في تحقيق العبودية لله، والنجاة من النار في الآخرة، ودخول الجنة، قال – تعالى–: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) ✷ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا

﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨]

وقد يبتلى المؤمن بالمصائب والأمراض، ويُعطى الصبر والاحتساب، فيكون ذلك خيراً له.

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ خَيْرًا» "(١) .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مِنَ الْيَقِينِ أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَلُومَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهَةُ كَارِهٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»(٢)

. أسأل الله أن يجعلنا جميعـًا من السعداء، وصلى الله على نبينا محمد وآله.

السعادة هي الرضا بالله والقناعة بالمقسوم والثقة بالله واستمداد المعونة منه، من ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله ﷺ: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً)) رواه مسلم.(٣)

السعادة هي الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً، وإتباع هذا الرضا بركعات وسجدات وخضوع وتسليم لله.

---

١ – وأخرجه البخاري في الإيمان "١٩"، وفي الزكاة، ومسلم في الإيمان والزكاة، وأبو داود في السنة، والنسائي في الإيمان، وأحمد "١/ ١٧٦"

٢ – «صفة الصفوة» (١/ ١٥٦)

٣ – أخرجه مسلم (٣٤). وهو في "المسند" (١٧٧٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٦٩٤).

السعادة والفلاح ـ عباد الله ـ في الإسلام الذي هو الاستسلام الكامل لله جل وعلا والخضوع له والخلوص له من الشرك والأنداد والخروج عن داعية الهوى إلى داعية الرحمن، { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧].

السعيد من سعد بطاعة الله، والشقي من شقي بمعصيته لله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) ✷ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨] هذا هو مفهوم السعادة و الشقاوة في مفهوم الإسلام من خلال كتاب الرحمن و سنة النبي العدنان

تعريفات السعادة عند القدماء:

اختلف الفلاسفة وعلماء النفس قديماً وحديثاً حول ماهية السعادة وكيفية تحصيلها واختلفوا في البداية حول تعريفها :

فأما أفلاطون فاعتبر السعادة هي فضائل النفس (الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة) واعتبر أن الإنسان لا يسعد السعادة الكاملة إلا بعودة روحه إلى العالم الآخر.

ما أرسطو فاعتبر السعادة هبة من الله وهي تتكون من خمسة أبعاد:

١-... صحة البدن وسلامة الحواس.

٢-... الحصول على الثروة وحسن استخدامها.

٣-... النجاح في العمل وتحقيق الطموحات.

٤-... سلامة العقل وصحة الاعتقاد.

٥-... السمعة الطيبة والاستحسان من الناس. (١)

وفي علم النفس يمكن فهم السعادة بوصفها انعكاسا لدرجة الرضا عن الحياة .. أو بوصفه انعكاساً لمعدلات تكرار حدوث الانفعالات السارة (٢)

✍من الناحية الانفعالية .. السعادة هي الشعور باعتدال المزاج .. ومن الناحية المعرفية التأملية .. السعادة هي الشعور بالرضا والإشباع .. وطمأنينة النفس .. وتحقيق الذات .. والشعور بالبهجة واللذة والاستمتاع ..إذا فهناك عامل مشترك بين الناحيتين .. وهو : الشعور بالرضا الشامل .. والذي من الممكن تقسيمه إلى الرضا عن جوانب معينة ..مثل : العمل..الزواج.. الصحة ..القدرات الذاتية ..وتحقيق الذات .. والملاحظة المهمة هنا هي أن السعادة ليست نقيضة للتعاسة ..بل هما بعدين مستقلين عن بعضهما استقلالا تاما .. وان كان المرء لا يمكن أن يشعر بالسعادة و التعاسة في آن واحد .. وتأكد أيضا أن الأفراد الذين يشعرون بشدة السعادة .. هم أنفسهم الذين يعيشون التعاسة بشدة أيضا(٣)

---

١ -.(علم النفس في الحديث الشريف ص١٧٧).

٢ -حقيقة السعادة – المجلد ١ – الصفحة ٥

٣ – سيكولوجية السعادة – المجلد ١ – الصفحة ١ – جامع الكتب الإسلامية المؤلف مايكل أرجا يل ، ترجمة : فيصل عبد القادر

الفصل الثاني: السعادة بين الوهم والحقيقة

فإن البحث عن السعادة هو الهاجس الأكبر الذي طالما شغل الفكر الإنساني عبر العصور، واختلفت في سبيله السبل، وتعددت دونه الغايات. فما من إنسان على وجه الأرض إلا وهو يرجو أن يظفر بها، ويسعى بجهده وطاقته للوصول إليها، غير أن الطريق إليها قد تبدو ملتبسة في أزمنة الفتن وتزاحم الماديّات، حيث تتشابه العلامات وتتداخل المفاهيم.

وفي غمرة هذا الصخب، يبرز التساؤل الجوهري: أين تكمن السعادة الحقيقية؟ هل هي في كنز المال وزخرف الحياة، أم في راحة البال وطمأنينة اليقين؟ وهل ما يعده الناس سعادةً هو في حقيقته نعيمٌ مقيم، أم هو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئـًا؟

لقد انخدع الكثيرون بالبريق الزائف والمظاهر الخادعة، فابتغوا السعادة في غير مظانها، وظنوا أن ارتقاء درجات المجد الدنيوي، أو تكديس حطام الفناء، كفيلٌ بملء فراغ القلوب وتحقيق الرضا المنشود؛ فإذا بهم يقفون على أطلال وهمٍ كبير، لم يزدادوا فيه إلا شقاءً وتخبطـًا. وفي المقابل، دلّت شرائع السماء وهدي الحكماء على أن السعادة الحقيقية ليست عرضـًا زاهداً يحُتاز بالقوة أو المال، بل هي ثمرة إيمان راسخ، وقلب طاهر، ونفس آرضية بقضاء الله، وعمل صالح يبتغي وجهه الكريم.

يأتي هذا الفصل ليضع النقاط على الحروف، ويبدد غيوم الوهم التي تحجب الرؤية، مُميزاً بين السعادة المزعومة التي تذوب كذرات الثلج أمام هبوب الابتلاءات، والسعادة الحقيقية الباقية التي لا تزول بزوال النعم الدنيوية؛ لعلنا

نضع أقدامنا على الجادة الصحيحة، ونلتمس النور الذي يهدي السائرين إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

هل السعادة هي اللذة؟

أخي القارئ: يُعدّ السؤال عن طبيعة السعادة من أقدم الأسئلة التي شغلت الفكر الإنساني، وأكثرها حضورًا في الفلسفة والدين وعلم النفس. فمنذ اليونان القديمة وحتى يومنا هذا، اختلف المفكرون حول ماهية السعادة: هل هي شعور باللذة والمتعة؟ أم هي حالة أعمق تتعلق بالفضيلة والمعنى وازدهار الإنسان؟ اللذة ظاهرة واضحة يشعر بها الإنسان مباشرة، أما السعادة فكثيرًا ما تبدو أوسع وأعقد. فقد يجد المرء نفسه في لحظات مليئة باللذة دون أن يشعر بأنه سعيد حقًا، وقد يتحمل الألم والصعوبة وهو يشعر بسعادة عميقة لأنه يعيش وفق ما يؤمن به.

هذا التوتر بين «اللذة» و«السعادة» هو ما دفع الفلاسفة إلى تقديم إجابات متباينة. فبعضهم رأى أن السعادة ليست سوى اللذة المنظمة، وآخرون رأوا أنها شيء يتجاوز اللذة ويتعلق بحياة الإنسان ككل.

فيما يلي عرض لأبرز هذه الآراء، مع ذكر مصادرها في نهاية كل رأي.

الراي الأول: الرأي القائل بأن السعادة هي اللذة (الهيدونية)

يرى أنصار هذا الاتجاه أن السعادة في جوهرها هي اللذة أو غياب الألم.

- عند أبيقور :اللذة الحقيقية ليست المتعة الحسية الجامحة، بل حالة السكينة وخلو الجسد من الألم والنفس من الاضطراب.

- عند جيرمي بنثام :السعادة تُقاس بكمية اللذة، وكل فعل يُقيَّم بقدر ما ينتج من لذة أو يقلل من ألم.
- عند جون ستيوارت ميل :هناك فرق بين اللذات الأعلى (الفكرية والأخلاقية) واللذات الأدنى (الحسية)، والسعادة الحقيقية تميل إلى اللذات الأعلى. (١)

الرأي الثاني: الرأي القائل بأن السعادة هي الازدهار والفضيلة (أرسطو)

يرى أرسطو أن السعادة الحقيقية ليست مجرد شعور باللذة، بل هي نشاط النفس وفقًا للفضيلة على مدى حياة كاملة.

اللذة تصاحب هذا النشاط غالبًا، لكنها ليست جوهر السعادة. الإنسان الفاضل قد يتحمل الألم إذا كان ذلك يحقق الخير الأعلى (٢).

الرأي الثالث: الرأي الرواقي: السعادة هي الفضيلة والعيش وفق العقل

يرى الرواقيون أن السعادة تكمن في العيش وفقًا للطبيعة والعقل والفضيلة.

اللذة والألم أمور خارجية لا ينبغي أن نعتمد عليها في تعريف السعادة، لأنهما ليسا تحت سيطرتنا الكاملة. (٣)

الرأي الرابع: الرأي المعاصر في علم النفس الإيجابي: تفصل الأبحاث الحديثة بين المتعة الإيجابية وبين عناصر أخرى ضرورية للسعادة المستدامة،

---

١ – أبيقور: رسالة إلى مينيقيوس والمبادئ الرئيسية. جيرمي بنثام: مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع (١٧٨٩). جون ستيوارت ميل: النفعية (١٨٦٣).

٢ –أرسطو: الأخلاق إلى نيقوماخوس (الكتاب الأول والكتاب العاشر خاصةً).

٣ –إبكتيتوس: المختصر (Enchiridion) والمحادثات. ماركوس أوريليوس: التأملات. سينيكا: الرسائل الأخلاقية إلى لوكيليوس.

مثل الاندماج، والعلاقات، والمعنى، والإنجاز. اللذة مهمة لكنها غير كافية وحدها. (١)

الرأي الخامس راي وموقف الإسلام من السعادة هل هي اللذة أم لا؟

بعد أن استعرضنا أبرز التصورات الفلسفية حول علاقة السعادة باللذة، ينتقل البحث إلى المنظور الإسلامي، الذي يقدّم رؤية متميزة تجمع بين البعد الروحي والإيماني وبين الواقع الدنيوي.

ففي الإسلام لا تُختزل السعادة في مجرد الشعور باللذة الحسية أو المتعة العابرة، بل تُربط بقضية أكبر تتعلق بطمأنينة القلب، ورضا العبد عن ربه، والفوز في الدنيا والآخرة. ومن هنا كان لا بد من بيان الفرق بين اللذة والسعادة في ضوء نصوص القرآن والسنة وأقوال أهل العلم، حتى يتضح مدى الاتفاق أو الاختلاف مع التصورات الفلسفية السابقة.

يميز الإسلام تمييزًا واضحًا بين **اللذة** (خصوصًا الدنيوية الحسية) وبين **السعادة الحقيقية** .فاللذة قد تكون مؤقتة ومشتركة بين المؤمن والكافر، بل قد تكون سببًا في الشقاء إن أدت إلى المعصية أو الغفلة. أما السعادة الحقيقية فهي سعادة القلب والروح، المرتبطة بالإيمان والرضا بقضاء الله، وتنال كمالها في الآخرة.

السعادة الحقيقية في الإسلام

السعادة في المنظور الإسلامي هي:

- طمأنينة القلب وسكينته.
- الرضا بما قسمه الله.

---

١ – مارتن سيليغمان: السعادة الحقيقية (Authentic Happiness، ٢٠٠٢) والازدهار (Flourish، ٢٠١١) – وفيه شرح نموذج PERMA

- الفوز برضا الله والجنة.

وهي ليست مجرد شعور باللذة الحسية، وإن كانت اللذات المباحة جزءًا من نعم الله التي يُشكر عليها.

قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨] فجعل طمأنينة القلب (وهي جوهر السعادة) مرتبطة بذكر الله، لا باللذات الحسية.

وقال تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] وفسّر كثير من العلماء «الحياة الطيبة» بالسعادة والرضا والقناعة في الدنيا، مع الفوز في الآخرة.

وقال تعالى عن حال أهل الجنة:﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾]الزخرف: ٧١] فاللذة الكاملة الدائمة تكون في الآخرة، أما لذات الدنيا فناقصة وزائلة.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (١)

فالمؤمن قد يعاني نقصًا في اللذات الدنيوية، ومع ذلك هو أسعد حالًا من الكافر الذي ينال كثيرًا من اللذات.

وعن عُبَيْدِ اللهِ بن محصَن الخَطمي رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال :"من أصبح [منكم] آمنًا في سِربِه، معافى في جسده، عنده قوت يومِه؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها".(٢)

---

١ – «مسند أحمد» (١٤/ ٤٤ ط الرسالة) «وأخرجه مسلم (٢٩٥٦) (١)، وابن ماجه (٤١١٣)، والترمذي (٢٣٢٤)، وابن أبي عاصم في "الزهد" (١٤٢)، وأبو يعلى (٦٤٦٥) و (٦٥٢٦)»

٢ – «جامع الأصول» (١٠/ ١٣٦): «البخاري في " الأدب المفرد " رقم (٣٠٠) باب من أصبح آمناً في سربه، وابن ماجة رقم (٤١٤١)»

فجعل السعادة في الأمن والصحة والكفاف، لا في كثرة اللذات والرفاهية.

عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا". "»(١)

وكان النبي ﷺ يستعيذ من «نفس لا تشبع»، مما يدل على أن طلب اللذة بلا حدود ليس طريق السعادة.

أقوال أهل العلم:

الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين :فرّق بين لذات البدن ولذات القلب، وجعل سعادة القلب في معرفة الله ومحبته، وهي أعلى وأدوم من اللذات الحسية.

ابن تيمية وابن القيم :أكدا أن أعظم أنواع النعيم هو نعيم القلب بمعرفة الله ومحبته والأنس به، وأن اللذات الحسية ناقصة ومشوبة بالآلام.

ابن القيم في مدارج السالكين» :السعادة تدور مع الإيمان والطاعة وجودًا وعدمًا.«

خلاصة:

* اللذة الدنيوية مباحة ومطلوبة باعتدال إذا كانت في حدود الشرع.
* لكنها ليست السعادة، بل قد تكون وسيلة إليها أو عائقًا عنها.
* السعادة الحقيقية تبدأ بطمأنينة القلب في الدنيا، وتكتمل بالفوز برضا الله والجنة في الآخرة.

المبحث الثاني

---

١ – أخرجه أحمد (٤/٣٧١، رقم ١٩٣٢٧)، وعبد بن حميد (ص ١١٤، رقم ٢٦٧)، ومسلم (٤/٢٠٨٨، رقم ٢٧٢٢) والنسائي (٨/٢٦٠، رقم ٥٤٥٨)، والطبراني (٥/٢٠١، رقم ٥٠٨٦) .

هل الراحة هي السعادة؟

الراحة جزء من السعادة أو نتيجة لها في كثير من الأحيان، لكنها ليست هي السعادة نفسها.

✍أولا: في التصور الفلسفي:

*عند أرسطو: السعادة هي نشاط وازدهار وفق الفضيلة، وليست مجرد راحة أو سكون. بل إن الإنسان الفاضل قد يبذل جهدًا كبيرًا ويتحمل التعب في سبيل الخير، ومع ذلك يكون سعيدًا.

* عند الرواقيين: السعادة هي العيش وفق العقل والفضيلة، بغض النظر عن الراحة الجسدية أو الظروف الخارجية. الراحة ليست هدفًا بحد ذاتها. (١)

*عند الهيدونيين (مثل أبيقور): السعادة قريبة من حالة السكينة وغياب الألم، أي نوع من «الراحة» النفسية والجسدية. لكن حتى هنا، الراحة ليست مجرد كسل، بل حالة إيجابية من الطمأنينة (٢).

✍ثانيا: في المنظور الإسلامي:

يميّز الإسلام بين **الراحة الجسدية المؤقتة** وبين **السعادة الحقيقية**)طمأنينة القلب ورضا الله.....

الراحة الجسدية نعمة من نعم الله، وقد تكون ثمرة للإيمان والعمل الصالح، لكنها ليست جوهر السعادة. فقد يكون الإنسان مرتاحًا في بدنه وهو شقي في قلبه، وقد يكون متعبًا في دنياه وهو سعيد بقلبه.

السعادة الحقيقية مرتبطة بطمأنينة القلب بذكر الله، والرضا بقضاء الله، والفوز

---

١ – المصدر: إبكتيتوس، المختصر (Enchiridion). ماركوس أوريليوس، التأملات.

٢ – المصدر: أبيقور، رسالة إلى مينيقيوس.

في الآخرة.

قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

المؤمن قد لا ينال كامل الراحة الدنيوية، ومع ذلك هو في سعادة إيمانية.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (١)

كان النبي ﷺ يتعب في العبادة والجهاد والدعوة، ومع ذلك كان أسعد الناس قلبًا.

ابن القيم: السعادة تدور مع الإيمان والطاعة، وأما الراحة الدنيوية فقد ينالها البر والفاجر.

الخلاصة: الراحة قد تكون مظهرًا من مظاهر السعادة أو ثمرة لها، أما السعادة نفسها فهي أعمق، وتتعلق بحالة القلب وعلاقته بالله في المنظور الإسلامي، وبحياة الفضيلة والمعنى في كثير من التصورات الفلسفية.

وتلك المشقة التي يكابدها العلماء وطلاب العلم أثناء التحصيل العلمي تضفي عليهم السعادة وترفعهم إلى مراتب من النشوة عالية على الرغم مما يعانونه من مشاق كبيرة ولهذا يشير الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طربا لحل عويصة أشهى من الدوكاه والعشاق

وألذّ من نقر الفتاة لدفها نقري لألقي الرمل عن أوراق

أأبيت سهران الدجى وتبيتُه نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي

---

١ – «مسند أحمد» (١٤/ ٤٤ ط الرسالة) «وأخرجه مسلم (٢٩٥٦) (١)، وابن ماجه (٤١١٣)، والترمذي (٢٣٢٤)، وابن أبي عاصم في "الزهد" (١٤٢)، وأبو يعلى (٦٤٦٥) و (٦٥٢٦)»

قال ابن القيم-رحمه الله-فالمكارم منوطة بالمكارة والسعادة لَا يعبر إليها إلا على جسر الْمَشَقَّة فَلَا تقطع مسافتها إلا فِي سفينة الْجد وَالِاجْتِهَاد قَالَ مُسلم فِي صَحِيحه قَالَ يحيى بن أبي كثير لا ينال الْعلم براحة الْجِسْم وَقد قيل من طلب الرَّاحَة ترك الرَّاحَة

فيا وصل الحبيب أما إليه بِغَيْر مشقة أبدا طَرِيق

وَلَوْلَا جهل الأكثرين بحلاوة هَذِه اللَّذَّة وَعظم قدرهَا لتجالدوا عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ وَلَكِن حفت بحجاب من المكاره وحجبوا عَنْهَا بحجاب من الْجَهْل ليختص الله لَهَا من يَشَاء من عباده وَالله ذُو الْفضل الْعَظِيم (١)

وقال أيضا-رحمه الله-فللَّه سبحانه من الحِكَم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصرُ عقولُ العالمين عن معرفته، وهل وَصَل من وَصَل إلى الغايات المحمودة والنِّهايات الفاضلة إلا على جِسْر المحنة والابتلاء؟ !

كذا المعالي إذا ما رُمْتَ تُدْرِكُها فاعبُر إليها على جِسْرٍ من التَّعبِ (٢)

الفصل الثالث

أوهام السعادة

---

١ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٠٩)

٢ – مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (٢/ ٨٥٢)

بعد أن تبين فيما سبق أن السعادة الحقيقية لا تُختزل في اللذة ولا في مجرد الراحة، يأتي هذا الفصل ليكشف عن جملة من الأوهام الشائعة التي يتعلق بها كثير من الناس بحثًا عن السعادة، ظانّين أنها كامنة في أمور خارجية زائلة.

فقد جرت عادة البشر أن يربطوا سعادتهم بما يملكون أو بما يبلغون من منزلة أو شهرة أو نسل، حتى إذا حصلوا على ذلك وجدوا أنفسهم أمام فراغ جديد، أو أدركوا أن ما ظنوه سعادة لم يكن إلا سرابًا.

ومن هنا كان لا بد من بيان أن السعادة ليست في المال، ولا في المنصب، ولا في الشهرة، ولا في كثرة الأبناء، وأن هذه الأمور وإن كانت من نعم الله التي يُفرح بها ويُشكر عليها، إلا أنها لا تصلح أن تكون مصدرًا حقيقيًا للسعادة ولا غاية تُطلب لذاتها.

المبحث الأول

السعادة ليست في المال

من أكثر الأوهام شيوعًا في طلب السعادة ظنُّ كثير من الناس أن السعادة كامنة في كثرة المال ووفرة الرزق. فيسعى الإنسان لجمع الثروة ظانًّا أنه كلما امتلأت خزائنه ازدادت سعادته، حتى إذا حصل على ما أراد وجد أن القلق لم يفارقه، وأن قلبه لم يطمئن، وأن حاجاته تزايدت بدل أن تنقص.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم

بين القرآن أن المال زينة الحياة الدنيا، وليس مصدر السعادة الحقيقية.

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٦]

وقال تعالى محذرًا من الاغترار بكثرة المال: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]

كما بيّن أن المال قد يكون فتنة: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية

قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» (رواه البخاري ومسلم).

وقال ﷺ: «من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة» (رواه الترمذي وابن ماجه، وحسّنه الألباني).

وكان النبي ﷺ يستعيذ من فقر النفس، لا من قلة المال فقط، مما يدل على أن السعادة مرتبطة بغنى القلب لا بكثرة المال.

ثالثًا: من أقوال أهل العلم

قال ابن القيم: «الغنى الحقيقي هو غنى القلب، وأما غنى المال فقد يجتمع مع الفقر الباطني، فيكون صاحبه من أفقر الناس»

وقال الغزالي: إن المال مطلوب لغيره لا لذاته، ومن طلبه لذاته فقد ضل عن طريق السعادة.

رابعًا: الواقع المشاهد يشهد الواقع أن كثيرًا من الأغنياء يعانون القلق والاكتئاب والانتحار أكثر مما يعانيه غيرهم في بعض الأحيان، مما يؤكد أن المال وحده لا

يصنع سعادة. بل قد يكون المال سببًا في زيادة الهموم والمسؤوليات والمخاوف على فقده.

المال نعمة من نعم الله إذا أُحسن استخدامه، وهو وسيلة تُعين على طاعة الله ونفع الخلق، لكنه ليس مصدر السعادة ولا غايتها.

فالسعادة الحقيقية في غنى النفس وطمأنينة القلب ورضا الرب، لا في كثرة ما يُجمع من عرض الدنيا.

فالمال قد يشتري الراحة، لكنه لا يشتري الطمأنينة، وقد يوفر أسباب المتعة، لكنه لا يضمن السعادة. والسعيد هو من ملك المال ولم يملكه المال، واستعمل الدنيا ولم تجعل الدنيا غايته.

يقول الدكتور ناصر العمر: " فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة دائمة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة لماذا؟ لأنهم يتعبون في:

١ -جمع المال.

٢ -حفظه واستثماره.

٣ -القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله.

كم من إنسان يملك المليارات ولكنه خائف! قلق! لماذا كل هذا الخوف!؟ ولم كل هذا القلق!؟

إنه يخاف على هذا المال، يخاف أن تأتي هزة سياسية، أو يأتي لصوص فيسرقون هذا المال.

إذن، هو يعيش في شقاء، خوف، قلق، هم، غم، بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب، مشاهد، ترونه بأعينكم، بل قد يكون المال سبب هلاكه ومماته!!

كم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته.

بل كم من غني حرم من لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقا، لا يمشي حرا، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله!!

ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وزالت ثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء.

✍وإليكم هذه النماذج الناطقة:

✍**قصة قارون**: تلك القصة التي أوردها القرآن الكريم عن قارون، حيث قال -سبحانه وتعالى-: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" (القصص: من الآية ٧٩) في قمة سعادته، حتى إن قائلهم يقول: "إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (القصص: من الآية ٧٩). خرج في زينته فهو ذو حظ عظيم، كل هذا من أوهام السعادة، والنتيجة لكفره بأنعم الله كما يقول الله -سبحانه وتعالى-: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص:٨١). أي سعادة هذه وأي نهاية!؟

وعلى هذا فقول أمية بن خلف، وأمثاله - يوم القيامة - "مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ" (الحاقة:٢٨) لم يأت من فراغ.

فبئس المال الذي لا يغني عن صاحبه شيئا.

✍قصة كرستينا أوناسيس:

تلك القصة العجيبة، التي تؤكد أن المال مهما زاد وكثر، لا يمكن أن يكون -وحده -سببا للسعادة.

قصة عجيبة تابعت فصولها على مدى خمسة عشر عاما، أو تزيد، وانتهى آخر فصل منها منذ أشهر فقط، إنها قصة: كرستينا أوناسيس.

وبما أن الله -سبحانه وتعالى-قد ضرب لنا الأمثلة من الكفار، فلا غرو ولا عجب - بل إن ذلك من ضمن المنهج الإلهي القرآني - أن نضرب لكم مثلا - حتى باسم هذه المرأة.

إليكم قصة هذه المرأة "كرستينا أوناسيس" تلك الفتاة اليونانية، ابنة المليونير المالي المشهور "أوناسيس" ذلك الذي يملك المليارات، يملك الجزر، يملك الأساطيل.

هذه الفتاة مات أبوها، وقبل ذلك ماتت أمها، وبينهما مات أخوها، وبقيت هي الوريثة الوحيدة -مع زوجة أبيها -لهذه الثروات الطائلة.

أتدري -أيها القارئ الكريم -كم ورثت؟

لقد ورثت من أبيها ما يزيد على خمسة آلاف مليون ريال!!! فتاة تملك أسطولا بحريا ضخما!! تملك جزرا كاملة!!! تملك شركات طيران!!

أخي الكريم: امرأة تملك أكثر من خمسة آلاف مليون ريال، بقصورها وسفنها، وطائراتها، أليست -في مقاييس كثير من الناس -أسعد امرأة في العالم؟؟

كم من إنسان يتمنى أن يكون مثل هذه المرأة!! أنت تعلم أنه لو وزعت ثرواتها على مئة فرد، لأصبحوا من كبار الأثرياء، بحيث يصل كل واحد منهم خمسون مليون ريال!!! فهو - إذن - من كبار الأثرياء، فما بالك بامرأة تملك هذه الثروة؟ السؤال هو: هل هذه المرأة سعيدة؟

إليكم فصول قصتها العجيبة، وسيتبين لكم من خلالها الجواب:

أما أمها: فقد ماتت بعد حياة مأساوية، كان آخر فصولها الطلاق.

وأما أخوها: فقد هلك بعدما سقطت به طائرته، التي كان يلعب بها.

وأما أبوها: فقد اختلف مع زوجته الجديدة التي هي "جاكلين كندي" زوجة الرئيس الأمريكي السابق "كندي"، تلك الزوجة التي تزوجها بملايين الدولارات، يبحث عن الشهرة فقط، ليقال: إنه تزوج بزوجة الرئيس الأمريكي "جون كندي".

ومع ذلك فقد عاش معها في شقاء دائم.

تصور أن من بنود عقد الزواج: ألا تنام معه في فراش، وألا يسيطر عليها، وأن ينفق عليها الملايين -حسب رغبتها -.

ومع ذلك فقد اختلفت معه، وعندما مات، اختلفت مع ابنته.

وخلاصة القول: أن هذه الفتاة كانت قد تزوجت في حياة أبيها -برجل أمريكي، وعاش معها شهورا، ثم طلقها -أو طلقته -.

وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل آخر يوناني، وعاش معها شهورا ثم طلقها -أو طلقته -.

ثم انتظرت طويلا تبحث عن السعادة. أتعلمون من تزوجت؟

للمرة الثالثة، "أغنى امرأة في العالم على الإطلاق"، أتعلمون من تزوجت؟ لقد تزوجت شيوعيا روسيا، يا للعجب!! قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية!!!

وعندما سألها الناس، والصحفيون -بشكل خاص -عندما سألوها: أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوجين بشيوعي؟

عندها قالت: أبحث عن السعادة!!! نعم، لقد قالت: أبحث عن السعادة.

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمه، فقد جلست تخدم في بيتها -بل في غرفتيها - فجاءها الصحفيون -وهم يتابعونها في كل مكان -فسألوها: كيف يكون هذا؟ قالت: أبحث عن السعادة.

وعاشت معه سنة، ثم طلقها -بل طلقته -.

ثم بعد ذلك أقيمت حفلة في فرنسا، وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم. أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة!!!

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية، تزوجت برجل فرنسي.

لاحظوا أنها تزوجت من أربع دول وليس من دولة واحدة لعلها تجرب حظها.

أقول: تزوجت بغني فرنسي (أحد رجال الصناعة) وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتا، ثم طلقها -بل طلقته -.

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة، وهم، ومنذ شهور وجدوها ميتة في شالية في الأرجنتين، لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية، أم أنها قتلت، حتى إن الطبيب الأرجنتيني قد أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت في جزيرة أبيها!!

انظر إلى هذه المرأة هل أغنى عنها مالها؟

أما في الدنيا: فلا، وأما في الآخرة، فستقول -لأنها كافرة -"ما أغنى عني ماليه".

إذن، المال وحده لا يكفي، المال وحده لا يجلب السعادة، ولا يوفرها، فمن أكبر أوهام السعادة قضية الثراء والتجارة. (١)

---

١ - السعادة بين الوهم والحقيقة ناصر بن سليمان العمر (ص: ٤-٧)

المبحث الثاني

السعادة ليست في المنصب

ليس المنصب سببًا حتميًّا للسعادة، وإن كان قد يمنح الإنسان قدرًا من النفوذ أو المكانة الاجتماعية أو القدرة على تحقيق بعض المصالح. فالمنصب مسؤولية وأمانة قبل أن يكون وجاهة وتشريفًا، ومن ظن أن سعادته متوقفة على بلوغ منصب معين، فقد جعل راحة قلبه معلقة بأمر متغير لا يملكه.

وقد يصل الإنسان إلى المنصب الذي طالما تمنّاه، ثم يكتشف أن القلق والمسؤوليات والمنافسة والخوف من فقدان المكانة لم تفارقه، وربما كان قبل المنصب أهدأ نفسًا وأطمأن قلبًا.

والسعادة الحقيقية لا تكون بعلو الكرسي، وإنما بعلو الهمة، وصلاح القلب، ورضا الله تعالى، وأداء الأمانة، ونفع الناس.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[القصص: ٨٣].

والمنصب إذا كان وسيلة للعدل وخدمة الناس وقضاء حوائجهم فهو نعمة ومسؤولية، أما إذا أصبح غاية يتنافس الإنسان عليها طلبًا للجاه والمباهاة، فقد يتحول من وسيلة إلى مَطْلَبٍ يستهلك القلب ولا يمنحه السعادة.

فليس السعيد من جلس على أعلى كرسي، وإنما السعيد من جلس في قلبه الرضا، وأدى أمانته، وأحسن إلى الناس، وكان قلبه متعلقًا بالله تعالى.

✍الفرق بين المنصب والسعادة:

المنصب في حقيقته **مسؤولية وأمانة**، لا متعة خالصة.

من يتولى منصبًا يصبح محاسبًا أمام الله وأمام الناس، ويتحمل تبعات قراراته، ويتعرض للنقد والحسد والمنافسة.

أما السعادة فهي حالة قلبية داخلية، تقوم على الطمأنينة والرضا، وهذان الأمران لا يأتيان تلقائيًا بمجرد الجلوس على كرسي المنصب.

بل قد يكون المنصب سببًا في ذهاب السعادة إذا أورث صاحبه الكبر أو الظلم أو الخوف الدائم من فقدان المكانة.

✍المنصب ابتلاء لا تكريم مطلق:

دلّت النصوص على أن الولاية والمنصب من جملة الابتلاء الذي يمتحن الله به عباده.

فالله قد يؤتي الملك من يشاء، ثم ينزعه ممن يشاء، ليظهر من يشكر ومن يكفر، ومن يعدل ومن يظلم.

ولذلك لم يكن الأنبياء والصلحاء يطلبون المناصب لذاتها، بل كانوا يفرون منها أحيانًا، أو يقبلونها على مضض لما فيها من ثقل الأمانة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ (يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةُ. وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وأدى الذي عليه فيها). (١)

فوصفها بأنها «خزي وندامة» يوم القيامة إلا في حالة خاصة، مما يبين أنها ليست طريقًا مأمونًا للسعادة.

---

١ – وأخرجه أحمد (٢١٥٦٣)، ومسلم (١٨٢٦)، وأبو داود (٢٨٦٨)، وابن حبان (٥٥٦٤)

خطر الحرص على المنصب:

من أخطر ما يفسد القلب ويذهب السكينة :**الحرص على الولاية**.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَسَتَصِيرُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ.(١)

والحرص على المنصب يورث صاحبه:

- القلق الدائم من المنافسة.
- الخوف من العزل.
- مجاملة الناس على حساب الحق.
- الانشغال بالمظهر والمنصب عن صلاح القلب.

وكل هذه الأمور مضادة للسعادة الحقيقية.

الواقع التاريخي والمعاصر:

في التاريخ: كم من ملك أو وزير أو والٍ بلغ أعلى المناصب، ثم زال ملكه فجأة، أو قُتل، أو سُجن، أو أصبح عبرة. قارون، وفرعون، وهامان، وأمثالهم، لم تنفعهم مناصبهم حين جاء أمر الله.

الواقع المعاصر: كثير من أصحاب المناصب العليا يعانون من أمراض نفسية وجسدية مرتبطة بالضغوط، كالقلق المزمن، والأرق، والاكتئاب، رغم ما يتمتعون به من جاه وسلطة.

وهذا يؤكد أن المنصب لا يجلب السعادة بنفسه، بل قد يكون عبئًا ثقيلاً على من لم يُهيَّأ له أو لم يتعامل معه بالعدل والتقوى.

---

١ –وأخرجه البخاري (٧١٤٨)، والنسائي في "المجتبى" ٧/ ١٦٢ و٨/ ٢٢٥ –٢٢٦)

السعادة بين الوهم والحقيقة (ص: ١١)

شاه إيران:

الرجل الذي أقام حفلا ليعيد فيه ذكرى مرور ألفين وخمسمائة سنة على قيام الدولة الفارسية، وأراد أن يبسط نفوذه على الخليج، ثم على العالم العربي بعد ذلك، ليلتقي مع اليهود. ذلك الرجل الذي كان يتغنى ويتقلب كالطاووس، كيف كانت نهايته.

لقد تشرد!! طرد!! لم يجد بلدا يأويه، حتى أمريكا التي كان أذل عميل لها.

وظل على هذه الحال حتى مات شريدا طريدا في مصر، بعد أن أنهكه الهم، وفتك به السرطان.

أما أولاده وأهله وحاشيته فقد أصبحوا أشتاتا متفرقين في عدة قارات!!!

رئيس الفلبين:

هذا الرجل الطاغية ماذا حدث له؟

لقد قلبت نظري كثيرا في قصته، فوجدتها جديرة بأخذ العبرة منها.

هذا الزعيم أذاقه الله غصص التعاسة والشقاء في الدنيا قبل الآخرة. فإذا به بين عشية وضحاها يتحول إلى شريد طريد يتنكر له أسياده وأصدقاؤه. لا يملك الرجوع إلى بلد كان يرتع فيه كما يشاء. حتى إذا جاءت وفاته لم يستطع أن يحصل على أشبار قليلة في بلده يواري فيها سوءته.

فسبحان مالك الملك.

بوكاسا:

وما أدراك ما بوكاسا!! الذي صدر نفسه إمبراطورا، وما زلنا نذكر صورته وأفعاله في أفريقيا الوسطى.

عندما زار فرنسا، قام عليه انقلاب، فتشرد في فرنسا، حتى ضاقت به الأرض، فجاء إلى بلده باسم مستعار، فقبضوا عليه، وحوكم في بلده.

ولا أعلم الآن أقتل أم لم يقتل؟ لكن المعلوم أنه أصيب بعدة أمراض، أهونها أمراض التعاسة والهم والغم، في البلد الذي نصب نفسه إمبراطورا له.

هذه بعض الأمثلة السريعة وما أكثر أمثال هؤلاء الذين ذكرت، من السابقين واللاحقين، تجري فيهم سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير.

إذن هذه هي السعادة الوهمية التي يتصور الناس أنها حقيقة السعادة.

كثير من الناس يبدو لأول وهلة أنهم سعداء، وهم في الواقع يتجرعون غصص الشقاء والبؤس والحسرة.

يصور هذا المعنى الشاعر حمد الحجي – رحمه الله في قصيدة له فيقول:

ما لقيت الأنام إلا رأوا مني ابتساما ولا يدرون ما بي

أظهر الإنشراح للناس حتى يتمنوا أنهم في ثيابي

ثم يقول:

لو دروا أنني شقي حزين ضاق في عينه فسيح الرحاب

لتنأوا عني ولم ينظروني ثم زادوا نفورهم في اغتيابي

فكأني آتي بأعظم جرم لو تبدت تعاستي للصحاب

هكذا الناس يطلبون المنايا للذي بينهم جليل المصاب

ومن أوضح الأمثلة على السعادة الوهمية، ما تعيشه أوربا، وبخاصة الدول الإسكندنافية، فهي أغنى الدول، سواء على مستوى الدولة، أو على مستوى دخل الفرد، ومع ذلك فهي تمثل أعلى نسب الانتحار.

فدولة السويد مثلا هي أغنى دولة من حيث دخل الفرد، ولكنها أعلى دولة في نسب الانتحار!!

بينما نجد الدول الإسلامية - مع أن أكثرها فقيرة - تسجل أقل نسبة من نسب الانتحار في العالم.

وهكذا نرى من خلال الواقع أن السعادة الحقيقية ليست في المال ولا في الشهرة، ولا في الشهادات، ولا في المناصب، ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا.

إذن أين تكمن أسباب السعادة؟ ما صفات السعداء سعادة واقعية حقيقية؟(١)

متى يكون المنصب سببًا في الخير؟

لا يعني ما سبق أن كل منصب مذموم.

فالمنصب قد يكون من أعظم أبواب الخير إذا قصد به:

- إقامة العدل.
- نفع الناس.
- خدمة الدين والمجتمع.
- أداء الأمانة دون طلب للعلو في الأرض.

---

١ - السعادة بين الوهم والحقيقة (ص: ١١-١٣)

وفي هذه الحالة يكون المنصب وسيلة إلى رضا الله، فيورث صاحبه سعادة حقيقية نابعة من صلاح النية وسلامة القصد.

أما إذا طُلب لذاته، وللعلو والمفاخرة، فإنه يصبح من أعظم أسباب الشقاء.

✍**الخلاصة التوضيحية:** المنصب في نفسه لا يُسعد ولا يُشقي، وإنما العبرة بما يقوم في قلب صاحبه.

فمن دخل المنصب وهو يبحث عن السعادة فيه، خرج منه غالبًا بزيادة همّ وقلق.

ومن دخله وهو يبحث عن رضا الله وأداء الأمانة، فقد يجد فيه طريقًا إلى السعادة، لا لأن المنصب أسعده، بل لأن نيته وطاعة ربه أسعدته.

وبهذا يتضح أن السعادة ليست في المنصب، وأن من جعل منصبه غاية فقد أخطأ الطريق.

المبحث الثالث: السعادة ليست في الشهرة

ومن الأوهام التي يتعلق بها كثير من الناس في طلب السعادة: السعي وراء الشهرة والظهور وذيوع الصيت. فيظن المرء أنه إذا عرفه الناس، وكثر محبوه ومتابعوه، وانتشر اسمه، فقد ظفر بالسعادة. حتى إذا نال شيئًا من ذلك، وجد أن قلبه لم يطمئن، وأن قلقه قد زاد، وأن حياته أصبحت محكومة بنظرات الآخرين وثنائهم أو ذمهم.

حذّر القرآن من طلب المحمدة والثناء من الناس، وبيّن أن العبرة بما عند الله لا بما يقوله الخلق.

قال تعالى:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]

وقال تعالى في وصف من يعمل ليرى الناس عمله:﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾[البقرة: ٢٦٤]

كما مدح الله الذين يُخفون أعمالهم ولا يطلبون بها الشهرة، فقال عن أهل الإحسان:﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾[البقرة: ٢٧٤]

حذّر النبي ﷺ من الرياء وطلب المحمدة، وبيّن خطره على القلب والعمل.

عن سلمة قال: سمعت جندبا يقول: قال النبي ﷺ ، ولم أسمع أحدا يقول: قال النبي ﷺ غيره، فدنوت منه، فسمعته يقول: قال النبي ﷺ: (من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به). (١).

(سمع) شهر بنفسه وأذاع ذكره، وقيل: عمل عملا على غير إخلاص، يريد أن يراه الناس ويسمعوه. (سمع الله به) كشفه على حقيقته وفضح أمره.

(يرائي) يطلع الناس على عمله بقصد الثناء منهم. (يرائي الله به) يطلع الناس على حقيقته، وأنه لا يعمل لوجه الله تعالى، فيذمه الناس، مع استحقاق سخط الله تعالى عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّ اللهَ تبارك وتعالى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَة فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لِلْقَارِئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُوْلِي ﷺ ؟ قَالَ: بَلَى يَا

---

١ – رواه البخاري ١١ / ٢٨٨ في الرقاق، باب الرياء والسمعة، ومسلم رقم (٢٩٨٧) في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله.

رَبِّ! قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهِ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيٌء، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ». ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُكْبَتِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

«طلب الشهرة والظهور من أعظم أدواء القلب، وهو يدل على ضعف الإخلاص، ومن ضعف إخلاصه ضعفت سعادته».

قال الغزالي – رحمه الله-: اعْلَمْ أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنَّ أَصْلَ الْجَاهِ هُوَ انْتِشَارُ الصِّيتِ وَالِاشْتِهَارِ وَهُوَ مَذْمُومٌ بَلِ الْمَحْمُودُ الخمول إلا من شهرة الله تعالى لِنَشْرِ دِينِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفِ طَلَبِ الشُّهْرَةِ منه

وقال إبراهيم ابن أدهم –رحمه الله-: ما صدق الله من أحب الشهرة.

وقال أيوب السختياني–رحمه الله- : والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه.

---

١ – الترمذي (٢٣٨٢) باب ما جاء في الرياء والسمعه، ابن حبان (٤٠٩)، تعليق الألباني "صحيح"، تعليق شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح".

وعن خالد بن معدان-رحمه الله- : أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة

وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام

ورأى طلحة -رحمه الله-: قوما معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار.

وقال سليم بن حنظلة: بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة.

فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟

فقال: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

وعن الحسن قال خرج ابن مسعود -رضي الله عنه- يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان .

وقال الحس: رحمه الله-: إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى

وخرج الحسن-رحمه الله-: ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن.

وروي أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسئل فافعل.

وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال : لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل.

وقال معمر –رحمه الله–: عاتبت أيوب على طول قميصه فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره.

وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة

وقال الثوري –رحمه الله–: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا.

وقال رجل لبشر بن الحارث: –رحمه الله–: أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك

وكان حوشب–رحمه الله–: يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع

وقال بشر –رحمه الله–: ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح

وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس

رحمة الله عليه وعليهم أجمعين (١)

رابعًا: الواقع المشاهد:

يشهد الواقع المعاصر أن كثيرًا من المشاهير، رغم انتشار أسمائهم وكثرة متابعيهم، يعانون من اضطرابات نفسية حادة، كالقلق والاكتئاب والشعور بالفراغ، بل إن نسب الانتحار بين بعض فئات المشاهير أعلى من غيرهم في بعض الدراسات.

قال الدكتور ناصر العمر: قد يتوهم كثير من الناس أن السعادة موجودة عند صنفين من الناس هم أهل الرياضة وأهل الفن. فأقول:

---

١ – إحياء علوم الدين (٣/ ٢٧٦–٢٧٧)

١ -أهل الرياضة:

معظمهم يعيش الشقاء في أيامه ولياليه.

فمن معسكر إلى معسكر ومن سفر إلى سفر فلا يكاد يستقر مع أهله إلا قليلا.

ويضطر أغلبهم إلى التفريط بمستقبلهم الدراسي وعدم مواصلته. بسبب الانشغال الكامل بالرياضة.

أضف إلى ذلك: اضطرابهم عند كل مباراة. وكآبتهم عند كل هزيمة.

ثم إن الإصابات تتقاذفهم من كل جانب.

كما أن الخوف من رأي الجماهير ونظرتها عند أي هبوط في المستوى يجعلهم يعيشون شقاء متواصلا.

ثم ماذا بعد ذلك؟

إن الناس سرعان ما ينسونهم بعد الاعتزال فيزدادون ألما وحزنا.

إذن فليست السعادة عند أهل الرياضة وإن ظن الكثيرون أنها عندهم.

٢ -أهل الفن: إن حياتهم أسوأ حياة يعيشها البشر!

فشل أسري، مخدرات، انحلال، انعدام حياء، موت فضيلة.

وأقصد بأهل الفن: أهل الغناء والطرب، والتمثيل.

ولا أقول هذا من عندي، بل هو من مذكراتهم التي تعج بها الصحف صباح مساء.

خذوا على ما أقول ثلاث وقائع:

الواقعة الأولى: "أنور وجدي" زوج الممثلة اليهودية ليلى مراد، هذه الزوجة التي قالت عنه في مذكراتها: "إن زوجي كان ممثلا بسيطا، فقال: أتمنى أن

أملك مليون جنيه حتى ولو أصبت بمرض، فقلت له: ما ينفعك المال إذا جاءك المرض؟

فقال: أنفق جزءا من المال في علاج المرض، وأعيش في بقيته سعيدا، فملك أكثر من مليون جنيه، وابتلاه الله بسرطان الكبد، فأنفق المليون جنيه وزيادة، ولم يجد السعادة حتى إنه كان لا يأكل إلا شيئا يسيرا من الطعام، فهو ممنوع من أكل كثير من الأطعمة، وأخيرا، مات بهذا المرض حسيرا نادما.

الواقعة الثانية:

"نيازي مصطفى" وهو من كبار المخرجين، لكنه عاش حياته في شقاء وتعاسة، وعندما بلغ السبعين من عمره، وجدوه قد قتل في منزله، ووجدوا أنه في تلك الليلة التي مات فيها، قد أقام حفلة صاخبة، شاركه فيها أكثر من عشر فتيات، وفي الصباح وجدوه "أثرا بعد عين".

فقد وجدوه قتيلا!!!

انظر إلى هذه الحياة، ذعر، وسكر، وخيانة، مات على هذه الحالة المأساوية، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

الواقعة الثالثة: "عبد الحليم حافظ" الرجل الذي عاش حياته مريضا، وحيدا، من غير زوجة، ولا ولد، إلى أن اختطفه الموت، وأنهكه المرض بعد الخمسين بقليل. في قمة الشقاء.

فالسعادة – إذن – ليست إلا بريقا زائفا تشع به أعينهم لتوهم الآخرين بذلك مع أنهم يعيشون في الواقع قمة الشقاء والتعاسة.(١)

---

١ – السعادة بين الوهم والحقيقة (ص: ٨–٩)

الخلاصة: الشهرة في نفسها ليست خيرًا محضًا ولا شرًّا محضًا.

فقد يشتهر الإنسان بسبب علمه أو إصلاحه أو نفعه للناس، فيكون ذلك من فضل الله عليه.

أما إذا طُلبت الشهرة لذاتها، وصارت غاية يسعى إليها المرء، فإنها تصبح من أعظم الأوهام التي تُبعده عن السعادة الحقيقية.

فالسعادة ليست في أن يعرفك الناس، بل في أن يعرفك الله بعمل صالح وقلب سليم.

وبهذا يتبين أن السعادة ليست في الشهرة.

المبحث الرابع: السعادة ليست في كثرة الأبناء

ليس المقصود بقولنا: «ليست السعادة في كثرة الأولاد» أن الأولاد ليسوا من أسباب السعادة، أو أن كثرتهم أمر غير محمود، فالأولاد نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، وقد جعلهم سبحانه من زينة الحياة الدنيا، وجعل الذرية الصالحة قرة عين للوالدين.

وإنما المقصود أن السعادة لا تُقاس بعدد الأولاد، ولا تتوقف على كثرتهم؛ فقد يرزق الله الإنسان ولدًا أو أولادًا قليلين، ويجعل فيهم من الصلاح والبر والمحبة ما يكون سببًا عظيمًا في سعادته، وقد يرزق آخر ذرية كثيرة، ثم لا يجد معها السكينة التي كان يظن أنه سيجدها بمجرد كثرة العدد.

فالمشكلة ليست في كثرة الأولاد، وإنما في أن يجعل الإنسان كثرتهم شرطًا لسعادته أو معيارًا لنجاح حياته. فالسعادة أعمق من ذلك، وهي ثمرة اجتماع

نعم كثيرة: الإيمان، والطمأنينة، والمودة، وصلاح الأسرة، وحسن التربية، والرضا بما قسم الله تعالى.

ومن الأوهام التي يتعلق بها كثير من الناس في طلب السعادة: الظن بأن السعادة كامنة في كثرة الأولاد أو في مجرد وجودهم. فيسعى الإنسان إلى الإنجاب ويتكاثر، ظانًّا أنه كلما كثر نسله ازدادت سعادته واستقرت حياته. حتى إذا رزق بالأولاد، وجد أن الفرح بهم ممتزج بالهم والخوف والتعب، وأن السعادة الحقيقية لا تزال أبعد مما كان يظن.

بيّن القرآن أن الأولاد زينة من زينة الحياة الدنيا، وأنهم في الوقت نفسه فتنة وابتلاء.

قال تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾]التغابن: ١٥]

كما حذّر من أن يكون الأولاد سببًا في الانشغال عن ذكر الله وطاعته :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]

بيّن النبي ﷺ أن الولد قد يكون سببًا في الجبن والبخل والحزن إذا تعلق به القلب تعلقًا مذمومًا.

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُنْيَةَ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَسْتَبِقَانِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ » (١)

١ – الحاكم ٣/ ١٦٤ وصححه. وأخرجه أحمد (١٧٥٦٢)، وابن ماجه (٣٦٦٦) من طريق عفان به وليس عندهما: "محزنة". وقال الذهبى ٨/ ٤٢١٠: إسناده قوى.

ومع ذلك رغّب النبي ﷺ في النكاح وطلب الولد، لكن لا على أساس أن السعادة في كثرتهم، بل لأنهم من ثمرات الحياة الطيبة وامتداد للعمل الصالح إذا أُحسنت تربيتهم.

وقد مات أبناء النبي ﷺ في حياته، ولم ينقص ذلك من سعادته وكمال قلبه، مما يدل على أن السعادة لا تتوقف على بقاء الأولاد أو كثرتهم.

✍ الواقع المشاهد:

يشهد الواقع أن كثيرًا من الناس رزقوا بأولاد كثيرين، ومع ذلك يعانون من الهموم والمتاعب والمشاكل الأسرية، بل إن بعضهم يفقد راحة البال بسبب عصيان أولاده أو انحرافهم أو كثرة مطالبهم.

وفي المقابل، وُجد من حُرم الولد أو قلّ نسله، ومع ذلك عاش في طمأنينة ورضا، لأن قلبه متعلق بالله لا بما في يده من زينة الدنيا.

فالأولاد نعمة عظيمة إذا أُحسنت تربيتهم، وكانوا عونًا على طاعة الله، لكنهم ليسوا مصدر السعادة ولا ضامنها.

✍الخلاصة: الأولاد من أجمل نعم الله وأحلاها، وهم قرة عين للوالدين إذا صلحوا، لكن السعادة الحقيقية لا تُطلب من جهتهم، ولا تتوقف على كثرتهم أو حتى وجودهم.

فمن جعل سعادته في أولاده، اضطرب قلبه بكل مرض يصيبهم أو مشكلة تواجههم أو سلوك يصدر منهم.

ومن جعل سعادته في الله، كان أولاده زيادة في نعمته إن وُجدوا، ولم ينقص فقدُهم من سعادته إن ابتُلي بفقدهم.

وبهذا يتبين أن السعادة ليست في الأولاد.

وبتمام هذا المبحث ينتهي الفصل الثالث، وقد تبيّن أن السعادة لا تُطلب من المال ولا من المنصب ولا من الشهرة ولا من كثرة الأبناء، لأنها أوهام زائلة لا تثبت عند التمحيص.

الباب الثاني: موانع السعادة

وفيه

الفصل الأول: موانع السعادة في العقيدة والقلب.

الفصل الثاني موانع السعادة في السلوك والأخلاق.

الفصل الثالث موانع السعادة النفسية والدنيوية.

الباب الثاني: موانع السعادة

فإن السعادة مطلبٌ إنسانيٌّ عظيم، وغايةٌ يسعى إليها الناس على اختلاف أحوالهم وتباين ظروفهم؛ فمنهم من يطلبها في جمع المال، ومنهم من ينشدها في بلوغ المناصب، ومنهم من يظن أنها في كثرة الممتلكات أو نيل الشهرة أو تحقيق الشهوات.

غير أن كثيرًا من الناس قد يملكون أسباب الراحة المادية، ومع ذلك تظل قلوبهم قلقة، ونفوسهم مضطربة، وصدورهم ضيقة؛ لأن السعادة ليست فيما تملكه الأيدي فحسب، وإنما فيما تستقر عليه القلوب، وتطمئن إليه النفوس، وتستقيم به الحياة.

وإذا كانت للسعادة مفاتيح وأسباب، فإن لها كذلك موانع وعوائق تحول بين الإنسان وبين التمتع بها، وتحرمه من حلاوة الطمأنينة، ولذة الرضا، ونعمة الاستقرار النفسي.

وقد تكون هذه الموانع كامنةً في القلب والعقيدة، كضعف الإيمان، والإعراض عن ذكر الله، والإصرار على الذنوب والمعاصي، والحسد والكبر واليأس والقنوط؛ وقد تكون متعلقةً بالسلوك والأخلاق، كالظلم، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وسوء الظن بالآخرين، والخصام والنزاع؛ وقد تنشأ من أمراض النفس وآفات الدنيا، كالطمع، والتعلق المفرط بالدنيا، وكثرة الهموم، والإسراف في الشهوات، ومقارنة الإنسان نفسه بغيره، والانشغال بما في أيدي الناس عن شكر ما أنعم الله به عليه.

وسوف نتناول في هذا الباب أبرز موانع السعادة، مع بيان حقيقتها، وأسبابها، وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع، والاستدلال عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية، والاستفادة من قصص السلف والصالحين، وما تكشف عنه التجارب الإنسانية من دروس وعبر؛ لنقف على مواطن الخلل في حياتنا، ونتعلم كيف نعالجها في ضوء الهداية الإسلامية.

وغاية هذا الباب أن يدرك القارئ أن السعادة لا تتحقق بمجرد إضافة المزيد إلى حياته، بل قد تبدأ بالتخلص مما يفسد قلبه، ويثقل روحه، ويستنزف طاقته؛ وأن إصلاح الداخل أساسٌ لإصلاح الخارج، وأن القلب إذا صلح بالإيمان، وتحرر من الحقد والحسد والطمع، ورضي بما قسم الله، وأحسن التعامل مع الناس، أصبح أقدر على مواجهة تقلبات الحياة، واستشعار نعم الله تعالى في السراء والضراء.

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من كل آفة، وأن يعيذنا من أسباب الشقاء، وأن يرزقنا الإيمان الصادق، والقلب السليم، والنفس المطمئنة، والحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة.

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول: موانع السعادة في العقيدة والقلب

اعلم بارك الله فيك-: أن القلب هو منبع السعادة والشقاء، ومحل الإيمان واليقين، ومستقر المحبة والخوف والرجاء، فإذا صلح القلب واستقام على طاعة الله، انعكس صلاحه على سلوك الإنسان وأخلاقه ونظرته إلى الحياة، وإذا فسد واضطرب، انعكس ذلك على أقواله وأفعاله، وأورثه القلق والحيرة والضيق، ولو امتلك من متاع الدنيا ما لا يملكه غيره .فكم من إنسان ضاقت عليه الدنيا بما رحبت بسبب قلبٍ ممتلئ بالحقد والحسد، أو نفسٍ أسيرة للطمع والجشع، أو روحٍ أظلمتها الذنوب والمعاصي، وكم من إنسان قليل المال، محدود الإمكانات، لكنه يعيش مطمئن القلب، راضي النفس، مستبشرًا برحمة الله وفضله.

ولذلك كان إصلاح العقيدة وتزكية القلب من أعظم أسباب السعادة، كما أن فساد الاعتقاد وانحراف القلب من أخطر موانعها؛ لأن الإنسان لا ينظر إلى الحياة بعينيه فحسب، بل ينظر إليها أيضًا من خلال ما استقر في قلبه من إيمان ويقين، وما يحمله من أفكار ومشاعر ومعتقدات .فإذا امتلأ قلبه بحسن الظن بالله، والثقة بوعده، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، هانت عليه المصائب، وصغرت في عينيه الشدائد، وأدرك أن وراء أقدار الله حكمةً ورحمةً قد تخفى عليه، وأن ما عند الله خير وأبقى .أما إذا ضعف إيمانه، وغلب عليه سوء الظن

بربه، واستولى عليه اليأس والقنوط، فإنه قد يرى البلاء نهاية الطريق، ويحسب تأخر الإجابة حرمانًا، ويظن أن ما فاته من الدنيا دليل على أنه أقل حظًّا من غيره.

وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح والحياة الطيبة، فقال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل٩٧ :].

فالحياة الطيبة ليست مقصورةً على وفرة المال، أو سعة المسكن، أو خلو الإنسان من المشكلات، وإنما تشمل طمأنينة القلب، والقناعة، والرضا، والقدرة على مواجهة الابتلاء، واستشعار معية الله ورحمته .والمؤمن قد يحزن ويتألم، وقد يمر بأوقات من الضيق والابتلاء، لكنه يجد في إيمانه ما يعينه على الصبر، ويمنحه الأمل، ويحول بينه وبين الاستسلام لليأس.

ومن أعظم ما يهدد سعادة الإنسان في هذا الجانب :الكفر والإعراض عن هداية الله، والوقوع في الذنوب والمعاصي، وضعف الإيمان، والحسد والغيرة المذمومة، والكبر والعجب، واليأس والقنوط من رحمة الله.

فهذه الآفات تفسد علاقة الإنسان بربه، وتشوِّه نظرته إلى نفسه وإلى الآخرين، وتجعله أسيرًا لمشاعر سلبية تستنزف راحته، وتحرمه من لذة القناعة، وحلاوة الرضا، وسلامة الصدر.

فأما الذنوب والمعاصي، فإنها تحرم القلب من آثار الطاعة ونورها، وتضعف صلته بالله إذا لم يتداركها بالتوبة والاستغفار .وأما الحسد، فإنه يجعل صاحبه يعيش متألمًا بنعم الآخرين، كأن سعادة الناس انتقاص من سعادته .وأما الكبر، فيحرمه من التواضع وقبول الحق، ويجعله دائم الخصومة مع من حوله .وأما اليأس والقنوط، فيغلقان أمامه أبواب الرجاء، ويصرفانه عن العمل والأمل، مع أن رحمة الله واسعة، وفضله عظيم، وباب التوبة مفتوح ما لم يأتِ الأجل أو تطلع الشمس من مغربها.

وقد حذَّرنا الله تعالى من القنوط من رحمته، فقال سبحانه:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر٥٣ :].

كما بيَّن النبي ﷺ خطورة فساد القلب، فقال: ﷺ " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ . متفق عليه.([1])

ومن هنا تتضح أهمية هذا الفصل؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية وهو يحمل في قلبه أمراضًا تفسد علاقته بربه، أو تملأ صدره بالسخط على أقداره، أو تجعله دائم المقارنة بالآخرين، أو تدفعه إلى الاعتراض على ما قسم الله له .ولا سبيل إلى التخلص من هذه الموانع إلا بالعودة الصادقة إلى

[1] – رواه البخاري: ٥٢. ومسلم: ١٥٩٩).

الله، وتجديد الإيمان، ومحاسبة النفس، والتوبة من الذنوب، وتطهير القلب من الحسد والكبر وسائر الآفات، وتعويده حسن الظن بالله، والرضا بما قسمه، والرجاء فيما عنده.

وسنتناول في هذا الفصل أبرز موانع السعادة المتعلقة بالعقيدة والقلب، فنقف مع أثر الكفر والإعراض عن الله، وخطورة الذنوب والمعاصي، وضعف الإيمان، والحسد والغيرة المذمومة، والكبر والعجب، واليأس والقنوط، مع بيان أدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذكر النماذج والقصص والعبر التي تكشف آثارها في حياة الإنسان، وتوضح سبل الوقاية منها وعلاجها.

والمقصود من هذا الفصل ليس مجرد تعداد أمراض القلوب، وإنما دعوة القارئ إلى مراجعة قلبه، والتعرف على الآفات التي قد تحجب عنه السعادة وهو لا يشعر، ثم السعي في علاجها حتى يصبح قلبه أكثر إيمانًا وطمأنينة، ونفسه أكثر رضا وقناعة، وحياته أقرب إلى الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، ويزكي نفوسنا، ويطهر صدورنا من الغل والحسد والكبر، وأن يرزقنا إيمانًا صادقًا، ويقينًا ثابتًا، ورضًا بقضائه، وحسن ظن به، وأن يجعلنا من عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والله المستعان، وعليه التكلان.

أولا-الكفر

اعلم – بارك الله فيك -: أن الكفر بالله-تعالى-يُعدّ أعظمَ موانع السعادة الحقيقية، وأصلَ كلّ شقاءٍ وضيقٍ يلحق بقلب الإنسان ونفسه؛ ذلك لأن الفطرة السليمة التي فُطر الناس عليها لا تطمئن ولا تسكن إلا بمعرفة خالقها والإيمان به والتوجه إليه .

وهناك عدة وجوه تُبيّن كيف يكون الكفر مانعـًا للسعادة:

فقدان الطمأنينة وراحة البال :الإيمان هو المصدر الأساسي للسكينة والشعور والأمان؛ وغيابه يورث القلق المستمر والتخبط في ظلمات الشك والضياع.

العيشة الضنكة :يقول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾[طه: ١٢٤]؛ فالإعراض عن الله يُجرد العبد من بركة الحياة ولذتها الحقيقية مهما أُوتي من المتاع الدنيوي.

الفراغ الروحي والحيرة :مهما بلغ الإنسان من أسباب المادة والرفاهية، يبقى في قلبه خلة وفراغ لا يسده إلا الأنس بالله والإيمان بلقائه؛ وبدونه يظل المرء يركض وراء سراب لا ينتهي.

الحرمان من السعادة الأبدية :السعادة الكاملة والدائمة هي الفوز برضا الله وجنته في الآخرة، والكفر يقطع الطريق على هذا النعيم، ويفضي بصاحبه إلى الخسران المبين.

واعلموا أن من أخطر موانع السعادة في الدنيا الكفر بالله فقد كتب الله تعالى عليهم الشقاء في الدنيا و الآخرة و يضع الله تعالى فلا رافع له يقول الله

تعالى:﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام/ ١٢٥]"

يقول السعدي – رحمه الله – (وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقا حرجا. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه.

وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى.) (١)

إن كُتَّاب الغربِ اللامعِين ، مثل (كرسي مريسون) ، و (ألكس كاريل) ، و (دايل كارنيجي) ، يعترفون أنَّ المنقذ للغربِ الماديِّ المتدهورِ في حياتهم إنما هو الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ ، وذكروا أنَّ السبب الكبير والسرَّ الأعظم في حوادثِ الانتحاراتِ التي أصبحتْ ظاهرةً في الغربِ ، إنّما هو الإلحادُ والإعراضُ عنِ الله – عزَّ وجلَّ – ربِّ العالمين ، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] ، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

---

١ – تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٢٧٢)

ذكرتْ جريدةُ (الشرق الأوسط) في عددها بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٤١٥ هـ، نقلاً عنْ مذكراتِ عقيلةِ الرئيسِ الأمريكيِّ السابقِ (جورج بوش) : أنَّها حاولتِ الانتحار أكثر منْ مرةٍ ، وقادتِ السيارة إلى الهاويةِ تطلبُ الموت مظانَّهُ ، وحاولتْ أنْ تختنق .

إنهم و إن ملكوا الأموال و إن نالوا المناصب إلا أنهم أشقياء تعساء لا يعرفون للراحة و السعادة طريقا فهم يشربون و يأكلون ويتمتعون و في النهاية ما حياتهم إلا كحياة الأنعام بل أضل يقول- الله تعالى - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢] يعني ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالأنعام لأن الأنعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لأنه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه .

" الأشقياءُ بكلِّ معاني الشقاءِ همُ المفلسون من كنوزِ الإيمانِ، ومن رصيدِ اليقينِ ، فهمْ أبداً في تعاسةٍ وغضبٍ ومهانةٍ وذلَّةٍ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ .

أى : فإن لهذا المعرض معيشة ضيقة مليئة بالهم والغم والأحزان وسوء العاقبة ، حتى ولو ملك المال الوفير ، والحطام الكثير . . . فإن المعيشة الطيبة لا تكون إلا مع طاعة الله ، وامتثال أمره ، واجتناب نهيه .

قال الإمام ابن كثير: قوله -تعالى -: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} أي : في الدنيا فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى

اليقين والهدى . فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة . . .

لا يُسعدُ النفس ويزكّيها ويطهرُها ويفرحُها ويذهبُ غمَّها وهمّها وقلقها إلاَّ الإيمانُ بالله ربِّ العالمين، لا طعم للحياةِ أصلاً إلاَّ بالإيمانِ.

يقول أبرزُ أطباءِ النفسِ الدكتورُ كارل جائغ في الصفحة (٢٦٤) من كتابِهِ « الإنسانُ الحديثُ في بحثِهِ عنِ الروحِ » : « خلال السنواتِ الثلاثين الماضيةِ ، جاء أشخاصٌ من جميعِ أقطارِ العالمِ لاستشارتي ، وقد عالجتُ مئاتِ المرضى ، ومعظمُهم في منتصفِ مرحلةِ الحياةِ ، أيْ فوق الخامسةِ والثلاثين من العمرِ ، ولمْ يكنْ بينهمْ من لا تعودُ مشكلتُه إلى إيجادِ ملجأ ديني يتطلَّع من خلالِهِ إلى الحياةِ ، وباستطاعتي أنْ أقول : إن كلاّ منهم مرِض لأَنَّهُ فقد ما مَنحهُ الدينُ للمؤمنين ، ولم يُشْفَ من لمْ يستعِد إيمانه الحقيقيَّ » .

:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾[طه: ١٢٤]؛

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١]

﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ذكرتْ جريدةُ (المسلمون) عدد ٢٤٠ في شهرِ صفر سنة ١٤١٠هـ، أنَّ هناك ٢٠٠ مليون مكتئبٍ على وجهِ الأرضِ!

الاكتئابُ العالم!! لا يفرِّقُ بين دولةٍ غربيةٍ وأخرى شرقية! أو غنيٍّ وفقيرٍ.

إنه مرضٌ يصيبُ الجميع .. ونهايتُه في الغالبِ الانتحارُ !!

الانتحارُ لا يعترفُ بالأسـماءِ والمناصـبِ والدولِ، لكنَّه يخافُ من المؤمنين ، بعضُ الأرقامِ تؤكدُ أنَّ ضـحاياهُ وصـلوا إلى ٢٠٠ مليون مريضٍ في كلِّ أنحاءِ العالمِ .. إلاَّ أنَّ آخر الإحصاءاتِ تؤكّدُ أنَّ واحداً على الأقلِّ بين كل عشرةِ أفرادٍ على وجهِ الأرضِ مصابٌ بهذا المرضِ الخطير !!

وقد وصـلتْ خطورةُ هذا المرضِ أنه لا يصـيبُ الكبار فقط، بل يصِـلُ إلى حدِّ مداهمةِ الجنينِ في بطنِ أمِّه !!

الاكتئابُ بوابةُ الانتحار: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ .

تذكر الأخبارُ التي تناقلتْها وِكالاتُ الأنباءِ أنَّ مرض الاكتئابِ قد تمكَّن من الرئيسِ السـابق للولاياتِ المتحدة الأمريكية (رونالدْ ريجان). وتعودُ إصـابةُ الرئيس الأمريكي بهذا المرضِ لتجاوزِه سـنَّ السـبعين في الوقتِ الذي لا يزالُ يتعرَّضُ فيه لضغوطٍ عصبيةٍ كبيرةٍ .. بالإضافةِ للعملياتِ الجراحيةِ التي أُجريتْ له على فتراتٍ متلاحقةٍ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء: ٧٨].

وهناك الكثيرُ من المشـاهيرِ وخاصَّـةً مَنْ يعملون بالفنِّ ، يداهمُهمْ هذا المرضُ ، وقد كان الاكتئابُ سببًا رئيسـًا – إنْ لم يكنْ الوحيد – في موتِ الشـاعرِ صلاح جاهين ، وكـذلـك يُقـال : إنَّ نـابليون بونـابرت مـات مكتئبـًا في منفـاهُ ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥] .

وما زلنا نذكرُ أيضـًا الخبر الذي طيَّرتْه وكِالات الأنباءِ، احتلَّ صـدر الصـفحاتِ الأولى في أغلبِ صـحفِ العالمِ، عن الجريمةِ المروِّعةِ التي ارتكبتْها أمٌّ ألمانيةٌ بقتلِ ثلاثةٍ منْ أطفالها، واتضح أنَّ السبب هو مرضُها بالاكتئابِ، ولحبِّها الشديدِ

لأطفالها خافتْ أنْ تورثهم العذاب والضيق الذي تشعرُ بهِ ، فقرّرتْ « إراحتهم» !! منْ هذا العذابِ بقتِلهم الثلاثةِ .. ثم قتلتْ نفسها !!.

وأرقامُ (منظمةِ الصحةِ العالميةِ) تشيرُ إلى خطورةِ الأمرِ. ففي عام ١٩٧٣ م كان عددُ المصابين بالاكتئابِ في العالمِ ٣٪ ، وارتفعتْ هذه النسبةُ لتصل إلى ٥٪ في عام ١٩٧٨ م ، كما أشارتْ بعضُ الدراساتِ إلى وجودِ فردٍ أمريكيٍّ مصابٍ بالاكتئاب منْ كلِّ أربعةٍ !! في حين أعلن رئيسُ مؤتمرِ الاضطرابِ النفسيِّ الذي عُقد في شيكاغو عام ١٩٨١ م أنَّ هناك ١٠٠ مليونِ شخصٍ في العالمِ يعانون من الاكتئابِ، أغلبُهمْ منْ دولِ العالمِ المتقدم، وقالتْ أرقامٌ أخرى أنهم مائتا مليون مكتئبٍ!!﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[التوبة: ١٢٦]

قال أحدُ الحكماءِ: اصنعْ من الليمونِ شراباً حُلواً.

وقال أحدُهم: ليس الذكيُّ الفطِنُ الذي يستطيعُ أنْ يزيد أرباحهُ، لكنّ الذكيَّ الذي يحوِّلُ خسائره إلى أرباحٍ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٧] (١).

فالناظر للعالم بعين المتدبر يرى تلك الحقيقة أن العالم ينحدر إلى هاوية الشقاء والعناء وليس له دواء إلا في كتاب رب الأرض والسماء فقد جرب العالم جميع المناهج الأرضية التي لم يجن منها إلا الحصاد المر فهي غرست في البشرية بذور الحنظل ثم جنت بعد ذلك ثمار العلقم فهي على شفا جرف هار سينهار بها إلى الهاوية وما أدراك ما هية نار حامية

---

١ – لا تحزن لعائض القرني.

هكذا هو حال العالم وصدق الله العظيم إذ يقول﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾[العصر: ١-٣]

يقول الشنقيطي – رحمه الله: –أما الخسران بالكفر فكما في قوله تعالى : { وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين } [الزمر : ٦٥] .

وقوله: {قَدْ خَسِرَ الذين كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الله} [الأنعام: ٣١] ، أي لأنهم لم يعملوا لهاذ اللقاء ، وقصروا أمرهم في الحياة الدنيا فضيعوا أنفسهم ، وحظهم في الآخرة .

وأما الخسران بترك العمل، فكما في قوله تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأولئك الذين خسروا أَنْفُسَهُم} [الأعراف: ٩]، لأن الموازين هي معايير الأعمال كما تقدم {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة: ٧].

ومثله: {وَمَن يَتَّخِذِ الشيطان وَلِيّاً مِّن دُونِ الله فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} [النساء : ١١٩] ، لأنه سيكون من حزب الشيطان { أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ } [المجادلة : ١٩] ، أي بطاعتهم إياه في معصية الله .

وأما الخسران بترك التواصي بالحق: فليس بعد الحق إلا بالضلال، والحق هو الإسلام بكامله، وقد نال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الخاسرين} [آل عمران: ٨٥] .

وأما الخسران بترك التواصي بالصبر: والوقوع في الهلع والفزع، فكما قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ

أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[الحج: ١١].

تحقيق المناط في حقيقة خسران الإنسان:

اتفقوا على أن رأس مال الإنسان في حياته هو عمره

كلف بإعماله في فترة وجوده في الدنيا، فهي له كالسوق.

فإن أعمله في خير ربح، وإن أعمله في شر خسر. (١)

ثانيا: ضعف الإيمان بالله

أخي المسلم – اعلم زادني الله وإياك علما–: ضعف الإيمان من أعظم موانع السعادة؛ لأن الإيمان هو مصدر الطمأنينة في القلب، وقوة الاحتمال عند الشدائد، والرضا عند نزول الأقدار، والأمل عند اشتداد الكروب. فإذا ضعف الإيمان، اضطرب القلب، وكثرت مخاوف الإنسان وهمومه، وأصبح يبحث عن السعادة في أشياء لا تستطيع أن تمنحه السكينة الدائمة.

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨]

فالقلب إذا امتلأ إيمانًا بالله، علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله سبحانه أرحم به من نفسه، وأعلم بما يصلحه، وأحكم فيما يقدره عليه.

---

١ – أضواء البيان – (ج ٩ / ص : ٢٩٠).

أما إذا ضعف الإيمان، فإن الإنسان قد يجعل سعادته معلقة بالمال، أو الصحة، أو المنصب، أو مدح الناس، أو تحقيق رغباته؛ فإذا فقد شيئًا من ذلك شعر بالتعاسة والانكسار، لأنه لم يربط قلبه بالله تعالى.

ومن مظاهر ضعف الإيمان التي تحرم الإنسان السعادة:

- ضعف الصلة بالله تعالى .
- قلة الذكر والدعاء .
- الغفلة عن الآخرة .
- الاعتراض على أقدار الله عند المصائب .
- الخوف المفرط من المستقبل .
- التعلق الشديد بالدنيا .
- الاسترسال مع الهموم واليأس .
- ضعف التوكل على الله والرضا بقضائه .

والإيمان لا يعني أن الإنسان لا يحزن ولا يتألم، وإنما يمنحه **ميزانًا صحيحًا للتعامل مع الحزن والألم**؛ فيحزن دون أن ينهار، ويبتلى دون أن يقنط، ويفقد دون أن يعترض، ويتأخر عنه ما يريد دون أن يسيء الظن بربه.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[النحل: ٩٧]

فالحياة الطيبة ثمرة من ثمار الإيمان والعمل الصالح، والسعادة الحقيقية ليست في خلو الحياة من المشكلات، وإنما في **قوة القلب بالله عند مواجهة مشكلات الحياة**.

ثالثا: الذنوب والمعاصي

السعادة الحقيقية لا تكون بكثرة المتاع، وإنما بسكينة القلب وطمأنينته، ومن أعظم ما يحرم القلب هذه الطمأنينة **الذنوب والمعاصي**؛ فإن المعصية تترك في القلب أثرًا، وتضعف صلته بالله تعالى، وتحرم صاحبها من حلاوة الطاعة، وقد تتحول مع كثرتها إلى قسوة وغفلة واضطراب.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]

وقد يشعر العاصي بلذة المعصية في لحظتها، لكنها لذة عابرة، يعقبها في كثير من الأحيان ندم أو قلق أو قسوة في القلب أو حرمان من لذة الطاعة. ولذلك فليس كل ما يُسَرُّ به الإنسان في لحظته سعادة حقيقية؛ فقد تكون **لذة عاجلة يعقبها ألم طويل**.

أمثلة على أثر الذنوب في ذهاب السعادة:

معصية السر: قد يختلي الإنسان بالمعصية، فيظن أنه بعيد عن أعين الناس، لكنه لا يستطيع أن يفر من علم الله، فتضعف مراقبته لربه، ويعيش قلبه بعيدًا عن الطمأنينة.

عقوق الوالدين: قد يظن الإنسان أن راحته في الاستقلال عن والديه أو مخالفة أمرهما، ثم يكتشف بعد فوات الأوان أن العقوق أورثه حسرة وندمًا، وأن بر الوالدين كان من أعظم أبواب الخير والسعادة.

أكل الحرام :قد يزيد المال الحرام رصيد الإنسان، لكنه لا يزيد قلبه سكينة؛ لأن المال الذي لا يرضي الله لا يكون سببًا للسعادة الحقيقية.

إطلاق البصر في الحرام :قد تكون النظرة لحظة، لكن أثرها قد يبقى في القلب، وتفتح على الإنسان أبواب التعلق والشهوة والاضطراب، بينما غض البصر يحفظ القلب ويصونه.

الغيبة والنميمة :قد يجد الإنسان في الحديث عن الآخرين متعة عابرة، لكنه يفسد قلبه ويعتاد تتبع عيوب الناس، فينشغل بغيره عن إصلاح نفسه.

وليس معنى ذلك أن العاصي لا يعرف الفرح: وهنا ينبغي أن يكون الطرح دقيقًا :قد يضحك العاصي، وقد يملك المال، وقد يستمتع بالطعام والسفر والراحة، لكن السعادة المقصودة أعمق من مجرد اللذة العابرة .فقد تجتمع اللذة مع قلق القلب، أما السعادة التي ينشدها المؤمن فهي سكينة ورضا وقرب من الله.

ومن رحمة الله أن باب السعادة لا يُغلق بسبب الذنب؛ فمتى تاب العبد ورجع إلى ربه تبدلت حاله، قال تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[الفرقان: ٧٠]

فالذنب قد يكون مانعًا من السعادة، لكن التوبة قد تكون بداية السعادة من جديد.

إن للمعاصي شؤمها ولها عواقبها في النفس والأهل في البر والبحر:﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم: ٤١]. المعاصي، تهون العبد على ربه، فيرفع مهابته من قلوب

خلقه ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] روى **الإمام أحمد** –**رحمه الله**– بسنده، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فُرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.(١)

يقول ابن القيم –**رحمه الله**– وهو يعدد آثار الذنوب:

✍ **ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله** لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلا ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة

وما لجرح بميت إيلام

فلو لم تترك الذنوب إلا حذرا من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها

وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له:

إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس

وليس على القلب أمر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان

✍ **ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس:** ولاسيما أهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب

---

١ – أخرجه الإمام احمد في الزهد ص ١٧٦ وإسناده صحيح وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٢١٧

الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه

وقال بعض السلف: إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

✍ **ومنها تعسير أموره عليه:** فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه أو متعسرا عليه وهذا كما إن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسرا و ياالله العجب! كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتى

✍ **ومنها ظلمته يجدها في قلبه:** حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا أدلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر كأعمى أخرج في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادا في الوجه حتى يراه كل أحد قال عبد الله بن عباس إن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق

✍ **ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن :**أما وهنها للقلب فأمر ظاهر بل لا يزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية وأما وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوى قلبه قوى بدنه وأما الفاجر فانه وإن كان قوى البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته عند أحوج ما يكون إلى نفسه فتأمل قوة أبدان

فارس والروم كيف خانتهم عند أحوج ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا إنه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان (١)

إنها مخالفة أمر الله، إنها مخالفة شريعة الله، إنها الذنوب والمعاصي، التي أذلت أعناقًا طالما ارتفعت، وأخرست ألسنًا طالما نطقت وأصمت آذانًا طالما استمعت، وفرقت أسراً وفرقت جموعًا طالما اجتمعت.

بسبب الذنوب والآثام، والمنكرات والإجرام يكون الهم والحزن، إنها مصدر العجز والكسل وفشو البطالة، ومن ثم يكون الجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال.

بها تزول النعم وتحلُ النقم وتتحول العافية ويُستجلب سخط الله.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

فترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

يقول ألكس كاريل :إن الإنسان لم يدرك بعد فداحة النتائج التي تترتب على الخطيئة ، ونتائجها لا يمكن علاجها على وجه العموم .

ويقول سقراط وهو كافر :إن المجرم دائما أشقى من ضحيته، وإن من يكون مجرما ولم يعاقب على

---

١ – الداء و الدواء ص ٧٣–٧٤

جرمه، يكون من أشقى الناس .

هكذا يقول هذان الكافران ، بينما نجد أن ، صحابيا أذنب ، فجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله طهرني ، وكررها على • رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام (١)(٢)

قصة الرجل الذي حرم قيام الليل بذنبه :جاء رجل إلى الإمام الحسن البصري – رحمه الله – فقال له: «يا أبا سعيد، إني أبيتُ معافى، وأحب قيام الليل، وأعدُّ طهوري، فما بالي لا أقوم؟»؛ فقال له الحسن كلمة خالدة تُبيّن أثر الذنوب الخفي على حرمة السعادة والعبادة» :**قيدتك ذنوبك**«(٣).

فالمعصية تقيد الروح وتمنعها من التحليق في معارج الأنس بالله.

قصة التاجر والشعور بالوحشة :يُحكى أن أحد الصالحين رأى رجلاً يشتكي ضيقـًا شديداً في صدره وكآبة لا تزول، رغم أنه موسر ويمتلك التجارة والأموال. فسأله عن حاله مع الله، فاعترف الرجل بأنه يُسرف على نفسه بخلوات الذنوب.

فقال له الشيخ :**إن للذنب ظلمة في القلب يجدها العبد كأنها غشاوة على بصره وضيقة في صدره، ولا يزيل هذه الوحشة إلا نور التوبة.**

ولما صدق الرجل في الإنابة وترك المعصية، قال: «والله لقد وجدت في قلبي انشراحـًا وخفة لم أذقها في حياتي قط.

---

١ –[رواه مسلم ١١/ ١٩٩].

٢ –السعادة بين الوهم والحقيقة (ص: ١٤)

٣ – «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٥٦)

قصة ابن سيرين والدَّيْن (شؤم الذنب ولو بعد حين) :رُوي عن الإمام محمد بن سيرين -رحمه الله -أنه لما ركبه الدَّيْن واشتد عليه الهم والحبس، قال :إني **لأعرف الذنب الذي أصابني هذا؛ عَيَّرْتُ رجلاً منذ أربعين سنة فقلتُ له: يا مفلس** .«!(١)

وهذا يوضح كيف أن الذنوب تُورث الهموم والغموم حتى وإن تناساها العبد، وأن راحة البال لا تكتمل إلا بسلامة الصدر من معاصي اللسان والقلب.

✍**قصة الرجل الذي فقد حلاوة المناجاة** :وقع أحد العبّاد في ذنب، فظل ينتظر عقوبة ظاهرية في ماله أو بدنه فلم يجد شيئًا، فاستمر على حاله، حتى ألقى الله في سريرته مناجاة قيل له فيها :**يا عبدي، كم أعاقبك وأنت لا تدري! ألم أسلُبْك حلاوة مناجاتي؟** .«فتأثر الرجل وعلم أن أعظم سلب للسعادة هو حرمان القلب من الشعور بلذة الطاعة والقرب.

قال عطاء الخرساني رحمه الله: "إن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أَصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عينه فنام عن حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزينًا منكسر القلب، كأنه قد فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل) ".

رابعا: اليأس والقنوط

اعلم -بارك الله فيك -:أن من أعظم موانع السعادة ومظالم النفوس؛ لأنهما يقطعان الروح عن أمل الرحمة والفرج، ويجعلان العبد في ظلمات بعضها فوق بعض .

---

١ - "الحلية": (٢/ ٢٧١)، و"تاريخ دمشق": (٤٣/ ٥٤٦).

وهناك وجوه وشواهد جليّة تُبيّن كيف يمنع اليأس والقنوطُ السعادةَ عن الإنسان:

سوء الظن بالله تعالى:

اليأس والقنوط يستلزمان ضعف الإيمان بسعة رحمة الله وقدرته ولطفه بعطائه؛ والمؤمن الذي يثق بأن الله أرحم بعباده من الأم ولدها لا يعرف القنوط طريقه إلى قلبه.

الحرمان من روح الفرج والتيسير:

قال الله تعالى: {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}؛ فاليأس يحجب العبد عن انتظاره للفرج، وانتظار الفرج عبادة يطمئن بها القلب وينشرح بها الصدر.

الموت النفسي وشلل الحركة:

القنوط يطفئ شعلة الأمل في النفس، ويجعل الإنسان مستسلماً للهموم والأزمات، فيتوقف عن العمل والسعي والدعاء، فتستبد به الكآبة وتنسدّ أمامه الطرق.

الوقوع في شباك الإحباط والأمراض النفسية:

اليائس يرى دنياه سوداء مغلقة، فيقع صريداً للاكتئاب والقلق والخوف المستمر من المستقبل، ويفقد لذة النعم الحاضرة بين يديه مهما كبرت.

القطع عن الدعاء والمناجاة:

أعظم أبواب السعادة هي مناجاة الله والدعاء بثقة ويقين؛ والقنوط يجعل العبد يترك الدعاء لاستعظام الذنب أو البلاء، فيُحرم بذلك من أعظم أسباب السكينة والفرج.

أما المؤمن الحقيقي فيجمع بين الخوف والرجاء، فلا ييأس مهما عظمت ذنوبه، ولا يأمن مهما كثرت حسناته. ولهذا كان الرجاء من أعظم أبواب السعادة والسكينة.

خامسا: الحسد والغيرة

أخي القارئ: إن **الحسد والغيرة** من موانع السعادة، وهما من أشد الأمراض التي تأكل الحسنات وتذهب بحديث السكينة وراحة البال؛ ذلك لأن الحاسد يكون في اعتراض دائم على قسمة الله عز وجل، فلا يهنأ بنعمة لديه، ويظل قلبه يحترق على ما في أيدي الآخرين.

وهناك وجوه وشواهد جليّة تُبيّن كيف يمنع الحسد والغيرةُ السعادةَ عن صاحبها:

✍**عذاب نفسي دائم لا ينتهي** :الحاسد والمغتاظ في سجنٍ مظلم من صنعه؛ فكلما فتح الله على أحدٍ من العباد باب رزقٍ أو توفيق، تجددت حسرته وانعصر قلبه، كما قال القائل:

للهِ دَرُّ الحَسَدِ ما أَعدَلَهْ بَدَأَ بِلِصِّهِ فَقَتَلَهْ.

وقال أحدهم: ليس شيء من الشر أضر من الحسد لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه:

أولاها: غم لا ينقطع.

والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها.

والثالثة مذمة لا يحمد عليها.

والرابعة: يسخط عليه الربّ.

والخامسة: تغلق عليه أبواب التوفيق.

السخط على القضاء والقدر :أصل الحسد اعتراضٌ خفي على توزيع النعم؛ والحاسد يرغب في زوال النعمة عن غيره، وهذا السخط يُجرّده من أعظم أسباب السعادة، وهو الرضا بما قسم الله.

الحرمان من لذة القناعة وعيش السليم :لا يجتمع الحسد مع القناعة في قلب واحد؛ فالمغتاظ يزدرِ ما بين يديه من نِعم وسلامة، ويظل ينظر بأسى إلى ما عند غيره، فيعيش فقير النفس ولو ملك الدنيا.

الشغول بالناس عن إصلاح النفس :يُهدر الحاسد طاقته ووقت عمره في التجسس والمتابعة والمقارنة، بدلاً من السعي في معالي الأمور وتطوير ذاته وعمارة قلبه بطاعة الله.

شؤم العقوبة وزوال الأنس :يورث الحسد وحشة في القلب وجفاءً مع الخَلق، ويُحرم صاحبه من التوفيق ولذة المناجاة، لأن القلب المليء بالغل لا يستقر فيه نور الإيمان الشافي.

فالحسد فأنه يقطع على صاحبه كل لذة و يحول بينه و بين كل راحة إنه الداء العضال الذي أهلك الأمم من قبلنا :

عن الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: " دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر، والذي

نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء، إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " (١)

وقال الطيبي: الدب يستعمل في الأجسام فاستعير للسراية على سبيل التبعية وكذا قوله الحالقة فإنها تستعمل في حلق الشعر فاستعملت فيما يستأصل الدين وليست هي استعارة لذكر المشبه والمشبه به أي البغضاء تذهب الدين كما يذهب الموسى الشعر (٢)

وأمر الحسد خطير، حتى إن الله _تعالى_ يأمرنا بالاستعاذة من شر الحاسد، قال _تعالى_:﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[الفلق: ٥]. وقال الله _تعالى_:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[النساء: ٥٤]

وقال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ موجهاً أمته: "لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً".(٣)

إن الحسد هو أساس فساد الجوارح من القلب والأعضاء جميعاً لم يذهبوا بعيداً، فهو إما أن يكون ناشئاً عن القوة الغضبية لأنه نوع منها، لكنه يتجه اتجاهاً آخر -نسأل الله العفو والعافية- يتجه إلى الإنكار على المنعم وعلى المتفضل تبارك وتعالى، الجواد الكريم الذي أعطى كل نفس مخلوقة كما قال: { كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً } [الإسراء:٢٠] فهو الذي يعطي من يحب ومن لا يحب، يعطي الكافرين ويعطي

---

١ أخرجه الترمذي (٢ / ٨٣) وأحمد (١ / ١٦٥ ، ١٦٧) علل الحديث " (٤ / ٣٢٧) . ٣ – رواه البزار باسناد جيد كما في " الترغيب " (٣ / ٢٦٦)و صححه الألباني في صحيح الترغيب ح ٢٦٩٥

٢ – فيض القدير ج ٣ ص ٦٨٩

٣ – «مسند أحمد» (١٤/ ١٩٩ ط الرسالة):

«وأخرجه البخاري (٦٧٢٤»

المؤمنين، فالحاسد يتجه حقيقة إلى الاعتراض على الله -تبارك وتعالى- لماذا؟ لأن فيه القوة الغضبية التي جعلته يكره هذا الرجل المحسود وينفر منه ثم زادت حتى أدت به إلى الوصول إلى الاعتراض على من أعطاه ومن منّ وتفضل عليه، فالمقصود أن هذا ناشئ عن القوة الغضبية أيضاً.

ولهذا كان من أدلتهم على ذلك أن أول ذنب عصي الله تبارك وتعالى به، ونشأ عنه الكفر والفساد في الدنيا كلها من بني آدم هو الحسد، لأن أصل وقوع الفتنة والشرك والكفر والفواحش والبغي والعدوان في الدنيا هو من إبليس اللعين، وما الذي دفعه إلى ذلك الحسد؟ دفعه إلى ذلك أمر الله تبارك وتعالى الملائكة بأن تسجد لهذا المخلوق آدم عليه السلام { أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } [الإسراء:٦١] { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } [الأعراف:١٢] حسده ولم يقبل أمر الله تبارك وتعالى في أن يسجد له كسائر الملائكة الكرام الذين استجابوا لأمر الله ولم يعترضوا عليه، وهكذا يجب على العبد دائماً ألا يعترض على أوامر الله فينشأ من ذلك الحسد والإباء والاستكبار { أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة:٣٤] ثم بعد ذلك الكفر، فالحسد جعله الله تبارك وتعالى سبباً لوقوع الكفر والفواحش والمصائب والبلايا في هذه الدنيا نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من همز الشيطان ونفخه ونفثه وشره كله.

هذا معاوية: يقول لابنه: يا بني إياك والحسد فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك.

وقال آخر: الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة وذلاً. ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا. ولا ينال في الخلوة إلا جذعاً وغمًا. ولا ينال عند الفزع إلا

بشدة وهولًا، ولا ينال في الموقف إلا فضيحة ونكالاً ، ولا ينال في النار إلا حراً واحتراقًا. نسأل الله السلامة والعافية.

" وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم.

فأخذه بعض الشعراء فقال :

إن الحسود الظلوم في كرب يخاله من يراه مظلوما

ذا نفس دائم على نفس يظهر منها ما كان مكتوما

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ، ويختص بالمخالط والمصاحب ، لكانت النزاهة عنه كرما ، والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر ، وعلى الهم مصر ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا إضرار بمحسود .

وقد قال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك.

وقيل في منثور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه.

وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عمرك، قال: تركت الحسد فبقيت .

وقال رجل لشريح القاضي : إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم ، ووقوفك على غامض الحكم .

فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني.

وقال عبد الله بن المعتز -رحمه الله تعالى-:

اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد ، وليس الأمر على ما ظنوا ؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم والحسد مصروف إلى الضرر ؛ لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم ، من غير أن يصير الفضل له ، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد .(١)

واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة :

أحدهما: بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر ، أو منقبة تشكر ، فيثير حسدا قد خامر بغضا .

وهذا النوع لا يكون عاما وإن كان أضرها ؛ لأنه ليس يبغض كل الناس .

والثاني: أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به ، فيثير ذلك حسدا لولاه لكف عنه .

وهذا أوسطها؛ لأنه لا يحسد الأكفاء من دنا ، وإنما يختص بحسد من علا .

وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسدا.

والثالث: أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، وبخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها ، ولا بيده فيدفع عنها ؛ لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط

---

١ – أدب الدنيا والدين – (ج ١ / ص ٣٣٣)

على الله عز وجل في قضائه ، ويحسد على ما منح من عطائه ، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ، ومنحه عليه أظهر .

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية ، فإن اقترن بشر وقدرة كان بورا وانتقاما ، وإن صادف عجزا ومهانة كان كمدا وسقاما .

وقد قال عبد الحميد: الحسود من الهم كساقي السم، فإن سرى سمه زال عنه غمه.(١)

سادسا: الكبر

اعلم بارك الله فيك- أن الكِبْر من أخطر أمراض القلوب، ومن أعظم ما يحول بين الإنسان وبين السعادة الحقيقية؛ لأن المتكبر يعيش أسيرًا لنظرة الناس إليه، يريد أن يكون أعلى منهم، وأفضل منهم، وأعظم شأنًا منهم، فإذا رأى من يتقدّم عليه أو يفوقه في علم أو مال أو جاه أو منزلة، ضاق صدره واضطرب قلبه.

وقد عرَّف النبي ﷺ الكِبْر بقوله :الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناسِ«؛ أي ردُّ الحق واحتقار الناس.

والإنسان المتكبر يحرم نفسه لذة التواضع، ولذة المحبة، ولذة الألفة مع الناس؛ لأنه ينظر إليهم بعين الاستعلاء، ويرى الاعتراف بالخطأ نقصًا، والاعتذار مهانة، وقبول النصيحة ذلًّا، مع أن هذه الأمور من أسباب رفعة الإنسان وسعادته.

قال الله تعالى :﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾]القصص: ٨٣.[

---

١ – أدب الدنيا والدين – (ج ١ / ص ٣٣٥)

ومن صور الكبر التي تحرم الإنسان السعادة:

- الكبر عن قبول الحق .
- احتقار الفقراء والضعفاء .
- التعالي على الناس بالمال أو المنصب أو النسب .
- الاستنكاف عن الاعتذار عند الخطأ .
- رفض النصيحة لمجرد أنها جاءت ممن هو أصغر أو أقل منزلة .
- رؤية النفس أفضل من الآخرين .

فالسعادة لا تسكن قلبًا يرى نفسه فوق الناس، وإنما تسكن قلبًا عرف فضل الله عليه، فتواضع لله، وأكرم عباده، وقبل الحق ممن جاء به.

والكبر يمنع السعادة ويورث الشقاء من عدة وجوه:

الحرمان من محبة الله وتوفيقه: قال الله تعالى: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}، ومن حُرِم محبة الله فقد حُرِم أصل السعادة والسكينة، وأصبح يُكِلُ نفسه إلى عجبها وضلالها.

الحجاب عن الحق والنور: المتكبر يُحرم من التوفيق لفهم الآيات والانتفاع بالمواعظ، كما قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}؛ فيعيش في عمى روحي وتيه لا يجد معه حلاوة الإيمان.

القلق المستمر وهمّ الظهور: يعيش المتكبر في سجنٍ نفسي دائم؛ لأنه يحتاج باستمرار إلى تغذية غروره، ويخشى أن ينقص قدره في أعين الناس، أو أن يشاركه أحدٌ في ثناءٍ أو رفعة، فيظل قلبه مضطربـًا متوتراً.

الحرمان من الجنة ولذتها: جاء في الحديث الصحيح: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»؛ والجنة هي موئل السعادة المطلقة، فمن حُرِمها فقد باء بالخسران المبين.

الوحشة بينه وبين الخلق: المتكبر ينظر إلى الناس بعين الاستعلاء والمغمص (غمط الناس)، فينفضّ الناس من حوله ويكرهون قربه، فيعيش معزولاً معنويـًا، مكسور القلب وإن أظهر القوة.

❊❊❊❊

الفصل الثاني موانع السعادة في السلوك والأخلاق

اعلم زادني الله وإياك علما: أنَّ الأخلاقَ السيئةَ والسلوكياتِ المُنحرفةَ ليست مجردَ آثامٍ يُسجِّلُها الكرامُ الكاتبون فحسب، بل هي سُمومٌ عاجلةٌ يَجرَعُها صاحبُها قبلَ غيرِهِ؛ فالحاسدُ يَحترقُ بنارِهِ قبلَ أن تصيبَ المَحسودَ، والمتكبرُ يعيشُ في سِجنِ غُرورِهِ الموحشِ، واليائسُ يقطعُ على نفسه أسبابَ المَخرجِ والفرجِ، والعاصي يجدُ في صدرِهِ حَرَجًا ووحشةً لا يُزيلُها متاعُ الدنيا بأسرِهِ.

فالأخلاق السيئة لا تفسد علاقة الإنسان بالآخرين فحسب، بل تعود آثارها على صاحبها قبل غيره؛ فالكذب يذهب بالثقة، والغيبة تفسد القلوب، والحسد يحرم صاحبه راحة النفس، والكبر يعزله عن الناس، وسوء الظن يملأ القلب بالقلق، والغضب غير المنضبط يورث الندم والخصومات، والظلم يذهب بطمأنينة القلب وبركة الحياة.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالعناية العظيمة بإصلاح السلوك وتهذيب الأخلاق، وربطت صلاح الظاهر بصلاح الباطن، وجعلت حسن الخلق من أجلِّ ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق».

ومن هنا يتبين أن السعادة لا تكتمل بمجرد امتلاك الإنسان لبعض أسباب الراحة المادية، إذا كان يحمل في قلبه أخلاقًا تفسد عليه حياته، وتقطع صلته بالناس، وتحرمه لذة الألفة والمودة.

وفي هذا الفصلِ، نقفُ بعونِ اللهِ وتوفيقِهِ على أبرزِ الموانعِ الأخلاقيةِ والسلوكيةِ التي تسلبُ الإنسانَ سعادته، ونتأمَّلُ كيفَ تصبحُ هذه الآفاتُ سَببًا في ضِيقِ

العيشِ وشتاتِ الأمرِ، مع بيانِ سُبلِ التخلّصِ منها والتطهرِ من آثارها؛ ليعودَ للقلبِ صَفَاؤُهُ، وللنفسِ أُنسُها واطمئنانُها.

أولا: الظلم

أخي القارئ الكريم –اعلم بارك الله فيك –:أن الظلم من أعظم ما يحرم الإنسان من السعادة، سواء كان ظلمًا للناس أو ظلمًا للنفس بالمعاصي. فالظالم يعيش في خوف دائم من العقوبة، وتذهب عنه طمأنينة القلب، حتى لو ملك الدنيا كلها.

لماذا يحرم الظلم صاحبه من السعادة؟

الظلم يزرع في القلب وحشةً وخوفًا وقلقًا. فالظالم يشعر في قرارة نفسه أنه معرّض لأخذ الله له في أي لحظة، فيفقد السكينة، ويعيش في اضطراب نفسي مستمر. كما أن الظلم يمحق البركة، ويورث بغض الناس، ويمنع قبول الدعاء.

وقد قال النبي ﷺ :اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"(١)

وقال الله تعالى:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

من آثار الظلم على سعادة الإنسان:

- **الخوف والقلق الدائم** :الظالم يخاف انتقام المظلوم أو عقوبة الله، فلا ينام مرتاحًا.
- **ذهاب البركة** :يُمحق ماله وعمره وعلاقاته بسبب الظلم.

---

١ – مسلم (٤/ ١٩٩٦ رقم ٢٥٧٨).

- وحشة القلب :يفقد الأنس بالله وبالناس، ويصبح منبوذًا ولو في الظاهر محترمًا.
- سوء الخاتمة :وهو أعظم ما يسلب السعادة الأبدية.
- الظلمة يوم القيامة :كما جاء في الحديث، فيحرم من النور والسكينة في الآخرة.

واعلموا أن الظلم ينقسم إلى ثلاثة أنواع الظلم:

الأول ـ أن يظلم الناسُ فيما بينهم وبين الله تعالى:

وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان:١٣)، وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

الثاني ـ ظلم بينه وبين الناس:

وإياه قصد بقوله: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (سورة الشورى:٤٠) ، وبقوله: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ} (سورة الشورى ٤٢) .

الثالث ـ ظلم بين العبد وبين نفسه:

وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] ، وقوله على لسان نبيه موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦] ، وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهمُّ بالظلم فقد ظلم نفسه.

قال الذهبي: «الظلم يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا، وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء»، وقد عده من الكبائر، وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث التي تتوعد الظالمين، نقل عن بعض السلف

قوله: «لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء»، ثم عدد صورًا من الظلم منها: أخذ مال اليتيم ـ المماطلة بحق الإنسان مع القدرة على الوفاء ـ ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة ـ ظلم الأجير بعدم إعطائه الأجر.

ومن الظلم البيِّن الجور في القسمة أو تقويم الأشياء، وقد عدها ابن حجر ضمن الكبائر.

واعلم - رحمني الله و إياك- : أن الله تعالى حذر من الظلم في غير ما آية من كتابه و اخبرنا أن عاقبة أهله خسرا و حذرنا منه الصادق المصدوق - ﷺ -في أحاديث كثيرة نذكر طرفا منها لبيان شقوة هؤلاء :قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وقال: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، أما ظلم العبد لغيره بالعدوان على المال والنفس وغيرها، فهو المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله ليملي

للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] » (١).

وفي الحديث: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي سلمة بن عبد الرحمن، وكان بينه وبين الناس خصومة: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»،

وكان معاوية رضي الله عنه يقول: «إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله»، وقال أبو العيناء: «كان لي خصوم ظلمة، فشكوتهم إلى أحمد بن أبي داود، وقلت: قد تضافروا عليَّ وصاروا يدًا واحدة، فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فقلت له: إن لهم مكرًا، فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، قلت: هم من فئة كثيرة، فقال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ».(٤)

وقال يوسف بن أسباط: «من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يُعْصَى الله في أرضه».(٥)

---

١ – أخرجه البخاري ح ٤٣١٨ ومسلم ح ٤٦٨٠

٢ – أخرجه مسلم (٨ / ١٨) و البخاري في " الأدب المفرد " (٤٨٣) و أحمد (٣ / ٣٢٣أبو داود (١ / ٢٦٨) و الحاكم (١ / ٤١٥)

٣ – أخرجه أحمد (٧٩/٦) والبخاري (١٧٠/٣) ومسلم (٥/ ٥٩)

٤ –«مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (٢٦/ ٤٦٨).

٥ – «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» (٢/ ٤٣٥)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لما كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه».

وقال أبو ثور بن يزيد: «الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه».

وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم، لأوشك أن تخرب».

وقال بعض الحكماء: «اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك، لا يعجبك رَحْبُ الذراعين سفَّاكُ الدماء، فإن له قاتلاً لا يموت».

وكان يزيد بن حاتم يقول: «ما هِبْتُ شيئًا قط هيبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبي الله، الله بيني وبينك».

وبكى عليٌّ بن الفضيل يومًا، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة.

ونادى رجل سليمان بن عبد الملك ـ وهو على المنبر ـ: يا سليمان اذكر يوم الأذان، فنزل سليمان من على المنبر، ودعا بالرجل، فقال له: ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام».

ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج، فقال: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد

دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادي، حلمي على الظالمين أحلَّ المظلومين في أعلى عليين.

وقيل: «من سَلَبَ نعمةَ غيرِه سَلَبَ نعمتَه غيرُه»، ويقال: «من طال عدوانه زال سلطانه».

فإن الظلم مرتعه وخيم وعاقبته سيئة إلى أبعد الحدود، ومن الأمثلة المعاصرة التي تصور عقبى الظلم ومآل الظلمة، رجل تجبر وتكبر وبلغ به التجبر والطغيان إلى حد أنه كان يقول للمؤمنين وهو يعذبهم حينما يستغيثون بالله يقول: أين إلهكم لأضعنه في الحديد... فكان جزاؤه العاجل أن تصطدم سيارته بشاحنة تحمل حديداً، فدخل الحديد في جسمه من أعلى رأسه إلى أحشائه، وعجز المنقذون أن يخرجوه إلا قطعـًا. هكذا أهلكه الله بالحديد وهو الذي يقول: إنه سيضع الله في الحديد _تعالى_ عما يقول الظالمون.

فرعون. ملك مصر الذي عاش في رعب دائم:

كان فرعون أعظم ملوك الأرض في زمانه، يملك الجيوش والقصور والكنوز، ويُذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، ويدّعي الألوهية فيقول: «أنا ربكم الأعلى.

لكنه لم يعرف يومًا طعم السعادة أو الطمأنينة. كان يعيش في خوف مستمر من زوال ملكه، ومن دعوة موسى عليه السلام. حتى زوجته آسية المؤمنة كانت تدعو الله أن ينجيها منه ومن عمله.

وكانت نهايته أن أغرقه الله في البحر أمام عيون الناس، فصار عبرة لكل ظالم.

قال تعالى:﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص: ٤٠] ملك الدنيا كلها ولم يملك لحظة سكينة حقيقية.

الرجل الذي ظلم سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-

عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟

قال أبو إسحق: أما أنا، والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأولين، وأخف في الأخريين.

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحق. فأرسل معه رجلا، أو رجالا، إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن. (١)

فاستجاب الله دعاءه، وعاش الرجل طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وأصبح فقيرًا مفتونًا يتعرض للجواري في الطرق.

---

١ - أخرجه: البخاري ١/ ١٩٢ (٧٥٥)، ومسلم ٢/ ٣٨ (٤٥٣) (١٥٨).

كان كلما سُئل يقول: «شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.»

ظلم بكلمة واحدة، فحُرم الراحة والعزة حتى مات.

الحجاج بن يوسف الثقفي:

كان من أشد الولاة ظلمًا وبطشًا في التاريخ الإسلامي، سفك الدماء بغير حق، وأخاف الناس، حتى قيل إنه قتل عشرات الآلاف.

عاش معظم حياته في قلق وخوف من الثأر، وفي آخر أيامه أصابه مرض شديد، وكان يكرر في ساعاته الأخيرة" :اللهم اغفر لي، وما أراك تفعل "!

ومات وهو يتمنى المغفرة بعد أن أذاق الناس الويلات، فلم يجد في ملكه ولا في قوته ما يملأ قلبه سعادة أو طمأنينة.

قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع سعيد بن جبير :لما قتل الحجاجُ الإمامَ التابعي سعيدَ بن جبير – رحمه الله –، لم يهنأ بعدها بعيش، وسُلبت منه السكينة بالكلية «عن يحيى بن سعيد، عن كاتب الحجاج قال مالك –هو أخ لأبي سلمة الذي كان على بيت المال– قال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام يستخفني ويستحسن كتابتي، وأدخل عليه بغير إذن، فدخلت عليه يوما بعدما قتل سعيد بن جبير وهو في قبة له، لها أربع أبواب، فدخلت عليه مما يلي ظهره، فسمعته يقول: مالي ولسعيد بن جبير فخرجت رويدا وعلمت أنه إن علم بي قتلني فلم ينشب قليلا حتى مات.» (١)

، وظل يعاني من الكوابيس والآلام النفسية والبدنية الشديدة ولم يعش بعده إلا أيامـًا معدودة حتى هلك، فكان قتله لسعيد مانعـًا له من طعم النوم والراحة.

---

١ –«سير أعلام النبلاء – ط الحديث» (٥/ ١٩٣)

عجوزٌ تدعو على وزير:

ذكر التنوخي: أن أحد الوزراء في بغداد وقد سماه اعتدى على امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها، فذهبت إليه تبكي تشتكي من ظلمه، فما ارتدع وما تاب وما أناب قالت: لأدعون الله عليك، فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال عليك بالثلث الأخير من الليل يستهزئ بها فذهبت وداومت على الثلث الأخير من الليل كما وصف لها هو، فما هو إلا وقت قصير إذ عُزل هذا الوزير وسلبت أمواله، وأخذ عقاره ثم أقيم في السوق يجلد؛ تعزيرًا له على أفعاله فخرجت له العجوز فقالت له: أحسنت، لقد وصفت لي الثلث الأخير من الليل فوجدته أحسن ما يكون.» (١)

فقد سُلبت منه نعمته وسعادته في لحظة واحدة.

قصة البرامكة وزوال النعمة :لما حلت النكبة بالبرامكة – وكانوا قد بلغو من العز والسلطان والمال شيئًا عظيمًا لكنهم غفلوا عن حقوق العباد مظلمةً واستكباراً –:

عن مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن يَحْيَى بْن خَالِد بْن برمك، قَالَ: قَالَ أبي لأبيه يَحْيَى بْن خَالِد بْن برمك، وهم فِي القيود، والحبس: يا أبة، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصفوف والحبس؟ قال: فقال لَهُ أَبُوهُ: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غَفَلْنَا عنها، ولَمْ يغفل الله عنها، ثُمَّ أنشأ يَقُولُ

رب قوم قد غُذُّوا فِي نِعمةٍ زمَنًا والدَّهرُ رَيَّان غَدِقْ

سكتَ الدَّهْرُ زمانًا عنهم ثُمَّ بكَّاهم دَمًا حين نَطقْ (٢)

---

١ – من عجائب الدعاء – الجزء الأول» لخالد بن سليمان الربعي (ص٧٦)

٢ –«تاريخ بغداد» (١٦/ ١٩٥ ت بشار)

ثانيا عقوق الوالدين وقطيعة الرحم

اعلم –بارك الله فيك : أن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من أعظم موانع السعادة في الدنيا والآخرة، وهما يسلبان البركة والسكينة من حياة الإنسان أشد ما يكون.

لماذا يُعدّان مانعًا للسعادة؟

عقوق الوالدين وقطيعة الرحم يقطعان صلة الإنسان بمن كانوا سبب وجوده، ويفسدان علاقته بأهله. فيعيش في وحشة داخلية، ويحرم من دعاء الوالدين وبركتهما، ويُعرض نفسه لسخط الله الذي جعل رضاه في رضا الوالدين.

وقد قال النبي ﷺ: عن أبي هريرة–رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف (١) ، ثمّ رغم أنف، ثمّ رغم أنف.» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة"(٢)

مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ. (٣)

يعني قاطع الرحم.

وقال الله تعالى في شأن الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

---

١ –رغم أنف: الرغام: التراب، ورغم أنفه: أي لصقه بالتراب، والمقصود الدعاء عليه بالذل.

٢ – أخرجه مسلم في صحيحه [٩ – (٢٥٥١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣] باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة. والترمذي [٣٥٤٥]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٤، ٣٤٦]، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٤٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٨]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٧، ٥٠٨].

٣ – صحيح، متفق عليه عن جبير بن مطعم. البخاري ومسلم. اللؤلؤ والمرجان برقم ١٦٥٦، وسنن الترمذي برقم ١٩٧٤، ومسند ابن حنبل (تحقيق أحمد شاكر) برقم ١٦٨٦، وسنن أبي داود برقم ١٦٩٦، وصحيح الجامع الصغير ٦ : ٢٢٧ برقم ٧٥٤٨.

وفي قطيعة الرحم قال -جل ذكره- : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]

من آثار عقوق الوالدين وقطيعة الرحم على السعادة:

ذهاب البركة من العمر والمال: يُمحق الرزق ويُضيَّق العيش.

وحشة القلب وانقباضه: يعيش العاق وقاطع الرحم في قلق دائم وندم خفي.

حرمان دعاء الوالدين: ودعاءهما مستجاب، فحرمانه من أعظم الخسائر.

سوء العاقبة: كثير من الذين عقوا والديهم أو قطعوا أرحامهم رأوا العقوبة في أنفسهم أو أولادهم.

اللعنة والبعد عن رحمة الله: كما جاء في الآية.

أما بر الوالدين وصلة الرحم فهما من أعظم أبواب السعادة وطول العمر وسعة الرزق،:عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه".(١)

شقوا بالعقوق

الابن الذي جرّ أباه.. فجرّه ابنه:

يُروى أن رجلاً كان عاقًّا لأبيه، فكان يجرّه برجله ليخرجه من الدار غضبًا.

فلما كبر هذا العاق وصار له ولد، فعل به ابنه مثل ما فعل هو بأبيه: جرّه برجله إلى خارج الدار.

فلما بلغ به الباب قال الابن لأبيه:

---

١ - رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (٢٥٥٧)

«حسبك، ما كنتُ أجرّ جدي إلا إلى هذا المكان».

فعلم الأب العاق أن ما فعله بوالده قد عاد عليه، وعاش بقية عمره في حسرة وندم لا ينقطع.

عن ثابت البناني – رحمه الله – قال : رأيت رجلا يضرب أباه في موضع فقيل له ما هذا ؛

فقال الأب: خلو عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع.!! (١) .

قال الأصمعي: – حدثني رجل من الأعراب قال خرجت أطلب أعق الناس وأبر الناس ، فكنت أطوف بالأحياء ، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر الشديد ، وخلفه شاب في يده رشاء – حبل – من قدّ ملوي يضربه به ، وقد شق ظهره بذلك الحبل فقلت : أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه مد هذا الحبل حتى تضربه ؛؛

قال : إنه مع هذا أبي ، قلت : فلا جزاك الله خيرا ، قال : اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه ، وكذا كان أبوه يصنع بجده ، فقلت : هذا أعق الناس .

ثم جُلت حتى انتهيت: إلى شاب وفي عنقه زبيل فيه شيخ كأنه فرخ ، فكان يضعه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يزق الفرخ ، فقلت : ما هذا ؛ قال : أبي وقد خرف ، وأنا أكفله ، قلت : هذا أبر العرب . (٢).

روى ابن أبي الدنيا قال:– عن أبي قزعة رجل من أهل البصرة قال : مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة ، فسمعنا نهيق حمار ، فقلنا لهم : ما هذا النهيق ؛

---

١ – غذاء الألباب ٣٧٣/١ للسفاريني، وعقوق الوالدين ص٦٩

٢ – المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي ص٦١٤ وعقوق الوالدين ص٦١ — ٦٢

قالوا هذا : رجل عندنا ، فكانت أمه تكلمه بالشيء فيقول انهقي نهيقك ، فكانت أمه تقول ، جعلك الله حمارا ، فلما مات ، نسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة . (١)

وعن أبي عبد الرحمن الطائي قال :- كان رجل من بني نهد قد كبر وضعف يكني أبا منازل ، وله ابن يقال له : منازل ، وكان له ولد صغار ، فكان إذا أصاب الشيخ شيئا أعطاهم إياه ، وكان يقبض عطاء أبيه ، وكان شيخ كبيرا ، فولد للشيخ بنون صغار فكان منازل يستأثر عليهم فلما خرج العطاء ، خرج منازل يقود أباه ، حتى أجلسه ليقبض عطائه ، فلما نودي باسمه ، قام منازل ، فقال : أعطوني عطاءه فقام الشيخ فقال : أعطوني عطائي في يدي ، ففعلوا ، فحمل عطاءه ، ثم قام يتوكأ على منازل ، فقال منازل : هلم أحمله عنك ، قال : دعه ، فلما خلا له الطريق ، فك يد أبيه ثم أخذ العطاء ، فذهب به ، فانصرف الشيخ وليس معه في يده شيء فقال له أهله وولده : ما صنعت ، قال أخذ منازل عطائي ثم انشأ يقول :-

جزت رحم بيني وبين منازل جزاء كما يستنجز الدين طالبه

وربته حتى إذا ما هو استوي كبيرا وساوي عامل الرمح غاربة

تظلمني مالي كذا ولوي يدي لوي يده الله الذي هو غالبه

فأصبح منازل ملويا يده. (٢)

---

١ – مجابوا الدعوة لابن أبي الدنيا ص٨٤. ،و البر والصلة – (١ / ٥٥)رقم ١٠٧) .

٢ – مجابوا الدعوة ص ١٠٤ – ١٠٥. ، و عيون الأخبار – (١ / ٣٠٩).

وذكر العلماء أن رجلا كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بني، ماذا تريد أن تفعل بي؛ قال: أريد أن أذبحك، قال: إن أبيت إلا ذبحي فاذبحني عند الصخرة التالية، أنا كنت قبلك عاقا لوالدي وذبحته عند تلك الصخرة، ولك يا بني مثلها.

✍النضير بنت الساطرون صاحب الحضر :- الساطرون هو القيزن بن معاوية صاحب الحضر ، وهو حصن على حافة الفرات ، وبداخله مدينة عظيمة ، أغار عليه سابور وحصره سنتين ، فأشرفت النضيرة بنت الساطرون فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا ، فدست إليه أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر ، فقال : نعم ، فلما أمسي ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، وبعث بها مولى لها ففتح الباب ، ويقال : بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضرة ، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه ، وسار بها معه فتزوجها فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذا جعلت تململ لا تنام ، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرك ! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؛ قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ ، ويسقني الخمر ، قال : أفكان هذا جزاء أبيك ما صنعت به ؟!؛ أنت إلي بذلك أسرع، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها، كما كانت سببا في مقتل أبيها..

والجزاء من جنس العمل ... (١)

الشاعر جرير بن عطية :- كان جرير بن عطية الشاعر أعق الناس بأبيه ، وكان بلال أبنه كذلك ، فراجع بلالا في الكلام ، فقال له بلال : الكاذب بيني وبينك فاعل بأُمه ، فأقبلت أُمه عليه ، وقالت : يا عدو الله تقول هذا لأبيك ! فقال جرير: دعيه فكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي. (٢)

ثالثا: الخوف من غير الله

أخي الحبيب اعلم زادك الله علما وفهما-:أن الخوف من غير الله من أعظم موانع السعادة، لأنه يسلب القلب أمنه وطمأنينته، ويجعل الإنسان يعيش في قلق دائم وتوتر مستمر.

مفهوم الخوف من الناس وصوره:

الخوف من الناس هو أن يُبالغ الإنسان في الخشية من أحكامهم وانتقاداتهم، حتى يصبح رضاهم مقياسًا لقيمته، وتصبح كلماتهم مصدرًا لطمأنينته أو شقائه.

وهذا الخوف له صور متعددة، منها:

الخوف من كلام الناس : فيظل الإنسان مشغولًا بما سيقوله الآخرون عنه، ويحسب لكل كلمة حسابًا، حتى يفقد عفويته وراحته.

الخوف من النقد والسخرية : فيمتنع عن تجربة شيء جديد، أو طلب العلم، أو ممارسة عمل نافع؛ خشية أن يخطئ فيضحك الناس عليه.

الخوف من رفض المجتمع :فيتنازل الإنسان عن بعض قناعاته ومبادئه؛ حتى يحظى بالقبول الاجتماعي.

---

١ – الجزاء من جنس العمل جـ٢ ص١٩٠ – ١٩١ والبداية والنهاية جـ٢ ص١٦٨ – ١٧٠.

٢ – الجزاء من جنس العمل جـ٢ ص١٩٢. كتاب حرص السلف على بر الوالدين وعقوق الخلف للمؤلف.

الخوف من الفشل أمام الآخرين :فيترك المرء أحلامه ومشروعاته قبل أن يبدأ؛ لأنه لا يحتمل أن يراه أحد وهو يتعثر أو يخطئ.

الخوف من فقدان المكانة الاجتماعية :فيتكلف ما لا يطيق، وينفق فوق قدرته، ويتظاهر بما ليس عنده؛ ليحافظ على صورة معينة في أعين الناس.

الخوف من لوم الآخرين :فيعجز عن قول الحق، أو الاعتذار عن أمر لا يستطيع القيام به، أو اتخاذ قرار صحيح يخالف رغبات المحيطين به.

وهذه الصور، وإن اختلفت مظاهرها، يجمعها أمر واحد :أن يمنح الإنسان الناس سلطةً أكبر من حقهم على قلبه وقراراته.

لماذا يُعدّ مانعًا للسعادة؟

من خاف غير الله تعلق قلبه بالمخلوقين، فأصبح أسيرًا لرضاهم أو غضبهم أو قوتهم. فيعيش في خوف دائم من الناس أو الفقر أو المرض أو السلطة، فلا يستقر له بال، ولا يذوق طعم السكينة.

أما من جعل خوفه من الله وحده، فإنه يأمن ويطمئن، لأن الله يكفي عبده.

وقد قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢]

وقال:﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقال النبي ﷺ: "من خاف الله خوّف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خوّفه الله من كل شيء. (١)

من آثار الخوف من غير الله على السعادة:

---

١ – «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٥/ ٢٢١٦): «قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد معضل وقد تقدم اهـ.»

✍**القلق الدائم** :يعيش الإنسان في توتر وخوف من المخلوقين.

✍**ضعف التوكل** :فيعتمد على الأسباب والمخلوقين أكثر من اعتماده على الله.

✍**الذل والهوان** :من خاف الناس ذلّ لهم، ومن خاف الله أعزه الله.

✍**ذهاب السكينة** :لأن الأمن الحقيقي لا يأتي إلا من الله.

✍**الاضطراب النفسي** :كثرة المخاوف من الفقر والناس والمستقبل تُذهب راحة البال.

فصاحب المال والتجارة لذي لا يتقي الله ولا يحصن ماله بالزكاة تجده يخاف من الفقر والإفلاس وصاحب المنصب الذي طلبه وسعى من أجله تجده يخاف من العزل وضعيف الإيمان الذي استقر حب الدنيا في قلبه يرهب عدوه من الكفرة والظلم فهؤلاء وإن امتلكوا الأموال والمناصب إلا أنهم في هم وخوف لا يجدون لما حققوا سعادة ولا راحة إنه الخوف من غير الله تعالى والعمل من أجل غيره .

✍**الحرمان من راحة البال**: من أعظم آثار الخوف من الناس أن يعيش الإنسان أسيرًا للتفكير في أحكامهم؛ فإذا تكلم خاف أن يُساء فهمه، وإذا صمت خشي أن يُتهم بالضعف، وإذا نجح خاف الحسد، وإذا أخفق خاف الشماتة.

وهكذا لا ينتهي القلق؛ لأن الناس مختلفون في طباعهم وأذواقهم، وما يُرضي أحدهم قد يُغضب الآخر، وما يراه إنسانٌ صوابًا قد يراه غيره خطأً.

فإذا جعل الإنسان راحته معلقةً برضا الناس، جعل سعادته رهينةً لأمر لا يستطيع التحكم فيه.

وقد قال الله تعالى:﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

فإلى الله المرجع والمصير، وهو سبحانه الذي ينبغي أن يكون رضاه أعظم مقاصد الإنسان، لا أن يستنزف عمره في محاولة إرضاء كل من حوله.

إرضاء الناس على حساب رضا الله:

من أخطر آثار الخوف من الناس أن يُقدِّم الإنسان رضا المخلوقين على رضا الخالق، فيترك واجبًا، أو يسكت عن حق، أو يجامل على حساب دينه؛ خشية أن يفقد مكانته أو يتعرض للوم.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى عظيم شأن طلب رضا الله عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رضي الله عنه، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ". (١)

وهذا الحديث يضع قاعدة عظيمة لحياة سعيدة مستقرة :لا تجعل رضا الناس مقدمًا على رضا الله، ولا تترك الحق من أجل تصفيق عابر أو ثناء زائل.

فمن جعل غايته إرضاء الناس أتعب نفسه؛ لأن مطالبهم لا تنتهي، أما من طلب رضا الله، مع الحكمة والرفق وحسن الخلق، فقد وضع قلبه على الطريق الصحيح.

قيود الأوهام: ما من قيد أثقل على روح الإنسان، وأشد إحكاماً لاغتيال سعادته، كقيد الخوف من الناس؛ أعني ذلك التمركز المرضي حول نظرات الخلق، والترقب الدائم لتقييماتهم، والحذر المستمر من ألسنتهم. إن الإنسان الذي يجعل من رضا الناس وميزانهم قبلةً لخطواته، يعيش في سجن دائم لا

---

١ – أخرجه ابن حبان (١/٥١٠، رقم ٢٧٦) ، وابن عساكر (٥٤/٢٠) .

تنتهي جدرانه، فالسعادة الحقيقية تبدأ حيث ينتهي استجداء القبول البشري، وتزدهر النفس حين تتحرر من عبودية "ماذا سيقول الناس؟".

اغتيال البساطة وضياع العفوية:

الخوف المبالغ فيه من آراء الآخرين يحول الحياة من راحة عفوية إلى مسرحية متكلفة.

فالشخص المهووس بنظرات المحيطين به يفقد القدرة على التصرف بطبيعته؛ فهو يمشي بحذر، ويتكلم بوزن مفرط، ويضحك بحساب، كأنه يرتدي درعاً ثقيلاً من القلق في كل لحظة.

هذه المراقبة المستمرة للنفس تستهلك طاقة العقل والقلب، وتفرغ الحياة من بهجتها التلقائية وبساطتها التي هي أساس الطمأنينة.

استنزاف الطاقة النفسية والعقلية:

إن الانشغال الدائم بما يدور في أذهان الآخرين يشبه حمل صخرة عظيمة صعوداً طوال اليوم.

يظل العقل في حالة استنفار عصبي دائم :كيف أبدو؟ هل أعجبهم؟ ألم أخطئ في كلمتي؟ هذا القلق المستمر لا يمنح الروح فرصة للهدوء أو التأمل، ويؤدي تدريجياً إلى الإرهاق النفسي، بل وربما الاكتئاب والشعور بالعجز، لأن إرضاء الناس غاية لا تدرك، ومن رام إرضاء الجميع كان كمن يحاول قبض الريح بكفيه.

شلل الإرادة ووأد الإبداع: كم من فكرة عظيمة وأدها الخوف من سخرية الناس؟ وكم من موهبة دفنت في تراب التردد خشية النقد؟ الخوف من آراء الآخرين هو العدو الأول للإبداع والمبادرة.

فالإنسان الخائف من نظرة المجتمع يفضل السلامة الباردة على خوض غمار التميز والتألق؛ لأنه يخشى الفشل العلني أو النقد اللاسع. وبهذا، يحرم نفسه والمجتمع من عطائه، ويبقى حبيس دائرة المألوف والتقليد.

فقدان الاستقلالية وبوصلة الحياة:

حين يصبح الخوف من الناس هو الموجه، تفقد بوصلة الحياة اتجاهها الصحيح.

يصبح الإنسان مرآة تعكس أهواء المحيطين به لا شخصية مستقلة ذات رسالة وقيم واضحة.

يتبنى آراءً لا يؤمن بها، ويسلك دروبًا لا يرتضيها قلبه، فقط ليظفر برضا مزيف أو يهرب من كلمة عابرة.

وفي النهاية، يكتشف أنه عاش حياةً ليست حياته، وضحى بسعادته الحقيقية في سبيل إرضاء أناس لا يملكون بأنفسهم نفعًا ولا ضراً.

رابعا: أصدقاء السوء طريق إلى الشقاء

أخي القارئ الكريم-اعلم بارك الله فيك- : أن الصديق يترك تأثيراته السلبية والإيجابية من خلال الجانب الشعوري على صديقه، مما يجعل مسألة الصداقة من المسائل التي تتصل بالمصير الإنساني في كثير من الحالات، وهذا ما نقرأه في قوله سبحانه وتعالى الذي يحدثنا عن بعض مشاهد القيامة التي تنطلق من

خلال التجارب التي عاشها الإنسان في الدنيا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

إننا ندرس من خلال هذا النموذج الذي يقدمه الله سبحانه وتعالى الإنسان الذي يعيش الحسرة والندامة في حياته تجاه الخط المنحرف الذي تحرك فيه، انطلاقاً من تأثره بصداقة بعض الناس الذين حببوا له الضلال، واستغلوا مشاعره العاطفية فكانت النتيجة إن وصل إلى هذا المصير الذي جعله بعيداً عن رحمة الله سبحانه وتعالى.

وإذا أردنا أن نقدم أمثلة في هذا المجال، فنجد أن هناك عنواناً عاماً يتحدث عنه القرآن الكريم بالنسبة للتابعين والمتبوعين لأن هذه قد تكون إيحاءاتها في نطاق المستكبرين والمستضعفين، ولكن يمكن أيضاً أن نستوحي منها معنى أكثر شمولية في نطاق كل مَن يتبع إنساناً، ولو من الناحية العاطفية كالزوج الذي يتبع زوجته من خلال العاطفة، أو الزوجة التي تتبع زوجها من خلال العاطفة، أو الصديق الذي يتبع صديقه من خلال العاطفة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧ ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧] فنحن نلاحظ أن القرآن يؤكد على أن التابعين يتحملون المسؤولية حتى لو كان هناك ضغط مادي أو ضغط عاطفي يفرض عليهم هذا الاتباع المنحرف، فإن الله ينبّه الناس

أن عليهم أن يتفادوا هذه التجربة وأن يتخلصوا من الجو الذي يفرض عليهم مثل هذه الضغوط، وهذا ما نستوحيه من آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] فالله سبحانه وتعالى عندما يحمّل هؤلاء المستضعفين المسؤولية في انجرافهم مع المستكبرين، وتنفيذهم خطواتهم المنحرفة، فإنه تعالى يريد لهم أن يبتعدوا عن الجوف المنحرف حتى لا يعيشوا تحت الضغط، وفي هذا دلالة إيحائية على أن أي إنسان لابد له أن لا يوقع نفسه تحت الضغط العاطفي والمادي الذي قد يتوجه به في الاتجاه الخطأ، وانه عندما يعيش ضمن هذا الجو فلابد له أن يهرب منه وأن يتخلص منه.

إن مثل هذه الخطوط التربوية التي انطلق منها القرآن في الجانب العام من تأثر الإنسان بالإنسان الآخر، وضرورة أن يبقى الإنسان مع فكره بحيث لا يخضع فكره للآخرين، وأن يتخلص من الأجواء الضاغطة، وأن يعمل على أساس أن يحمي إيمانه بالشكل الأساسي.

الأصدقاء في موقف الآخرة:

من خلال ذلك، نستوحي هذه الآية الكريمة: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] باعتبار أن الصداقات التي كانت تتحرك من خلال الأوضاع الطارئة في الدنيا سوف تنفتح على نتائج المسؤولية في الآخرة، وسوف يقف الأصدقاء الذين كانوا يجتمعون في الدنيا على مواقع اللهو والعبث والخيانة والانحراف والكفر وما إلى ذلك، سيقفون هناك أمام المصير

المحتوم ليحمّل كل واحد مسؤولية ضلاله للآخر. ومن الطبيعي فن الصداقة سوف تنقلب إلى عداوة عندما يكتشف الإنسان الذي كان خاضعاً لتأثيرات الصداقة في خط الانحراف، إن صديقه كان عدواً في ثوب صديق.

أما المتقون الذين كانوا يتعاونون على البر والتقوى، وكانوا ينفتحون على الله، وكانوا يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، فإن من الطبيعي أن تبقى صداقتهم لأنها كانت إيجابية في الدنيا وسارت على الخط الذي تلتقي فيه الدنيا بالآخرة.

إن السعادة ليست مجرد لحظات عابرة من المرح والضحك، بل هي حالة من السكينة الداخلية، والاستقرار النفسي، والرضا عن الذات. ومن هذا المنظر، يتجلى الأثر الهدمي لأصدقاء السوء على سعادة الإنسان في المحاور التالية:

تسميم السكينة الداخلية وجر النفس للمخالفات:

لا تكتمل سعادة المرء إلا إذا كان قلبه مطمئناً، وضميره حياً ورضياً. أصدقاء السوء يجرون الإنسان تدريجياً نحو الخطايا، والمخالفات، والعادات السيئة التي تخدش نقاء الروح. قد يبدأ الأمر بمجاراة عابرة أو خجل من الرفض، ولكنه ينتهي بوخز الضمير والشعور بالذنب، وهو الأعظم أثراً في سلب الطمأنينة وإطفاء نور السعادة الداخلي.

استنزاف الطاقة النفسية والإيجابية:

غالباً ما تتسم بيئة أصدقاء السوء بالتنافس المذموم، أو الغيبة، أو الحقد، أو السخرية، ونشر الطاقات السلبية.

محالطة هذه النماذج تحرم الإنسان من عفويته، وتجعله في حالة دفاع دائم أو مقارنة مستمرة.

وبدلاً من أن تكون الصحبة متنفساً من أعباء الحياة، تتحول إلى عبء إضافي يستهلك طاقة العقل والقلب.

إضعاف تقدير الذات وهدم الطموح:

الصديق السوء غالباً ما يسعى – شعوراً منه بالنقص – إلى تثبيط همة صديقه، والتهوين من طموحاته، أو السخرية من قيمه وأهدافه. هذا التنقيص المستمر يضعف ثقة الإنسان بنفسه، ويجعله يشكك في قدراته ومبادئه. وحين يفقد الإنسان تقديره لذاته ودافعيته نحو النجاح والتطور، تفقد حياته معناها وشغفها، وهما من أهم أركان السعادة.

جلب الندم وتدمير المستقبَل:

إن أخطر ما في صحبة السوء أنها لا تكتفي بس إن أخطر ما في صحبة السوء أنها لا تكتفي بسلب اللحظة الحاضرة من بهجتها، بل تمتد آثارها لتهديد المستقبَل برُمته. فقرارات اللحظة الطائشة أو الانسياق وراء نزوات الرفقة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة لا تُحمد عقباها؛ كضياع المستقبل الأكاديمي أو المهني، أو الوقوع في المشكلات القانونية والأخلاقية. والندم الذي يعقب هذه العواقب يظل جرحاً غائراً في ذاكرة الإنسان، يسرق منه راحة البال ولذة العيش لسنوات طويلة.

الانعزال عن الرفقة الصالحة والبيئة الداعمة:

تجلس صحبة السوء كحاجز سميك بين الإنسان وبين الأشخاص الأنقياء الذين يمكن أن يعينوه على الخير والتطور. فالطيور على أشكالها تقع، وحين يُعرف المرء ببيئة سيئة، يبتعد عنه العقلاء والأوفياء، مما يجعله محاصراً في تلك

الدائرة المغلقة. هذا الحرمان من العلاقات الإنسانية الصادقة والمبنية على الاحترام والمحبة الخالصة يترك فجوة عاطفية عميقة لا تسدها مظاهر المرح الزائف مع أصدقاء السوء.

طوق النجاة واستعادة السعادة:

إن السعادة الحقيقية ليست في كثرة المحيطين بنا، بل في جودتهم ونقاء أرواحهم.

فالصديق الحقيقي هو من يرفعك إذا تعثرت، ويذكّرك إذا نسيت، ويفرح لنجاحك دون حسد أو مماراة.

ولكي يستعيد الإنسان سعادته وطمأنينته، لا بد له من الشجاعة في اتخاذ قرار "الفطام الاجتماعي" عن أصدقاء السوء، والتخلص من التردد أو الخجل في قطع تلك الأربطة المسمومة. إن التخلي عن من يؤذيك ليس قسوة، بل هو أولى خطوات الرحمة بنفسك، واستعادةٍ لبوصلة حياتك نحو السكينة والأمان.

وكما قيل قديمـًا: «العزلة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من العزلة».

خامسًا: سوء الظن بالناس

اعلم -زادك الله علما- أن سوء الظن بالآخرين يُعدّ من أكبر موانع السعادة وعوائق طمأنينة القلب، فهو يورث الهم الدائم ويملأ النفس بالشكوك والظنون التي لا أصل لها.

أبرز المفاسد والأضرار التي يجلبها سوء الظن وتمنع السعادة:

- تكدر الصفو وذهاب راحة البال :المبتلى بسوء الظن يعيش في تحليل مستمر لنيات الناس وتفسير أفعالهم وأقوالهم بأسوأ الاحتمالات، مما يحرمه من نعمة السكينة.
- قطيعة الرحم وفساد العلاقات :يحجب سوء الظن المحبة ويحل محلها الجفاء والريبة، فيخسر الإنسان بسبب ذلك الأصدقاء والمقربين.
- الوقوع في الآثام والمنهيات :يؤدي سوء الظن غالبًا إلى التجاهل، والبحث عن عيوب الآخرين، والتجسس، والغيبة، وقد قال الله تعالى ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] شغف النفس بما لا ينفع :اشتغال العبد بظنون الناس ونياتهم يصرفه عن إصلاح عيوبه ونفسه، والاشتغال بعيوب الناس من علامات الخذلان.

✍ومن صور سوء الظن:

- أن يظن الإنسان أن أخاه تعمد تجاهله، مع أنه ربما كان مشغولًا أو لم ينتبه .
- أن يفسر النصيحة على أنها إهانة أو انتقاص .
- أن يحمل صمت الآخرين على الكراهية أو الحقد .
- أن يعتقد أن الناس يتحدثون عنه أو يتآمرون عليه بلا دليل .
- أن يفتش عن عيوب الناس ويبحث عن نياتهم ومقاصدهم.

إن الظن مرض خطير من أمراض العصر، نتائجه خطيرة، ومفاسده عظيمة، وهو دليل على سوء طوية صاحبه، ومن أصيب بهذا الداء فواجب عليه أن يتعالج منه، والجاهل إذا اتهم أو أنقص من قدر الناس أساء ظنه بهم.

{وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (٦٦)}[الأعراف: ٦٥- ٦٦]

وقال –جل ذكره–:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ (٢٧)} [هود: ٢٥- ٢٧]

وجل تعالى – {وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (٣٦) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبابٍ (٣٧)} [غافر: ٣٦- ٣٧]

عن عائشة–رضي الله عنها–قالت: ألا أحدّثكم عنّي وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا: بلى. قالت: لمّا كانت ليلتي الّتي كان النّبيّ ﷺ فيها عندي. انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع. فلم يلبث إلّا ريثما ظنّ أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج. ثمّ أجافه (١) رويدا. فجعلت درعي في رأسي، واختمرت (٢) وتقنّعت إزاري. ثمّ انطلقت على إثره. حتّى جاء البقيع فقام.

---

١ – أجافه: أغلقه.

٢ – اختمرت: لبست خماري.

فأطال القيام. ثمّ رفع يديه ثلاث مرّات. ثمّ انحرف فانحرفت. فأسرع فأسرعت. فهرول فهرولت. فأحضر فأحضرت (١) .

فسبقته فدخلت. فليس إلّا أن اضطجعت فدخل.

فقال: مالك؟ يا عائش حشيا رابية (٢) قالت: لا شيء. قال: «لتخبريني أو ليخبرنّي اللّطيف الخبير» .

قالت: قلت: يا رسول الله – بأبي أنت وأمّي– فأخبرته. قال: «فأنت السّواد (٣) الّذي رأيت أمامي؟» قلت: نعم. فلهدني(٤) في صدري لهدة أو جعتني. ثمّ قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟»

قالت: مهما يكتم النّاس يعلمه الله.

نعم.

قال: «فإنّ جبريل أتاني حين رأيت. فناداني. فأخفاه منك. فأجبته. فأخفيته منك. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك. وظننت أن قد رقدت. فكرهت أن أوقظك. وخشيت أن تستوحشي، فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت: قلت:

كيف أقول لهم يا رسول الله؟

---

١ – فأحضر فأحضرت: الإحضار العدو أي فعدا فعدوت وهو فوق الهرولة.

٢ – حشيا رابية: أى قد وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيه، والمحتد فى كلامه من ارتفاع النّفس وتواتره.

٣ – السواد: أي الشخص

٤ – لهدني: ضربني

قال: «قولي: السّلام على أهل الدّيار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين. وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون» (١).

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-أنّ رسول الله ﷺ قال: «إيّاكم والظّنّ؛ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث. ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا (٢)، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»(٣)

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النّبيّ ﷺ فقال: إنّ امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال النّبيّ ﷺ : «هل لك من إبل؟» .

قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» .

قال: حمر.

قال: «هل فيها من أورق (٤) ؟»

قال: إنّ فيها لورقا.

قال: «فأنّى أتاها ذلك» قال: عسى أن يكون نزعه عرق (٥) .

قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق») (٦) .

---

١ –) مسلم (٩٧٤) .

٢ – ولا تنافسوا: المعنى هو التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها.

٣ – البخاري-الفتح ١٠ (٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.

٤ – الأورق: هو الذي فيه سواد ليس بصاف، ومنه قيل للرماد: أورق وجمعه ورق كأحمر وحمر.

٥ – عسى أن يكون نزعه عرق: المراد بالعرق: الأصل من النسب تشبها بعرق الشجرة، ومنه قولهم فلان معرق فى النسب، ومعنى نزعه أى أشبهه واجتذبه إليه، وأظهر لونه عليه فكأنه جذبه إليه لشبهه.

٦ – البخاري-الفتح ٩ (٥٣٠٥) ، ومسلم (١٥٠٠) واللفظ له.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى-عليه السّلام-يغتسل وحده. فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر (١) .

قال: فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه.

قال: فجمح (٢) موسى بإثره يقول: ثوبي حجر (٣) ثوبي حجر حتّى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى. قالوا: والله ما بموسى من بأس. فقام الحجر حتّى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا» (٤) .

إن أصحاب العقول الكبيرة والتدين الصحيح يؤلفون القلوب، ويجمعون أبناء الأمة على الألفة والمحبة والأخوة وترك سوء الظن بالآخرين.

إن اجتماع كلمة المسلمين وترك الفرقة جعلت النبي ﷺ يترك بعض المستحبات كي لا تضيع في فعلها واجبات، من ذلك أنه لم يعطِ الفقراء وأعطى الأغنياء تأليفًا لقلوبهم؛ لأنه ﷺ نظر أن ذلك أنفع للدين، ومنها أنه ﷺ ترك تغيير بناء البيت إبقاء لتأليف القلوب. وكان ابن مسعود رضي الله عنه ينكر على عثمان إتمام الصلاة في السفر، ثم صلى خلفه متممًا وقال: (الخلاف شر).

من مظاهر سوء الظن تجريح الناس أحياء وأمواتًا، ورميهم بشتى أنواع الضلال، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ. فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ ». رواه مسلم. (٥)

---

١ – آدر أي عظيم الخصيتين

٢ – فجمح: أي جرى أشد الجري.

٣ – ثوبي حجر: أي ثوبي يا حجر، حذفت أداة النداء ونداء الحجر بالنسبة للنبي أمر ممكن ويدخل في باب المعجزة.

٤ – البخاري-الفتح ٦ (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩) واللفظ له.

٥ – أخرجه مسلم (٢٦٢٣)، وأبو داود (٤٩٨٣).

قال الخطابي-رحمه الله-: "لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم، أي: أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم".(١)

سادسا: الخصام والنزاع

أيها الإخوة الأحباب: إن الخصام والنزاع من أشدّ موانع السعادة استنزافاً لراحة البال وسلامة الصدر، إذ تحوّل حياة الإنسان إلى معركة مستمرة تُهدر فيها الطاقات النفسية والذهنية فيما لا ينفع.

أبرز الآثار والمفاسد التي تجعل الخصام مانعاً للسعادة:

- **إيغار الصدور وذهاب السكينة** :الخصام يملأ القلب بالغل والحسد والرغبة في الانتصار للنفس، وهي مشاعر تُذهب طمأنينة القلب وتحرم صاحبها من نعمة انشراح الصدر.
- **قطيعة الأرحام وتفكك العلاقات** :يُفسد النزاع أطهر العلاقات بين الأقارب والأصدقاء، ويُبدل المودة بالعداوة والجفاء، وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُهَاجِرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ» قَالَ مَالِكٌ: «لَا أَحْسِبُ التَّدَابُرَ إِلَّا الْإِعْرَاضَ عَنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ فَتُدْبِرَ عَنْهُ بِوَجْهِكَ» (٢)
- **شؤم الخصومة وحرمان المغفرة** :الخصومة سبب في حجب المغفرة

---

١ – «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٢٤ ت عبد الباقي)

٢ – أخرجه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩)

وبركة الأعمال، كما ورد في الحديث :عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَاّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.

أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ».(١)

- **التعرض للوم والمقت** :كثرة النزاع تجعل صاحبها كريه المعاشرة، يفر منه الناس تجنبـًا لمشاحناته، والدار الآخرة والحديث عنها يُذكّران بأن ألد الخصام أبغض الرجال إلى الله.

كيف يحرم الخصام الإنسان من السعادة؟

الخصام والنزاع من أشد موانع السعادة وراحة النفس؛ لأن الإنسان حين يعيش في حالة خصومة مستمرة، يبقى قلبه مشغولًا بالرد والانتصار والعتاب، فيفقد صفاءه وطمأنينته، ولو كانت عنده أسباب كثيرة للراحة.

أثر الخصام والنزاع على راحة الإنسان:

أولًا: الخصام يسرق راحة القلب: فالخصومة تجعل الإنسان يستعيد المواقف والكلمات مرارًا، ويفكر فيما قيل وما كان ينبغي أن يقوله، فيظل قلبه أسيرًا للموقف، ولا يستطيع أن يعيش يومه بهدوء.

ثانيًا: النزاع يورث القلق والتوتر: فمن كان في نزاع دائم مع الآخرين يعيش في حالة ترقب وانفعال، وقد يتحول الخلاف الصغير إلى همٍّ كبير يستنزف طاقته النفسية ويؤثر في نومه وعمله وعلاقاته.

---

١ – وأخرجه مسلم (٢٥٦٥)، وأبو داود (٤٩١٦)، وابن ماجه (١٧٤٠)، وهو في "المسند" (٧٦٣٩)، و"صحيح ابن حبان" (٥٦٦٣). وانظر (٧٥٦).

✍ثالثًا: الخصام يفسد لذة الحياة: قد يمتلك الإنسان المال والصحة والأهل، ولكنه لا يشعر بالسعادة بسبب خصومة مستمرة مع قريب أو صديق أو جار. فراحة النفس ليست بكثرة ما يملك الإنسان، وإنما بسلام قلبه.

✍رابعًا: النزاع يزرع الحقد في القلب: ومع استمرار الخصومة قد يتحول الخلاف إلى حقد، والحقد نار يحرق صاحبها قبل أن يصل أذاها إلى خصمه؛ لأنه يحمل في صدره همًّا لا يفارقه.

✍خامسًا: الخصام يقطع صلة الأرحام والمودة: وكثير من الخصومات تبدأ بكلمة أو موقف يسير، ثم تتسع حتى تقطع الأرحام وتفرق الأصدقاء وتفسد العلاقات التي بُنيت خلال سنوات طويلة.

✍سادسًا: الانشغال بالخصومة يحرم الإنسان من النعم الحاضرة: فالإنسان المشغول بمن أساء إليه قد ينسى من أحسن إليه، وينسى نعم الله عليه، ويعيش أسيرًا لموقف واحد بدل أن يستمتع بما بين يديه من نعم.

✍الأثر الجسدي والعضوي:

اضطرابات النوم: يُعد الأرق وصعوبة الاستغراق في النوم أو الاستيقاظ المتكرر من أبرز نتائج التفكير في الخصومات، مما يحرم الجسد من التجدد البدني.

إجهاد الجهاز العصبي والهرموني: يفرز الجسم كميات مرتفعة من هرمون التوتر (الكورتيزول) والأدرينالين، مما يؤدي إلى:

تسارع ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم.

الصداع العصبي وشد العضلات (خاصة في الرقبة والكتفين).

اضطرابات الجهاز الهضمي (مثل القولون العصبي وآلام المعدة).

ضعف المناعة: الشحن النفسي الممتد يُضعف كفاءة الجهاز المناعي، مما يجعل الجسم أكثر عرضة للإجهاد والإصابة بالأمراض.

الأثر الاجتماعي والسلوكي:

تشتت الذهن وتراجع الإنتاجية: يقل التركيز في العمل والعبادة والمهام اليومية بسبب شغل الذهن بالنزاع.

عزلة أو اضطراب العلاقات: ينعكس التوتر الناجم عن الخصام على التعاملات مع الآخرين، مما قد يسبب نزاعات جديدة ويُفقد الإنسان بيئة الدعم الاجتماعي.

سابعا: مقارنة الإنسان نفسه بغيره

اعلم-بارك الله فيك: أن من موانع السعادة التي تُفسد على الإنسان راحته، وتجعله يعيش في قلق دائم: أن يقارن نفسه بغيره؛ فينظر إلى ما عند الناس، وينسى ما أنعم الله به عليه، فيظل مشغولًا بما ينقصه، غافلًا عما يملكه من نعم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[طه: ١٣١].

فالإنسان حين يقارن نفسه بغيره قد يقول: لماذا فلان أغنى مني؟ ولماذا فلان أكثر شهرة؟ ولماذا عنده بيت أفضل؟ ولماذا أولاده أكثر نجاحًا؟ ولماذا بلغ غيري ما لم أبلغه؟

وهكذا تتحول النعم التي بين يديه إلى أشياء لا يشعر بقيمتها؛ لأنه جعل عينه متعلقة بما عند الآخرين.

المقارنة تسرق نعمة الرضا :ليس الخطأ في أن ينظر الإنسان إلى من هو أفضل منه في أمر دنيوي فيستفيد ويجتهد، وإنما الخطر أن تتحول المقارنة إلى حسرة وحسد واعتراض دائم على قسمة الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ».(١)

ومن أعظم أسباب السعادة أن يتعلم الإنسان أن يقول: الحمد لله على ما أعطاني الله، وأن يعرف أن لكل إنسان طريقه وظروفه وأقداره، وأن ما يراه من حياة الآخرين ليس بالضرورة هو الحقيقة الكاملة؛ فقد يرى النعمة ولا يرى ما وراءها من ابتلاء ومسؤوليات.

فمقارنة الإنسان نفسه بغيره تُعدّ من أعظم موانع السعادة وأشدّها فتكًا برضا النفس وطمأنينة القلب، إذ تجعل العبد يزهد في نعم الله عليه، وينظر دائمًا إلى ما في أيدي الآخرين، فيعيش في دوامة لا تنتهي من الحرمان النفسي والرقاق.

أبرز الآثار والمفاسد التي تجعل المقارنة مانعًا للسعادة:

زوال شكر النعمة وازدراؤها :حين يركز الإنسان على ما أُعطي غيره، يستصغر ما بيده من النعم العظيمة (كالصحة، والأمن، وراحة البال)، فتغيب عنه عبادة الشكر التي هي سبب المزيد والبركة.

فتح أبواب الحسد والسخط :المقارنة المستمرة تزرع في النفس الحسد والغل ورؤية فضل الله على غيره بكراهية، مما يحرم الصدر سلامته، وينشئ حالة من الاعتراض الخفي على قسمة الله عز وجل.

---

١ – أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) (٨) .

✍**فقدان الهوية والاشتغال بالشكليات** :المقارنة تدفع الشخص لملاحقة تفاصيل حياة الآخرين وما يظهرونه (خاصة في مواقع التواصل)، فيعيش لرضا الناس أو مجاراتهم بدلاً من العيش بحسب أولوياته وغاياته الحقيقية.

✍**الشعور الدائم بالعجز والتقصير** :لكل إنسان ظروفه وبداياته ومبتلياته، والمقارنة تحاكِم "كواليس" حياة الشخص إلى "مشاهد النجاح الرديئة أو الظاهرة" لدى غيره، مما يورث خيبة الأمل والإحباط.

❊❊❊❊

الفصل الثالث موانع السعادة النفسية والدنيوية

موانع السعادة النفسية قد تكون أخطر من كثير من الموانع الخارجية؛ لأن الإنسان قد يغيّر بعض ظروف حياته، لكنه إذا لم يصلح ما في داخله من أفكار

ومشاعر وسلوكيات، ظل أسيرًا للقلق والحزن والحسد وسوء الظن والغضب والطمع ومقارنة نفسه بالآخرين، وغير ذلك من الآفات التي تنغص عليه عيشه وتحرمه لذة الطمأنينة.

كما أن في الحياة الدنيا من المواقف والعلاقات والمتاعب ما قد يحول دون راحة الإنسان، ومن ذلك الخصام والنزاع، والمشكلات الأسرية والاجتماعية، والتعلق المفرط بالمال والمنصب والشهرة، والخوف من المستقبل، والطمع فيما عند الناس، والانشغال بما يفوت الإنسان من الدنيا حتى ينسى ما بين يديه من نعم.

ومن هنا كان التعرف على هذه الموانع خطوة أساسية في طريق السعادة؛ إذ لا يكفي أن نبحث عن أسباب السعادة دون أن نتعرف على ما يفسدها ويحول دون تحققها. فمعرفة الداء تعين على طلب الدواء، ومعرفة أسباب الشقاء تساعد الإنسان على اجتنابها والتحصن منها.

وفي هذا الفصل نقف مع جملة من موانع السعادة النفسية والدنيوية، نتعرف على حقيقتها، وأسبابها، وآثارها في حياة الإنسان، ثم نبين ما جاء به الإسلام من توجيهات إيمانية وأخلاقية وعملية تعين على التخلص منها، حتى يحيا المسلم بقلب مطمئن، ونفس راضية، وحياة متوازنة، مستعينًا بالله تعالى، مستمتعًا بنعمه، دون أن تكون الدنيا هي التي تملك قلبه أو تتحكم في سعادته.

أولا: الطمع والجشع

الطمع داءٌ قلبيٌّ يفسد على الإنسان راحته، ويحرمه لذة القناعة، ويجعله أسيرًا لما يتمنى الحصول عليه. والطامع لا يرى ما عنده من النعم، وإنما يظل قلبه

متعلقًا بما عند غيره، فإذا حصل على شيء طلب غيره، وإذا بلغ غايةً تطلع إلى غاية أخرى، فلا يكاد يعرف للسعادة طريقًا.

وذلك لأسباب متداخلة في نفس الإنسان وسلوكه:

- **غياب القناعة** :الطمع يجعل المرء متطلعـًا دائمًا لما في أيدي الآخرين، فلا يستمتع بما لديه من نعم مهما كثرت.
- **القلق المستمر** :يعيش الطماع في همٍّ دائم وخوفٍ متواصل من تفويت الفرص أو خسران ما يطمع فيه، مما يحرمه راحة البال والنوم الهنيء.
- **عدم الشبع (الشره النفسي)** :كلما تحقق للطماع هدفٌ لم يرضَ به، بل يزداد رغبةً فيما بعده، كما جاء في الحديث عن أنس قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: فلا أدري، أشيء نزل عليه أم شيء يقوله؟ – وهو يقول: " لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب " (١).«
- **إفساد العلاقات الاجتماعيّة** :الطمع يورث الحسد والضغينة، ويدفع صاحبه للتعدي على حقوق غيره، فيفقد حب الناس وثقتهم.

عن عياض بن حمار المجاشعيّ– رضي الله عنه– أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنّ ربّي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم ممّا علّمني، يومي هذا ... الحديث، وفيه: «قال: وأهل النّار خمسة: الضّعيف الّذي لا زبر له (٢)الّذين

---

١ - رواه «البخاري» (٦٠٧٢ - ٦٠٧٣) في الرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال، ومسلم (١٠٤٨) في الزكاة، باب لو كان لابن آدم واديان لابتغى ثالثًا.

٢ –لا يتبعون: مخفف ومشدد من الاتباع. أي يتبعون ويتبعون. وفي بعض النسخ: يبتغون أي يطلبون.

هم فيكم تبعا لا يتبعون (١) أهلا ولا مالا. والخائن الّذي لا يخفى له طمع (٢)، وإن دقّ إلّا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلّا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» . وذكر البخل أو الكذب والشّنظير(٣) الفحّاش») . (٤)

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه منّي. حتّى أعطاني مرّة مالا فقلت: أعطه أفقر إليه منّي. فقال رسول الله ﷺ : «خذه، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف (٥) ولا سائل، فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك»(٦).

قال عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه-: تعلّمنّ أنّ الطّمع فقر، وأنّ اليأس غنى) . (٧)

وقال عليّ-رضي الله عنه-أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع) (٨).

وقال أيضا-رضي الله عنه-ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرّجال من الطّمع) . (٩)

---

١ -والخائن الذي لا يخفى له طمع: معنى لا يخفى لا يظهر. قال أهل اللغة: يقال خفيت الشيء إذا أظهرته. وأخفيته إذا سترته وكتمته. هذا هو المشهور. وقيل: هما لغتان فيهما جميعا.

٢ -وذكر البخل أو الكذب: هكذا في أكثر النسخ: أو الكذب. وفي بعضها: والكذب. والأول هو المشهور.

٣ -الشنظير: فسره في الحديث بأنه الفحاش، وهو السيىء الخلق.

٤ - مسلم (٢٨٦٥).

٥ -غير مشرف: غير متطلع إليه ولا طامع فيه.

٦ -) البخاري-الفتح ٣ (١٤٧٣). ومسلم (١٠٤٥) واللفظ له.

٧ -لسان العرب (٥/ ٢٠٧٤).

٨ - المستطرف (٩٨).

٩ -المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

اجتمع كعب وعبد الله بن سلام، فقال له كعب: يا بن سلام: من أرباب العلم؟ قال: الّذين يعملون به. قال: فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه؟ قال: الطّمع، وشره النّفس، وطلب الحوائج إلى النّاس) (١) .

قال سابق البربريّ:

يخادع ريب الدّهر عن نفسه الفتى سفاها وريب الدّهر عنها يخادعه

ويطمع في سوف ويعلم دونها وكم من حريص أهلكته مطامعه(٢).

قال ابن الجوزيّ-رحمه الله تعالى-:

ليس في الدّنيا أبله ممّن يطلب النّهاية في لذّات الدّنيا، وليس في الحقيقة لذّة، إنّما هي راحة من مؤلم. فالسّعيد من إذا حصلت له امرأة أو جارية فمال إليها، ومالت إليه، وعلم سترها ودينها أن يعقد الخنصر على صحبتها. وأكثر أسباب دوام محبّتها أن لا يطلق بصره، فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه في غيرها، فإنّ الطّمع في الجديد ينغّص الخلق وينقص المخالطة، ولا يستر عيوب الخارج فتميل النّفس إلى المشاهد الغريب، ويتكدّر العيش مع الحاضر القريب كما قال الشّاعر:

والمرء ما دام ذا عين يقلّبها في أعين الحور موقوف على الخطر

يسرّ مقلته ما ضرّ مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضّرر

---

١ -المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

٢ - المرجع السابق (٩٨) .

ثمّ تصير الثّانية كالأولى وتطلب النّفس ثالثة وليس لهذا آخر، بل الغضّ عن المشتهيات، ويأس النّفوس من طلب المتحسّنات يطيّب العيش مع المعاشر) (١) .

قال آخر:

يا جامعا مانعا والدّهر يرمقه مفكّرا أيّ باب منه يغلقه

المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلّا يوم تنفقه

إنّ القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلّها همّا يؤرّقه(٢)

قال بعضهم: العبيد ثلاثة: عبد رقّ، وعبد شهوة، وعبد طمع) (٣)

قال بعضهم: من أراد أن يعيش حرّا أيّام حياته فلا يسكن قلبه الطّمع) (٤)

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٣].

كان صاحب الجنتين في نعمة عظيمة، لكنه لم يكتفِ بما أعطاه الله، بل اغتر بماله، وظن أن نعمته باقية لا تزول، فقال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

ثم ازداد اغترارًا فقال: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

فكانت النهاية أن أهلك الله جنته، وأصبح يقلب كفيه حسرةً على ما أنفق فيها، وقال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٢].

---

١ – صيد الخاطر (٣٢١) .

٢ – رسالة ابن رجب في شرح حديث ما ذئبان جائعان (٢٦) .

٣ – المستطرف (٩٧) .

٤ – المستطرف (٩٨) .

العبرة: لم يكن ينقصه المال، وإنما كان ينقصه شكر المنعم والقناعة؛ فحين تحولت النعمة إلى غرور وطمع، تحولت السعادة إلى حسرة.

قصة النملة وقطرة العسل:

رأت نملة قطرة عسل كبيرة، فأكلت منها حتى شبعت وعادت إلى بيتها. لكنها لم تنسَ طعم العسل، فعادت في اليوم التالي وطمعت في المزيد، فدخلت وسط القطرة لتأكل أكبر كمية ممكنة.

علقت في العسل اللزج ولم تستطع الخروج، فماتت هناك.

العبرة: من لم يقنع بما يكفيه، خسر كل شيء.

ثانيا: عدم الرضا بما قسم الله

اعلم -بارك الله فيك-: أن عدم الرضا بما قسم الله هو الأصل والأساس لكل موانع السعادة؛ إذ إن الرضا هو باب الله الأعظم، ومسكن النفوس، ومستراح العابدين، فإذا أغلق هذا الباب امتلأت الحياة شقاء وكدرا.

عن عوف بن مالك -رضي الله عنه- قال: أتيت النّبيّ ﷺ في غزوة تبوك -وهو في قبّة من أدم- فقال: «اعدد ستّا (١) بين يدي السّاعة: موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان (٢) يأخذ فيكم كعقاص الغنم(٣) ، ثمّ استفاضة المال(٤) حتّى يعطى الرّجل مائة دينار فيظلّ ساخطا، ثمّ فتنة لا يبقى بيت من العرب إلّا

---

١ -ستا: أي ست علامات لقيام الساعة، أو لظهور أشراطها المقتربة منها.

٢ - ثم موتان: بضم الميم قيل هو الموت، وقيل: الموت الكثير الوقوع.

٣ -كعقاص الغنم: هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.

٤ -ثم استفاضة المال: أي كثرته.

دخلته، ثمّ هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر [١] فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية[٢] تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفا») [٣]

عبد الرحمن بن أبي عمرة : أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إن ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، (أو قال: البقر، شك إسحاق) إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال البقر. فأعطي بقرة حاملا فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ عليه في

---

[١] – بني الأصفر: هم الروم.

[٢] – غاية: راية.

[٣] – البخاري–الفتح ٦ (٣١٧٦).

سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك.» (١)

ويتجلى كون عدم الرضا مانعا رئيسيا للسعادة في الأمور الآتية:

التسخط ودوام الحسرة: المرء الذي لا يرضى يعيش في حالة دائمة من الاعتراض الخفي أو الجلي على القدر، فيرى النعم في أيدي غيره ولا يرى النعم التي بين يديه، فيظل يتحسر على المفقود ويزهد في الموجود.

الشعور بالفقر المعنوي: السعادة في الحقيقة هي غنى النفس؛ كما قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس .»فمن عدم الرضا أصبح فقيرا في داخله، ولو ملك خزائن الأرض؛ لأن عينه لا تمتلئ، ونفسه لا تستقر.

---

١ – رواه البخاري ٦ / ٣٦٤ في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم رقم (٢٩٦٤) في الزهد في فاتحته.

الطمع والحسد: عدم الرضا هو الرحم الذي يتولد منه الطمع والحسد؛ فمن لم يرض بما قسم له، يتطلع إلى ما في أيدي الناس، ويتمنى زوال النعمة عنهم، فيحترق صدره بالمشاعر السلبية التي تقض المضجع وتذهب سكينة القلب.

زوال بركة الرزق والعمر: عندما يغيب الرضا، تنزع البركة من العطاء؛ فيكون المرء كالذي يأكل ولا يشبع، ويسعى في الدنيا سعي الوحوش في الفلاة، فلا يحظى إلا بما كتب له، ولكنه يخسر طعم الراحة ولذة العيش.

وهذه قصة خيالية: يقول أديسون الكاتب الإنجليزي المعروف في كتاب – أم ترى لا يقرأه أبناء الجيل الجديد – يتصور فيه أن الله جلت قدرته أذن للناس أن يخلعوا ويرموا ما لا يرضيهم من أجسامهم، فهذا رمى أنفه وذاك آخر ألقى أذنيه، وأخرج الثالث عينيه وقذف بهما، ونزع رابع ساقه وطرحها؛ وهكذا حتى صارت الأعضاء والجوارح المرمية المزهود فيها كوماً عالياً.

وعاد الله فأذن لهم أن ينتقي كل واحد من هذا الكوم بديلاً مما زهد فيه ورماه فأقبلوا يقلبون ويبحثون وأخذ كل واحد ما أعجبه ووضعه موضع العضو المنزوع، ثم نظروا بعد ذلك إلى أنفسهم فلم يعجبهم حالهم ولم يرضوا عن أنفسهم واستبشعوا ما أخذوا بديلاً مما نزلوا عنه فجأروا بالشكوى إلى الله تعالى وتوسلوا إليه أن يأذن في أن يسترد كل منهم أعضاءه الأصلية.

فتقبل الله دعاءهم رحمة منهم بهم، فما أسرع ما خلعوا ما استعاروا واستعادوا ما كانوا يسخطون عليه ويتبرمون به![1]

****

[1] – مجلة الرسالة (٢١٠/ ٩، مقال عين الرضى وعين السخط للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني)

ثالثا: كثرة التفكير والهموم

أخي القارئ: إن من أعظم ما يحرم الإنسان لذة السعادة استرسال العقل في التفكير، واستيلاء الهموم على القلب، والانشغال الدائم بما مضى وما سيأتي.

فكم من إنسان يعيش في نعمة واسعة، ولكن قلبه لا يستمتع بها؛ لأنه مشغول بما يخاف حدوثه، أو يندم على ما وقع، أو يقلق مما لم يقع بعد.

والتفكير في حد ذاته ليس مذمومًا؛ بل هو نعمة عظيمة إذا وُجِّه إلى ما ينفع، لكن المشكلة حين يتحول التفكير إلى استرسال وقلق وتوقعات سلبية، فيظل الإنسان يعيد الأحداث في ذهنه، ويتخيل المصائب قبل وقوعها، ويحمل هموم المستقبل فوق طاقته.

الهم هو الحُزن، وجمعه هموم، وهَمَّه الأمر همًّا ومهمة، وأهمَّه فاهتمَّ، واهتم به، ويقال أهمَّه الأمر إذا أقلقه وحزنه، والاهتمام: الاغتنام، ويقال: ما أهَمَّك؟: أي ما أحزَنَك؟ أو ما أقلقك؟ والمهمات من الأمور: الشدائد المحرقة، كما يقال: هَمَّه السُّقم يَهُمَّه: أذابه وأذهب لحمه، وهَمَّني المرض: أذابني (١).

قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

فالمؤمن لا يعيش أسيرًا للماضي؛ لأنه يعلم أن ما مضى قد انتهى، ولا يستغرق في الخوف من المستقبل؛ لأنه يعلم أن المستقبل بيد الله، وإنما يعيش يومه، ويأخذ بالأسباب، ويتوكل على الله.

---

١ – انظر: لسان العرب ٣/ ٨٣١، والصحاح ٥/ ٢٠٦١، والقاموس المحيط ٤/ ١٩٢.

كثرة التفكير تُفسد الحاضر: ومن أخطر آثار كثرة الهموم أنها تجعل الإنسان يعيش مشكلتين: مشكلة واقعية، ومشكلة ذهنية؛ فقد يكون الأمر بسيطًا في الواقع، لكنه يكبر في ذهنه بسبب كثرة التفكير فيه.

وقد يقلق الإنسان من أمر لم يقع، ويحزن على شيء لم يفقده، ويخاف من مستقبل لم يأتِ، فيضيع عليه سعادة اللحظة التي يعيشها.

وجدت الهم مزروعا بصدري وإني من همومي لا أطيبُ
وقد أمست له دارٌ بجوفي وأفكاري بعقلي لا تغيبُ
ولكني أرى هذا ابتلاءاً المولى أأفلح أم أخيبُ
سأصبر عل يأتيني انفراج فقد قال امرؤٌ ورعٌ أديبُ
((عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريبُ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ؛ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "(١).

ويتجلى أثر كثرة التفكير والهموم في سلب السعادة عبر المحاور الآتية:

سرقة اللحظة الحاضرة (غياب العيش في "الآن"): المفرط في التفكير يعيش دومـًا إما في الماضي بالندم والحسرة على ما فات، وإما في المستقبل بالقلق والتوجس مما هو قادم. ونتيجة ذلك أنه يفقد القدرة على الاستمتاع باللحظة الحاضرة والنعم المتاحة بين يديه.

---

١١ - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٦٦٤).

تضخيم المشكلات وصناعة الأوهام: عقل المستغرق في الهموم يعمل كعدسة مكبرة؛ فيحول العقبات الصغيرة إلى أزمات مستعصية، ويتوقع دائماً السيناريو الأسوأ (التفكير الكارثي)، مما يجعله يعيش ألم المأساة قبل وقوعها، وقد لا تقع أصلًا.

الإنهاك النفسي والبدني: الهموم المستمرة وكثرة التفكير لا تؤذي النفس فحسب، بل تمتد إلى الجسد؛ فتسبب الأرق، واضطرابات النوم، والقولون العصبي، والصداع المستمر، وتسلب المرء طاقته وشغفه بممارسة حياته اليومية.

شلل القرار والتردد (الإفراط في التحليل): كثرة التفكير تؤدي إلى ما يُعرف بـ "شلل التحليل"، حيث يستغرق المرء في دراسة كل الاحتمالات والمخاوف حتى يعجز عن اتخاذ أي قرار شجاع، فيفوت الفرص النافعة ويزداد شعوره بالعجز والتقصير.

رابعا: الإسراف في الشهوات والملذات

اعلم – علمني الله وإياك–: أن من موانع السعادة أن يجعل الإنسان الشهوات والملذات غايته الكبرى في الحياة، فيطلب اللذة تلو اللذة، ويستجيب لكل رغبة، ويظن أن كثرة المتع هي الطريق إلى السعادة. وما علم أن اللذة إذا تجاوزت حد الاعتدال انقلبت إلى تعبٍ وقلقٍ وندمٍ وعبودية للشهوة.

السعادة لا تأتي من كثرة الملذات، بل من التوازن والاعتدال. من أفرط في شهواته، فقد السيطرة على نفسه، وأضاع راحة القلب التي لا تُشترى بلذة عابرة. أما من ضبط نفسه، وأخذ من الدنيا بقدر، وجد فيها متعة أعمق وأدوم.

قال الله تعالى:﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف: ٣١].

فالإسلام لا يحرم الطيبات، ولا يمنع الإنسان من الاستمتاع بما أحل الله، وإنما يربيه على الاعتدال والتوازن؛ لأن المشكلة ليست في وجود اللذة، وإنما في أن تتحول اللذة إلى سيدٍ يأمر، والإنسان إلى عبدٍ يستجيب.

قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران: ١٤]

فالآية لا تنكر وجود هذه المتع، لكنها تضعها في موضعها الصحيح :{ذلك متاع الحياة الدنيا}، ثم تلفت القلب إلى ما عند الله.

✍**الإسراف في الشهوات يقتل لذة النعمة:** ومن عجيب أمر الإنسان أنه إذا أكثر من الشيء **قلَّ إحساسه بلذته**؛ فالإفراط في الطعام يذهب لذة الطعام، والإفراط في النوم يورث الكسل، والإفراط في الترف يقتل الإحساس بالنعم، والإفراط في متابعة الملذات يجعل القلب لا يرضى بالقليل.

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» (١)

---

١ – أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص ٢١٣، باب في طلب الحلال، الحديث (٦٠٣)، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٣٢، وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٠، كتاب الزهد (٣٧)، باب ما جاء في كراهية كثر الأكل (٤٧)، الحديث (٢٣٨٠)، وقال: (حديث حسن صحيح)، واللفظ له، وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١، كتاب الأطعمة (٢٩)، باب الاقتصاد في الأكل. . . (٥٠)، الحديث (٣٣٤٩)،

فالقليل مع الاعتدال قد يكون سببًا للراحة، والكثير مع الإسراف قد يكون سببًا للمرض والتعب.

الشهوة إذا لم تُضبط أصبحت قيدًا: قد يبدأ الأمر بمتعة مباحة، ثم يتحول إلى عادة، ثم إلى تعلق، ثم يجد الإنسان نفسه لا يستطيع الاستغناء عنها. وهنا يفقد الإنسان شيئًا من حريته؛ لأنه أصبح يعيش لإشباع شهواته بدل أن يجعل شهواته في خدمة حياته ودينه.

ومن هنا كانت السعادة الحقيقية في أن يملك الإنسان شهوته، لا أن تملكه شهوته.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

صور الإسراف في الشهوات والملذات:

ومن صور ذلك:

- الإسراف في الطعام والشراب .
- الإفراط في النوم والراحة .
- الانشغال المفرط بملذات الدنيا .
- إطلاق البصر في المحرمات .
- التوسع في الترف والكماليات حتى تصبح ضرورة في نفس الإنسان .
- قضاء الساعات الطويلة في اللهو والتسلية على حساب الصلاة والواجبات والأسرة .
- الاستجابة لكل رغبة دون تدريب النفس على الصبر والامتناع .

✍وقفة مهمة: ليس المقصود أن السعادة في حرمان النفس من المباحات؛ فالإسلام دين الفطرة، وقد أباح الطيبات، وإنما السعادة في أن يستمتع الإنسان بنعم الله دون إسراف، ودون أن تستعبده الشهوة، ودون أن تنسيه الغاية التي خلق من أجلها.

فالسعيد يأكل ليقوى، وينام ليستعين، ويستمتع بالحلال ليشكر، ويأخذ من الدنيا ما يعينه على طاعة الله. أما من جعل حياته كلها بحثًا عن اللذة، فإنه قد يحصل على كثرة المتع، لكنه يفقد طمأنينة القلب.

فليس كل من كثرت لذاته سعيدًا، ولا كل من حُرم بعض الملذات شقيًّا؛ إنما السعادة أن تكون الشهوة في يدك لا في قلبك، وأن تستمتع بالنعم دون أن تستعبدك، وأن تجعل الدنيا وسيلةً لا غاية.

خامسا: التعلق بالدنيا

أخي المسلم: إن من أعظم ما يحرم الإنسان راحة القلب وطمأنينة النفس أن يتعلق قلبه بالدنيا تعلقًا يجعله لا يرى السعادة إلا في متاعها، ولا يطلب الراحة إلا من خلال جمعها، ولا يرضى عن نفسه إلا إذا حصل على المزيد منها.

وحينئذٍ يتحول الإنسان من مالكٍ للدنيا إلى أسيرٍ لها؛ يفرح لزيادتها، ويحزن لنقصانها، ويغضب لفواتها، ويحسد غيره على ما أوتي منها.

والدنيا بطبيعتها متقلبة؛ يومٌ تُقبل فيه ويومٌ تُدبر، وصحةٌ يعقبها مرض، وغنى يعقبه فقر، ومنصبٌ قد يزول، وشهرةٌ قد تنطفئ، وأحبابٌ قد يفارقون. فمن ربط سعادته بهذه المتغيرات عاش مضطرب القلب، كثير الخوف من فقدان ما يملك، قليل الرضا بما عنده.

وقد حذر الله تعالى من الاغترار بالدنيا، فقال سبحانه:﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾[الحديد: ٢٠].

وقال سبحانه:﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[آل عمران: ١٨٥].

وليس المقصود أن يترك المسلم الدنيا أو يحرم نفسه من نعم الله، فالإسلام لا يدعو إلى الرهبانية ولا إلى إهمال أسباب الحياة، وإنما يدعو إلى أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، وأن يستعمل المال والجاه والصحة وسائر النعم فيما يرضي الله تعالى، دون أن تتحول هذه النعم إلى غايةٍ تستعبد القلب.

ومن آثار التعلق بالدنيا:

- **كثرة القلق والخوف من المستقبل**؛ لأن المتعلق بالدنيا يخشى دائمًا فقد ما جمعه .
- **الحسد ومقارنة النفس بالآخرين**؛ لأنه ينظر إلى ما في أيدي الناس قبل أن ينظر إلى نعم الله عليه .
- **عدم القناعة**؛ فكلما حصل على شيء طلب المزيد .
- **الحزن عند فوات المطالب الدنيوية**؛ لأنه جعل قيمته وسعادته مرتبطة بما يحصل عليه .
- **التنافس المذموم والخصام**؛ فقد يخاصم الإنسان أخاه من أجل مال أو منصب أو ميراث .
- **نسيان الآخرة**؛ إذ يستغرق القلب في الدنيا حتى يغفل عن الغاية الكبرى التي خلق من أجلها..

قال الله تعالى:﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ثم بيَّن سبحانه سرعة انقضاء هذه الدنيا فقال ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

فالدنيا مهما طالت قصيرة، ومهما تجملت فهي إلى زوال.

التعلق بالدنيا يورث الخوف والحزن

إذا تعلق القلب بالدنيا، أصبح الإنسان دائم الخوف عليها: يخاف على ماله، ومنصبه، وشهرته، وصحته، ومكانته بين الناس. فإذا أصابه شيء من ذلك اضطرب قلبه، وكأن حياته كلها قد انتهت.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ فِي قَلْبِهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (١)

وكان النبي ﷺ يستعيذ من فقر النفس، لا من قلة المال فقط، مما يدل على أن السعادة مرتبطة بغنى القلب لا بكثرة المال.

من أقوال أهل العلم:

الغنى الحقيقي هو غنى القلب، وأما غنى المال فقد يجتمع مع الفقر الباطني، فيكون صاحبه من أفقر الناس»

---

١ – وأخرجه أحمد في "الزهد" ص ٤٢، وابن أبي عاصم في "السُّنة" "٩٤"، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" ٧١/٢)

وقالوا: إن المال مطلوب لغيره لا لذاته، ومن طلبه لذاته فقد ضل عن طريق السعادة.

الواقع المشاهد يشهد الواقع أن كثيرًا من الأغنياء يعانون القلق والاكتئاب والانتحار أكثر مما يعانيه غيرهم في بعض الأحيان، مما يؤكد أن المال وحده لا يصنع سعادة. بل قد يكون المال سببًا في زيادة الهموم والمسؤوليات والمخاوف على فقده.

المال نعمة من نعم الله إذا أُحسن استخدامه، وهو وسيلة تُعين على طاعة الله ونفع الخلق، لكنه ليس مصدر السعادة ولا غايتها.

فالسعادة الحقيقية في غنى النفس وطمأنينة القلب ورضا الرب، لا في كثرة ما يُجمع من عرض الدنيا.

فالمال قد يشتري الراحة، لكنه لا يشتري الطمأنينة، وقد يوفر أسباب المتعة، لكنه لا يضمن السعادة. والسعيد هو من ملك المال ولم يملكه المال، واستعمل الدنيا ولم تجعل الدنيا غايته.

يقول الدكتورناصرالعمر: " فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة دائمة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة لماذا؟ لأنهم يتعبون في:

١ -جمع المال.

٢ -حفظه واستثماره.

٣ -القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله.

كم من إنسان يملك المليارات ولكنه خائف! قلق! لماذا كل هذا الخوف!؟ ولم كل هذا القلق!؟

إنه يخاف على هذا المال، يخاف أن تأتي هزة سياسية، أو يأتي لصوص فيسرقون هذا المال.

إذن، هو يعيش في شقاء، خوف، قلق، هم، غم، بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب، مشاهد، ترونه بأعينكم، بل قد يكون المال سبب هلاكه ومماته!!

كم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته.

بل كم من غني حرم من لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقا، لا يمشي حرا، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله!!

ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وزالت ثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء.

أما المؤمن فيتعامل مع الدنيا على أنها مرحلة عابرة، ووسيلة للآخرة، ونعمة يشكر الله عليها إذا حضرت، ولا ينهار إذا زالت.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ".

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. (١)

وهذا لا يعني أن يهجر المسلم الدنيا أو يترك العمل والكسب، وإنما يعني ألا يجعل الدنيا أكبر همِّه، وألا يجعل قيمته وسعادته متوقفة على ما يملكه منها.

---

١ – أخرجه: البخاري ٨/ ١١٠ (٦٤١٦).

التعلق بالدنيا يحرم الإنسان لذة القناعة:

ومن تعلق قلبه بالدنيا لا يكاد يقول: كفاني؛ فكلما حصل على شيء أراد أكثر، وكلما بلغ منزلة تطلع إلى أعلى منها، وكلما رأى نعمة عند غيره تمنى مثلها.

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"..(١)

فالقناعة لا تعني الفقر، وإنما تعني غنى القلب؛ فقد يكون الإنسان كثير المال وهو قانع، وقد يكون قليل المال وهو شديد الطمع.

ومن صور التعلق بالدنيا

أن يكون المال هو أكبر هم الإنسان.

أن يحزن على فوات الدنيا أكثر من حزنه على فوات الطاعة.

أن يقيس قيمته بما يملك لا بما يقدم.

أن ينشغل بجمع المال عن أهله وعبادته وحقوق ربه.

سادسا: الحقد والغل

واعلم-بارك الله فيك-: أن من أعظم موانع السعادة الحقد والغل؛ لأنهما يحولان القلب إلى ساحة للصراع، ويجعلان الإنسان يعيش مع الإساءة حتى بعد انتهائها، ويحمل في صدره عداوات قد لا يشعر بها من أساء إليه أصلًا.

---

١ - متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ١١/ ٢٥٣، كتاب الرقاق (٨١)، باب ما يُتقى من فتنة المال (١٠)، الحديث (٦٤٣٦) واللفظ له، ومسلم في الصحيح ٢/ ٧٢٥ - ٧٢٦، كتاب الزكاة (١٢)، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا (٣٩)، الحديث (١١٨/ ١٠٤٩).

فالحاقد لا يعاقب خصمه بقدر ما يعاقب نفسه؛ لأنه يظل يستعيد الموقف، ويتذكر الكلمات، ويتتبع أخطاء من يكره، ويتمنى زوال النعمة عنه، وربما ينام وهو غاضب، ويستيقظ وهو يحمل الغضب نفسه.

من حمل الحقد في قلبه، حمل ثقلاً يلازمه أينما ذهب، فيتعكر صفو يومه، وتقل فرحته بما يملك، ويصبح أسير مشاعر سلبية لا تنفعه ولا تضر عدوه. أما من طهّر قلبه من الحقد، وأطلق ما فيه من غل، شعر بخفة وسكينة لا يعرفها الحاقدون.

الحقد داء دفين يفتك بالأفراد والمجتمعات: قال بعض العلماء: ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقرّ لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرّأ من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق لأحد رضي بها، وأحسّ فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرّج كربه ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، راضيا عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، ذلك أنّ فساد القلب بالضّغائن داء عضال، وما أسرع أن يتسرّب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرّب السائل من الإناء المثلوم.

إنّ الشيطان ربّما عجز أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، ولكنّه-وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربّه، حتّى يجهل حقوقه أشدّ ممّا يجهلها الوثنيّ المخرّف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نار العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم، ذلك أنّ الشرّ إذا تمكّن

من الأفئدة (الحاقدة) تنافر ودّها وارتدّ الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

إنّ الحقد هو المصدر الدفين لكثير من الرذائل الّتي رهّب منها الإسلام، فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد (الحقد) ، وقد عدّها الإسلام من أقبح الزور، أمّا الغيبة فهي متنفّس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء، ومن لوازم الحقد سوء الظنّ وتتبّع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم، أو خصائصهم البدنيّة أو النفسيّة، وقد كره الإسلام ذلك كلّه كراهية شديدة.

إنّ جمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنّهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما تمنّوه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكفّ أخرى، وهذه هي الطامّة الّتي لا تدع لهم قرارا، وهم بذلك يكونون خلفاء إبليس- الّذي رأى أنّ الحظوة الّتي كان يتشهّاها قد ذهبت إلى آدم- فآلى ألّا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرمها، وهذا الغليان الشيطانيّ هو الّذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويفسد قلوبهم، فيصبحون واهني العزم، كليلي اليد، وكان الأجدر بهم أن يتحوّلوا إلى ربّهم يسألونه من فضله، وأن يجتهدوا حتّى ينالوا ما ناله غيرهم، إذ خزائنه سبحانه ليست حكرا على أحد، والتطلّع إلى فضل الله عزّ وجلّ مع الأخذ بالأسباب هي العمل الوحيد المشروع عند ما يرى أحد فضل الله ينزل بشخص معيّن، وشتّان ما بين الحسد والغبطة أو بين الطموح والحقد (١).

---

١ – باختصار وتصرف عن «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي ص ٩٠-١٠٢.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيصيب أمّتي داء الأمم، فقالوا: يا رسول الله وماداء الأمم؟

قال:«الأشر (١) والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتّى يكون البغي»(٢)

ويتجلى كون الحقد والغل مانعين رئيسيين للسعادة في المحاور الآتية:

✍احتراق القلب والسجن الذاتي: الحاقد هو السجين الأول لحقده؛ فبينما يعيش المحقود عليه حياته الطبيعية بين أهله وولده، يبقى الحاقد يحترق في نار ضغينته، ويجتر المواقف القديمة، فيكون كمن يشرب السم وينتظر أن يموت غيره!

✍ زوال طمأنينة النفس وسكينتها:السعادة في جوهرها سلامة صدر وهدوء بال. وعندما يمتلئ القلب بالغل، يغيب منطق الرضا والتسليم، ويستقر بدله التوتر والقلق؛ إذ يظل الحاقد متربصا، يتألم لرؤية نعم الله على عباده، ويفرح بمصائبهم.

✍الحرمان من بركة الطاعة وقبول الأعمال: الحقد يفسد العلاقة مع الخالق سبحانه؛ فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ» :تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا .«فيخسر الحاقد مغفرة الله ورحمته بسبب غله.

---

١ -الأشر: المرح وقيل: هو البطر، والبطر: هو الطغيان في النعمة، والتناجش هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها.

٢ -الحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٨) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

إفساد العلاقات وتمزق الروابط: الغل يدفع صاحبه للغيبة، والنميمة، والتنقص من الآخرين، ومحاولة الإذاية، مما ينفر الناس منه ويجعله معزولا مقتوتا، فيخسر الحب والأنس الاجتماعي الذي هو من روافد السعادة.

سابعا: الفراغ وعدم استغلاله

أخي المسلم : إن الفراغ يفتح الباب للهموم والأفكار السلبية والملل، فيشعر الإنسان بالضياع والقلق حتى لو كان يملك كل شيء. أما سوء استغلال الوقت فيجعل الأيام تمر بلا فائدة ولا إنجاز، فيعيش الإنسان حسرة على ما فات، وندمـًا على ما لم يفعل، فتقل فرحته بالحاضر والمستقبل.

الوقت هو رأس مال الإنسان، ومن أضاعه في فراغ أو لهو زائد أو توافه الأمور، خسر راحة القلب وسكينة النفس. أما من ملأ وقته بما ينفع (عبادة، عمل، علم، نفع للغير، أو راحة معتدلة)، وجد في يومه معنى ورضا، وشعر بقيمة حياته.

السعادة لا تسكن قلبـًا فارغـًا أو يومـًا ضائعـًا، بل تسكن قلبـًا منشغلاً بما يُصلح دنياه وآخرته.

"ولو علم الناس ما في إشغال النفس بما يستثمر فراغها من الخير و الفضل لسارعوا إلى ذلك حرصًا على أعمارهم، ورغبة في إسعاد نفوسهم وزوال همومهم، لا سيما وأن الفراغ نعمة من النعم العظيمة، كما أخبر بذلك رسول الله - ﷺ - حيث قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(١).

مرور الوقت نقص في الحياة وجد الأمر خال من مزاج

---

١ - سبق تخريجه.

فمن يغنم زمان العمر يضحى مقيما في سرور وانشراح

والنفس البشرية إذا صرفت لشيء لم تستطع أن تشتغل بغيره من الأمور مهما كان أمرها لأن الله جل وعلا-لم يجعل في جوف الإنسان قلبين وإنما هو قلب واحد كما قال تعالى:﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[الأحزاب: ٤] فدل ذلك على أن الاهتمام بالأعمال وصرف الوقت ومجاهدة النفس في العلم أو العمل يزيل كدر الحياة وهمومها، ويدفع الوساوس والخواطر الهالكة، ويشغل المرء عن التفكير في دواعي الهم ودوافع القلق.(١)

نتائج الفراغ:

أولاً: أن الفراغ سبب أساسي في الكثير من أمراض العصر النفسية والجسمية ، لا يختلف الأطباء أبداً في أثر الفراغ في الجسم البشري أو حتى الحيواني وأنه يؤدي إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والروماتيزم والجلطات القلبية والدماغية ،وهم أيضـًا لا يختلفون كذلك أن الفراغ وراء الاكتئاب والقلق النفسي والهم.

ثانيـًا: الفراغ يجعل الإنسان يشعر بأنه لا فائدة له، وأنه عضو مشلول في المجتمع لا ينتج ولا يفيد. فالإنسان الفارغ لا يترقب شيئـًا تهفو إليه نفسه كنتيجة لعمله، فهو بلا هدف في الحياة وأي حياة هذه التي لا هدف لها.

ثالثا: الفراغ وسيلة من وسائل إبليس يوسوس فيها للإنسان فيثير فيه كوامن الغرائز ويلهبها فتحرقه وتفلت من لجامها لتحرق ما حوله. وهذه حقيقة لا مراء لها.

---

١ – دليلك إلى السعادة (ص: ١٩)

✍**رابعًا: الفراغ سبب للمشاكل الأخلاقية والجريمة،** ويشهد بهذا علماء الاجتماع، إذ وجد أن نسبة الجرائم والمشاكل الأخلاقية تتناسب طرداً مع نسبة البطالة في أي زمان ومكان.

✍**خامسًا: الفراغ سبب في كسب الذنوب** مثل التفكير في المعاصي والحديث في الناس، وما إلى ذلك.(١)

وخلصت دراسات أخرى أجريت حول علاقة وقت الفراغ بالانحراف إلى النتائج التالية:

أ-أن أغلبية الأفعال الانحرافية يرتكبها الفرد أثناء وقت الفراغ.

ب-أن نسبة كبيرة من الانحرافات ترتكب بقصد الاستمتاع بوقت الفراغ أو الحصول على وسائل تهيئ الاستمتاع بهذا الوقت.

ويؤكد باحثون آخرون أن كثيرًا من المشكلات السلوكية يرتبط بوقت الفراغ، وأن نسبة كبيرة من انحراف الأحداث تحدث خلال ذلك الوقت.

ويملك الحدث في السعودية -على سبيل المثال- وقت فراغ كبيرًا في حياته اليومية، ذلك أن المهمات الأساسية في حياته اليومية (الدراسة، النوم، الأكل، الحاجيات الضرورية) لا تتطلب منه أكثر من (٢٠) ساعة بأي حال من الأحوال، وهذا يوفر للحدث أربع ساعات فراغ يوميًا يقضيها بطرق مختلفة (اللعب؛ اللهو؛ المطالعة؛ الأنشطة الرياضية.. إلى غير ذلك)، وينطبق هذا التقدير على الحدث المنتظم في الدراسة، أما نظيره غير المنتظم في دراسته، فسيتوفر لديه وقت فراغ أكبر بكثير.

---

١ - الوقت وأهميته في حياة المسلم للشيخ علي بن نايف الشحود (٣/ ١٤)

وقد لاحظت من واقع خبرتي العملية في إدارة رعاية الأحداث بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية أن أكثر من خمس الأحداث المودعين بدور الملاحظة الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية خلال الأعوام (١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١هـ) غير منتظمين في الدراسة، وهذا مما يثير ويؤكد أهمية التساؤل حول علاقة وقت فراغهم بانحرافهم.(١)

يقول الشيخ: محمد الغزالي -رحمه الله -: في أحضان البطالة تولد آلاف الرذائل، وتختمر جراثيم التلاشي والفناء.

إذا كان العمل رسالة الأحياء فإن العاطلين موتى.

وإذا كانت دنيانا هذه غراساً لحياة أكبر تعقبها، فإن الفارغين أحرى الناس أن يُحشروا مُفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران.

وقد نبه النبي ﷺ إلى غفلة الألوف عما وُهبوا من نعمة العافية والوقت فقال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة، والفراغ".(٢).

أجل ... فكم من سليم الجسم ممدود الوقت يضطرب في هذه الحياة بلا أمل يحدوه، ولا عمل يشغله، ولا رسالة يخلص لها ويصرف عمره لإنجاحها.

ألهذا خلق الناس؟ ... كلا، فالله عز وجل يقول:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٥-١١٦] إن الحياة خلقت بالحق، الأرض والسماء وما بينهما.

والإنسان في هذا العالم يجب أن يتعرف هذا الحق وأن يعيش به.

---

١ – الوقت وأهميته في حياة المسلم (٣/ ٤٦)

٢ – سبق تخريجه.

أما أن يدخل في قوقعة من شهواته الضيقة، ويحتجب في حدودها مذهولاً عن كل شيء فبئس المهاد ما اختاره لحاضره ومستقبله !!.(١)

١ – الوقت وأهميته في حياة المسلم (٣/ ٥٦)

الباب الثالث: مفاتيح السعادة

وفيه

الفصل الأول: أسباب السعادة في العقيدة والعبادة

الفصل الثاني: أسباب السعادة في القلب والنفس

الفصل الثالث: أسباب السعادة في الحياة والعلاقات

الباب الثالث: مفاتيح السعادة

فإنَّ السعادة هي المطلب الأسمى والغاية الكبرى التي تشرئب إليها أعناق البشر قاطبةً على اختلاف أجناسهم، وتفاوت مقاصدهم، وتنوع مشاربهم. غير أن الناس قد ضلوا في شوارد الطرق بحثًا عنها؛ فمنهم من ظنها في جمْع المال، ومنهم من رأى بريقها في اعتلاء المناصب والتصدُّر، ومنهم من طلبها في الشهوات والتوسع في الملذات. وما علم أولئك جميعًا أن هذه الأسباب المادية إن لم تُحَط بسياج الإيمان والرضا، كانت أسبابًا للشقاء والرهق لا للراحة والنعيم.

إن السعادة الحقيقية ليست حالة طارئة من الفرح المؤقت، ولا نشوة عابرة تزول بزوال أسبابها الظاهرة، بل هي سكنٌ يحلّ في الفؤاد، وانشراحٌ يستقرّ في الصدر، وسكينةٌ تغمر النفس، حتى يعيش صاحبها في جنة عاجلة في دنياه قبل جنة آخرته؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».

ولما كان لكل غايةٍ طريق، ولكل ثمرةٍ غراس؛ فإن للسعادة أسبابًا واضحة، وقواعد راسخة متى ما أخذ العبد بها واستمسك بغرزها، انفتحت له أبواب الطمأنينة، وانقشعت عنه سحب الهم والغم، واستحال كدر حياته صفاءً.

وفي هذا الباب، نسلط الضوء على أبرز أسباب السعادة ومعالمها التي تشرح الصدور، وتصلح البال، وتسلك بالعبد طريق الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين الصالحين، حيث قال جل وعلا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

نستعرض هذه الأسباب موثقةً بالنصوص الشرعية، ومؤيدةً بالحقائق الإيمانية والتجارب التربوية، لتكون دليلاً ومرشداً لكل سالك يبتغي راحة البال وسلامة الصدر في هذه الدار.

الفصل الأول: أسباب السعادة في العقيدة والعبادة

إن السعادة مطلب إنساني غريزي، ينشدها كل إنسان ويسعى إليها في شتى مجالات الحياة، غير أن السعادة الحقيقية والدائمة ليست شعوراً عابراً أو متعة زائلة ترتبط بالماديات والأسباب الدنيوية المجردة، بل هي طمأنينة سكنت القلب وسكينة غمرت الروح.

وقد أصلت الشريعة الإسلامية هذا المعنى البيّن؛ فجعلت العقيدة الصحيحة هي الركيزة الأولى والأساس الأمتن لهذه الطمأنينة، إذ يربط الإيمانُ العبدَ بربه وخالقه، ويمنحه الرضا بقضائه وقدره، ويتوج فيه اليقين بأن الأمور كلها بيده سبحانه. ثم تأتي العبادة لتكون الثمرة العملية لهذا الإيمان والصلة المستمرة بين العبد وربه، ففي محراب الصلاة والدعاء والذكر والتقرب إلى الله يجد الإنسان سكن نفسه، ومخرجًا من أزماته، وراحةً من هموم الحياة وأثقالها.

ويتناول هذا الفصل أسباب السعادة المترتبة على تحقيق العقيدة الصافية والالتزام بالعبادة الصالحة، موضحًا كيف يثمر الإيمان وطاعة الله أثراً مباشراً على انشراح الصدر، وراحة البال، واستقرار النفس في هذه الحياة الدنيا، وما يُدخر للعبد من النعيم المقيم في الآخرة.

أولا: العلم مفتاح السعادة

اعلم -بارك الله فيك-: أن العلم من أعظم مفاتيح السعادة في حياة الإنسان؛ إذ يخرج العقل من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، ويهدي القلب إلى الحق، ويمنح صاحبه القدرة على فهم الحياة، وحسن التعامل مع الناس، واتخاذ القرارات الصائبة. وبالعلم يعرف الإنسان ربَّه، ويفهم دينه، ويميّز بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، ويعرف كيف يؤدي واجباته، ويحفظ حقوق غيره.

وليس العلم مجرد معلومات تُحفظ، أو شهادات تُنال، أو مناصب تُكتسب، وإنما العلم النافع هو الذي يثمر عملًا صالحًا، وخلقًا كريمًا، وتواضعًا للحق، ونفعًا للناس. فكم من إنسان اتسعت معارفه، لكنه لم يحسن استخدامها، وكم من صاحب علم جعل علمه وسيلة للإصلاح، فكان سببًا في سعادته وسعادة من حوله.

ومن هنا كان العلم مفتاحًا للسعادة؛ لأنه ينير الطريق، ويهذب النفس، ويرفع الجهل، ويعين الإنسان على عبادة الله على بصيرة، وعلى عمارة الأرض بالخير والإصلاح.

أولًا: العلم طريق الرفعة والسعادة:

اعلم – بارك الله فيك: أن الله رفع منزلة العلم وأهله، وبيَّن أن أهل العلم ليسوا كغيرهم في الفهم والبصيرة، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

هذا استفهام تقريري يبين عظيم الفرق بين من يستنير بالعلم، ومن يعيش أسير الجهل. فالعلم يمنح الإنسان القدرة على التمييز، ويجعله أقدر على فهم عواقب الأمور، وأبعد عن الاندفاع وراء الأوهام والشائعات والأحكام المتسرعة.

وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[المجادلة: ١١].

فالرفعة الحقيقية ليست بكثرة المال وحده، ولا بالمكانة الاجتماعية وحدها، بل تكون بالإيمان والعلم والعمل الصالح. وقد يرفع العلم صاحبه في أعين الناس بما يقدمه من نفع، ويرفعه عند الله إذا أخلص نيته، وعمل بما علم، واتقى ربه. وكلما ازداد الإنسان علمًا نافعًا، اتسعت رؤيته للحياة، وأصبح أقدر على معالجة المشكلات، وأحسن فهمًا لنفسه وللآخرين، وهذا من أسباب السعادة والاتزان.

ثانيًا: العلم النافع يزيد صاحبه معرفة بالله: من أعظم ثمار العلم أن يعرف الإنسان ربَّه، ويتأمل آياته في الكون، ويدرك عظمة خلقه، وحكمة شرعه، وسعة رحمته. فالعلم الشرعي يعرّف العبد بربه، ويعلمه كيف يعبده، والعلم بالكون والحياة يفتح أمامه أبواب التفكر في آيات الله وعجائب صنعه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨].

فالآية تدل على أن من ثمار العلم الصحيح خشية الله وتعظيمه؛ إذ كلما عرف الإنسان من دلائل قدرة الله وحكمته ما يزيده بصيرة، ازداد إدراكًا لعظمة الخالق، واستشعر مسؤوليته عن أقواله وأعماله.

والعلم الذي يقود إلى السعادة لا يجعل صاحبه متكبرًا على الناس، بل يزيده تواضعًا، ويجعله أكثر إدراكًا لحدود معرفته، وأشد حرصًا على التثبت قبل الحكم، وأبعد عن الغرور والخصومة بغير حق.

ثالثًا: طلب العلم عبادة وطريق إلى الجنة: لقد بيَّن النبي ﷺ فضل طلب العلم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة". (١)

وهذا الحديث يفتح أمام المسلم بابًا عظيمًا من أبواب الأمل؛ فالسعي في طلب العلم الشرعي النافع من الأعمال التي جعل الله لها فضلًا كبيرًا، لما فيها من تصحيح العقيدة والعبادة، وإصلاح الأخلاق، ونفع الخلق.

وطلب العلم لا يقتصر على الالتحاق بالجامعات أو حضور الدروس الرسمية؛ بل يبدأ من سؤال أهل العلم، وقراءة الكتب الموثوقة، والاستماع إلى الدروس النافعة، والتعلم من التجارب، والحرص على تصحيح الأخطاء.

ومن أراد السعادة فليجعل لنفسه نصيبًا يوميًّا من التعلم، ولو قليلًا؛ فالمعرفة تنمو بالتدرج، والعقول تتفتح بالمداومة، والأعمال تتحسن حين تستند إلى فهم صحيح.

رابعًا: العلم يحرر الإنسان من الجهل والخرافة: الجهل من أسباب الشقاء؛ لأنه قد يدفع صاحبه إلى سوء الفهم، واتخاذ القرارات الخاطئة، وتصديق الشائعات، والوقوع في الخوف غير المبرر، أو ظلم الآخرين بسبب أحكام لا تقوم على دليل.

---

١ -أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٣٦٤٣).

أما العلم فيعلّم الإنسان التثبت، ويجعله يسأل عن الدليل، ويفرق بين الحقيقة والإشاعة، وبين النصيحة والتشهير، وبين النقد البناء والعداوة الشخصية.

قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

تربي هذه الآية المسلم على المسؤولية في التفكير والكلام؛ فلا يتهم بغير بينة، ولا ينشر خبرًا قبل التحقق منه، ولا يتحدث فيما يجهل، ولا يجعل الظنون حقائق.

وما أحوج مجتمعاتنا إلى هذه الأخلاق في زمن سرعة تداول الأخبار عبر وسائل التواصل! فكثير من الخصومات والأحزان تنشأ من معلومة كاذبة، أو فهم خاطئ، أو حكم متسرع. ومن السعادة أن يتعلم المرء كيف يتحقق، وكيف يحاور، وكيف يختلف مع الآخرين بأدب وإنصاف.

✍خامسًا: العلم النافع يفتح أبواب الرزق والعمل: من ثمار العلم أنه ينمي المهارات، ويزيد القدرة على الإنتاج، ويساعد الإنسان على اكتساب الحرفة، وإتقان الوظيفة، وحل المشكلات، وخدمة المجتمع.

فالمعلم بعلمه يربي الأجيال، والطبيب بعلمه يخفف آلام المرضى، والمهندس بعلمه يسهم في بناء العمران، والفلاح بخبرته يحسن استثمار الأرض، والحرفي الماهر يقدم عملًا متقنًا ينتفع به الناس.

وهكذا يصبح العلم سببًا في تحسين حياة الفرد وأسرته ومجتمعه، متى اقترن بالأمانة والإخلاص والعمل.

قال الله تعالى:﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه: ١١٤].

إن الله تعالى وجَّه نبيه ﷺ إلى سؤال الزيادة من العلم، وفي ذلك تنبيه إلى شرف العلم، وأن الإنسان مهما بلغ من المعرفة فإنه يحتاج إلى المزيد، وإلى مراجعة ما تعلمه، وتطوير مهاراته، والاستفادة من خبرات غيره.

وليس المقصود أن العلم وحده يضمن الثراء أو زوال المشكلات، بل إنه من الأسباب المهمة التي تعين الإنسان على تحسين واقعه، مع التوكل على الله، وبذل الجهد، والأخذ بالأسباب المشروعة.

✍سادسًا: العلم يحسن العلاقات ويقلل الخصومات:

من أسباب السعادة أن يحسن الإنسان التعامل مع والديه، وزوجه، وأبنائه، وأقاربه، وجيرانه، وزملائه. وكثير من المشكلات الأسرية والاجتماعية تنشأ من الجهل بطبيعة النفوس، أو سوء التواصل، أو التسرع في الغضب، أو عدم معرفة الحقوق والواجبات.

والعلم النافع يعلّم صاحبه الرفق، والحوار، والاعتذار عند الخطأ، واحترام الاختلاف، وإعطاء كل ذي حق حقه.

قال الله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت: ٣٤].

إن معرفة الإنسان بفضيلة العفو، وأثر الكلمة الطيبة، وخطورة الظلم وسوء الظن، تساعده على بناء علاقات أكثر استقرارًا ورحمة. وقد يكون تعلم مهارة الاستماع أو إدارة الغضب أنفع لحياة الإنسان من امتلاك معلومات كثيرة لا يحسن توظيفها.

فالعلم الذي لا ينعكس على أخلاق صاحبه يحتاج إلى مراجعة، لأن من علامات العلم النافع أن تظهر آثاره في السلوك والمعاملة.

يري ابن القيم أن العلم بخلاف المال يحدث لذة وسعادة حقيقية ، ولكني أري انه مثل المال قد يحدث لذة أو ألماً لان لذة العلم مشوبة كذلك، لان العلم يتحصل عليه الإنسان بالمعاناة كما هو الحال بالنسبة للمال، وقد يكون للعالم حساد ومعارضون يفسرون كلامه بطريقة غير صحيحة وغير منطقية وغير منصفة، فيحرف فيقول أنه قال كذا وكذا دون أن يكون قال ذلك، وهذا يحزنه وقد ينتقد كلامه من ليس أهلاً للنقد ، وقد يتحامل عليه النقاد وينتقدونه نقداً غير عادل، وقد يفضل عليه في من هو أقل منه علماً، وقد يجره علمه إلي السجن والضرب كما حدث لكثير من العلماء، إن العلم مسئولية فالعالم إن تحدث أو كتب يخاف الخطأ، وإن سكت وكتم يخاف عقوبة الكتمان، إن العلم واسع ولا حدود له والعمر قصير قد يصرف الإنسان وقته في علم "كما حدث لبعض العلماء" ويتبين له أن صرف في علم لا يفيد كثيراً، وهنالك مشكلات تتعلق بالنشر، فقد تنشر ما لا يستحق النشر ولا ينشر ما يستحق النشر، وقد تمنح الدرجات والتقريرات والجوائز لعلماء لا يستحقونها ولا تمنح لمن يستحقونها، وغيرها من الأسباب التي تكدر التلذذ بالعلم ولكن من جعل علمه لخدمة المسلمين ولمرضاة الله ووطن نفسه علي ذلك فأنه يسعد بعلمه .

من ناحية أخرى فأنه لا شك أن العلم سبب من أسباب سعادة المجتمع وركن يعتمد عليه قوامه وبه تكون قوته العسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية.

مفارقة الرضا:

يقول ابن القيم الجوزية-رحمه الله- "وليس من شرط الرضا ألا يحس بالآلم والمكاره بل أن لا يعترض علي الحكم ولا يسخطه ولهذا أشكل علي بعض الناس الرضا بالمكروه وطعنوا فيه، وقالوا هذا ممتنع عن الطبيعة وإنما الصبر وإلا فكيف يجتمع الرضا والكراهة وهما ضدان. وأعطى حلاً لهذه المفارقة فقال " والصواب إنه لا تناقص بينهما وإن وجد التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كرضا المريض بشرب الدواء الكريه، ورضا الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيره "(١)

الرضا رضي بمكروه وبشيء غير محبب للنفوس والشيء غير المحبب للنفوس كالآلام والهم والغم، إذن فالرضي رضى بشيء لا يرضى به الإنسان لكن إذا عرفنا بأنه رضي بمكروه لغيره، فأن ما هو مكروه لغيره قد لا يكون مكروهـًا له، والمكارة ابتلاءات يبتلي بها المؤمن، ولا يمكن أن يبتلي المؤمن بما يحب، والحل الذي أشار إليه ابن القيم أنه يرضي به لآجل محبوب كرضا المريض بالدواء لكي يجد نعمة العافية، فرضا المؤمن المبتلى بالآلم والهم والغم يكون لآجل اللذة والمتعة والسعادة التي يجدها في الآخرة، فهو يرضى بقدر الله تعالي ويصبر ويحتسب رجاء ثواب الله في الآخرة، فسعادة المؤمن يتمنى ويرجو زوال المكروه في الدنيا، لذلك دعا الرسول ﷺ لزوال المكاره، وشرع ذلك وشرع التداوي، ووردت أدعية كثيرة عنه ﷺ يدعو بها الصحابة والصالحون : قد يستثني بعض المتصوفة من ذلك، فقد كانوا يتمنون المكارة

---

١ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٧٣).

لكي يجدوا ثواب الآخرة " وتجدر الإشارة إلى أن المعاناة كانت سببًا في إبداعات ومساهمات عظيمة في تاريخ البشر، وأن المعاناة في كثيرمن الأحيان يتبعها إنجاز و تتبعه سعادة ورضى .

✍كيف نجعل العلم مفتاحًا لسعادتنا؟

حتى يؤدي العلم دوره في تحقيق السعادة، ينبغي أن نحرص على أمور مهمة:

١. الإخلاص في طلب العلم :بأن يكون المقصود منه رضا الله، وإصلاح النفس، ونفع الناس.

٢. البدء بالأهم :فيتعلم المسلم ما تصح به عقيدته وعبادته، وما يحتاج إليه في حياته وعمله.

٣. الاستمرار ولو بالقليل :تخصيص وقت يومي للقراءة أو الاستماع أو المراجعة.

٤. التثبت من المصادر :لا سيما في المسائل الدينية والأخبار التي تمس سمعة الناس وحقوقهم.

٥. العمل بما نتعلم :فالمعرفة التي لا تتحول إلى سلوك تبقى ناقصة الأثر.

٦. التواضع وقبول النصيحة :فلا يمنعنا ما تعلمناه من الاعتراف بالخطأ أو الاستفادة من غيرنا.

٧. تعليم الآخرين برفق :فمشاركة المعرفة النافعة تنشر الخير، وتزيد المجتمع وعيًا وقدرة على مواجهة المشكلات.

٨. الموازنة بين التعلم والحياة :فلا يتحول طلب المعرفة إلى انشغال مفرط يهمل معه الإنسان أسرته أو صحته أو واجباته.

٩. سؤال الله العلم النافع :مع الاجتهاد في تحصيله، والعمل به، ونشره فيما ينفع.

ثانيا: الإيمان بالله والعمل الصالح

أخي القاري : الإيمان هما أصل السعادة الأكبر، والركين الذي تتفرع عنه كافة أسباب طمأنينة القلب وانشراح الصدر، وهو السبب الوحيد الذي ضمن الله تعالى لفاعله الحياة الطيبة في قوله جل وعلا {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

أبرز الثمار والمظاهر التي يجعل بها الإيمانُ والعملُ الصالح العبدَ سعيداً:

- **سكينة القلب وراحة البال** :الإيمان يربط القلب بالخالق جل جلاله، فيتورث النفس يقيناً وثباتاً لا تتزعزع معه عند الملمات، ولا تطيش عند النازلات، قال تعالى﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .
- **الأمن النفسي والسلام الداخلي** :المؤمن أبعد الناس عن القلق والاضطراب والوحشة؛ لأنه يعلم أن أمره كله لله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ خَيْرًا» (١)

---

١ – أخرجه مسلم في صحيحه (الزهد: باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٦٤)

- **لذة الطاعة وحلاوة المناجاة** :للعمل الصالح من صلاة، وذكر، وإحسان إلى الخَلق حلاوةٌ يجدها المؤمن في قلبه تفوق كل لذائذ الدنيا، وهي الجنة العاجلة التي تملأ الروح بالبهجة والرضا.
- **التحرر من عبودية الخَلق والماديات** :الإيمان يرفع همة العبد؛ فيجعله متصلاً بالباقي سبحانه، غير متشوف لما في أيدي الناس، ولا مأسور للشهوات أو الفانيات، فيعيش حر القلب عزيز النفس.
- **البركة في العمر والرزق** :العمل الصالح سبب لفتح أبواب البركات في الحياة، وشرح الصدر، وتحبيب الخير وإقبال القلوب بالمودة والقبول.

قال الله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) [النحل/ ٩٧]}

يقول الشنقيطي –رحمه الله – وفي الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بالحياة الطيبة في الآية : حياته في الدنيا حياة طيبة . وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أن المراد بالحياة الطيبة: حياته في الجنة في قوله: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} صار قوله : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } تكراراً معه .

لأن تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم.

بخلاف ما لو قدرنا أنها في الحياة الدنيا.

فإنه يصير المعنى: فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة، ولتجزينه في الآخرة بأحسن ما كان يعملن وهو واضح.

وهذا المعنى الذي دل عليه القرآن تؤيِّده السنة الثابتة عنه ﷺ.

قال ابن كثير-رحمه الله-في تفسير هذه الآية الكريمة: والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه فسرها بالقناعة، وكذا قال ابن عباس وعكرمة، ووهب بم منبه -إلى أن قال -وقال الضحاك: هي الرزق الحلال، والعبادة في الدنيا.

وقال الضحاك أيضاً -هي العمل بالطاعون والانشراح بها.

والصحيح -أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله.

كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه» (١)

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً» (٢)

وهذه الأحاديث ظاهرة في ترجيح القول: بأن الحياة الطيبة في الدنيا. لأن قوله ﷺ: «أفلح» يدل على ذلك لأن من نال الفلاح نال حياة طيبة.

وكذلك قوله ﷺ: «يعطى بها في الدنيا» يدل على ذلك أيضاً.

---

١ – أخرجه أحمد ح ٢٢٨١٨ و أخرجه الترمذي (٢ / ٥٦) و ابن حبان (٢٥٤١)و الحاكم (١ / ٣٥) و كذا ابن المبارك في " الزهد " (٥٥٣) القضاعي في " مسنده " (ق ٥٢ / ١) و صححه الألباني في الصحيحة ح ١٥٠٦

٢ – أخرجه الطيالسى (ص ٢٦٩، رقم ٢٠١١) ، وأحمد (٢٨٣/٣، رقم ١٤٠٥٠) ، وعبد بن حميد (ص ٣٥٥، رقم ١١٧٨) ، ومسلم (٢١٦٢/٤، رقم ٢٨٠٨) ، وابن حبان (١٠١/٢، رقم ٣٧٧).

وابن كثير إنما ساق الأحاديث المذكورة لِيُنَبِّهَ على أنها ترجح القول المذكور. والعلم عند الله تعالى (١).

وتحصل السعادة بالإيمان من عدة جوانب:

أ – إن الإنسان الذي يؤمن بالله تعالى وحده لا شريك له إيمانا كاملا صافيا من جميع الشوائب ، يكون مطمئن القلب هادئ النفس ، ولا يكون قلقا متبرما من الحياة بل يكون راضيا بما قدر الله له شاكرا للخير صابرا على البلاء . إن خضوع المؤمن لله تعالى يقوده إلى الراحة النفسية التي هي المقوم الأول للإنسان العامل النشط الذي يحس بأن للحياة معنى وغاية يسعى لتحقيقها قال الله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } .

يقول السعدي – رحمه الله –الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.(٢)

إن الإيمان يجعل الإنسان صاحب مبدأ يسعى لتحقيقه فتكون حياته تحمل معنى ساميا نبيلا يدفعه إلى العمل والجهاد في سبيله وبذلك يبتعد عن حياة

---

١ – أضواء البيان –(ج ٣ / ص ٦٩)

٢ – تفسير السعدي –(ج ١ / ص ٢٦٣)

الأنانية الضيقة، وتكون حياته لصالح مجتمعه وأمته التي يعيش فيها ، فالإنسان عندما يعيش لنفسه تصبح أيامه معدودة وغاياته محدودة أما عندما يعيش للفكرة التي يحملها فإن الحياة تبدو طويلة جميلة تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتها لوجه الأرض ، وبذلك يتضاعف شعوره بأيامه وساعاته ولحظاته .

إن الإيمان ليس فقط سببا لجلب السعادة بل هو كذلك سبب لدفع موانعها. ذلك أن المؤمن يعلم أنه مبتلى في حياته وأن هذه الابتلاءات تعد من أسباب الممارسة الإيمانية فتتكون لديه المعاني المكونة للقوى النفسية المتمثلة في الصبر والعزم والثقة بالله والتوكل عليه والاستغاثة به والخوف منه وهذه المعاني تعد من أقوى الوسائل لتحقيق الغايات الحياتية النبيلة وتحمل الابتلاءات المعاشية كما قال الله تعالى: { إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ } .

سحرة فرعون: الإيمان الذي هزم الخوف: من أعظم القصص قصة سحرة فرعون. كانوا في أول النهار يقفون مع فرعون طمعًا في المال والجاه، فلما رأوا آية موسى عليه السلام وعرفوا الحق، آمنوا بالله، فتحولوا في لحظات من أناس يطلبون الدنيا إلى مؤمنين مستعدين للتضحية بحياتهم.

قال تعالى:﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...﴾]طه: ٧٠-٧١.[

ثم هددهم فرعون بالقتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل، فقالوا بثبات عجيب: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾]طه: ٧٢-٧٣.[

لقد وجدوا في الإيمان من القوة والطمأنينة ما جعلهم لا يخافون تهديد فرعون .

فالإيمان منحهم سعادة القلب، حتى وهم يواجهون الموت.

امرأة فرعون – رضي الله عنها- : قال ابن حجر-رحمه الله -: ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه" [١]

وقال ابن كثير-رحمه الله -: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.[٢]

قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟

فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت بربّ موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.[٣]

ماشطة بنت فرعون- رضي الله عنها: فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ : " لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة؟

قالوا: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنته: أبي؟

فقالت: لا، قالت: بل ربي وربك ورب أبيك، فقالت: أخبر بذلك أبي؟

---

[١] – فتح الباري – ابن حجر (٦/ ٤٤٨)

[٢] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٨/ ١٧٢)

[٣] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر (٢٣/ ٥٠٠)

قالت: نعم، فأخبرته، فدعا بها وبولدها، فقال: ألك رب غيري؟

فقالت: نعم، ربي وربك الله، وأظنه قال: فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها، فقالت: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟

قالت: أن تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها جميعا.

فقال: ذلك لك لما لك علينا من الحق، فأتى بأولادها فألقى واحدا واحدا حتى إذا كان آخر ولدها وكان صبيا مرضعا، فقال: اصبري يا أماه، فإنك على الحق، ثم ألقيت مع ولدها " "[1]

وذهب فرعون وجنده لا يذكرون إلا بالكفر والطغيان، وبقي ذكرها وإيمانها نبراسا يضيئ الطريق للمؤمنين.

عبد الله بن حذافة السهمي –رضي الله عنه– روى أهل السير؛ [كالذهبي] [وابن حجر] وغيرهم أن [عمر] ÷ وجه في السنة التاسعة عشرة للهجرة جيشًا لحرب الروم، وفتح بلادهم للإسلام، وقد علم قيصر الروم من أخبار جند المسلمين، وما يتحلون به من صدق الإيمان، ورسوخ عقيدة، واسترخاص للنفوس في سبيل الله، وصبر وبذل للمُهَج والأرواح في سبيل الله، ما علم؟ علم ما أذهله وما أدهشه وما أشدهَهُ، فأمر رجالاته أن إذا ظفروا بأسير من المسلمين أن يبقوا عليه حيًا ويأتوه به، وشاء الله –جل وعلا– أن يقع في الأسر عدد من المسلمين من بينهم صحابي جليل قد أدرك معنى العبودية لله –عز وجل– فتخلص من رقِّ المخلوقين، فلا تراه إلا وهو يصوم النهار، ويتلو القرآن، يقوم في جنح الليل، ويستغفر بالأسحار، فقليل ما يهجع، راقبوه، فرأوا

[1] – أخرجه أحمد (٣٠٩/١، رقم ٢٨٢٢)، والطبراني (٤٥٠/١١، رقم ١٢٢٧٩)

من تقاه وصلاحه وصلابته ورجولته وعقله ورزانته ما أدهشهم، ورأوا إن كسبوه لدينهم أنهم حققوا نصرًا عظيمًا، وكسبًا عظيما، ذكروه لقيصرهم فقال: ائتوني به، فجاءوا به فكان الخُبْر أعظم من الخَبَر، وجاوزت المعاينة الخبر، وما راءٍ كمن سمع كما قيل، نظر إليه قيصرهم فرأى فيه عزة واستعلاء المؤمن، ونجابة الأبطال، فبادره قائلا: إني أعرض عليك أمرًا، قال: ما هو؟ قال: أن تَتَنَصَّر، فإن فعلت خلَّيت سبيلك وأكرمت مثواك، فقال الأسير في أنفة وحزم: هيهات هيهات، إن الموت لأحب إليَّ ألف مرة مما تدعوني إليه، هيهات، أنى لقلوب خالطتها بشاشة الإيمان أن تعود إلى ظلمات الكفر والضلال مهما كانت الإغراءات، أنى لقلوب عرفت النور بحق أن تتدثر بالظلام مرة أخرى مهما كانت المغريات، يفشل العرض الأول من هذا القيصر ويتحطم على صخرة الإيمان؛ لأن هذا الرجل امتلأ قلبه بعبودية الله، فلم يبقَ في قلبه متسعٌ لغير تلك العبودية، بدأ بالإغراءات فقال قيصرهم: لو تنصرت شاطرتك ملكي، وقاسمتك سلطاني -يريدون أن يبيع دينه بعرض من الدنيا، يريدون أن يُصرف عن عبودية الله إلى رق المركز الذي طالما سال له لعاب كثير من الناس، فضيعوا حقوق الله في سبيل نيله، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا -

هربوا من الرقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفسِ والشَّيطانِ

فقال: مبتسما في قيده: اخسأ عدو الله، والذي لا إله إلا هو لو أعطيتني جميع ما تملك وما تملكه العرب والعجم على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما رضيت، الله أكبر، يتحطم الإغراء بالمركز على صخور الإيمان الشُّمِّ في نفس ذلك الصحابي، لماذا؟ لأنه طالب جنة، ولا يمكن أن يغرى بما هو دون الجنة،

وليس بأيديهم ما هو أعلى من الجنة ليغروه به، فأنى لهم أن يصلوا إليه، إنها سلعة الله، غالية جد غالية، مهرها بذل النفس والنفيس لمالكها الذي اشتراها من المؤمنين، وأيم الله، ما هزلت حتى يجتامها المفلسون المعرضون الجبناء، وأيم الله ما كسدت حتى يبتاعها نسيئة وتأجيلا المعسرون المفلسون، لقد أقيمت للعرض في السوق لمن يريد، وقيل: هل من مزيد، فلم يرضَ لها بثمن دون حبل الوريد، عندها قال قيصرهم: ردوه إلى الأَسْرِ، فردوه، وطلب من حاشيته وبطانته الاجتماع فورًا لتداول الرأي في طريق يكسب به هذا الفتى ليكون من جند النصارى -وحقًا إنه كسب- وبعد المداولة استقر الرأي على أن الشهوة طريق مجرب ناجح صُرِفَ به الكثير عن دينه ومبادئه وثوابته، فلكم رأوا ولكم رأينا ولكم نر من أناس يعبدون الشهوة، فينفقون أموالهم في الشهوة المحرَّمة؛ لتكون عليهم حسرة وبئس الإنفاق، يسافرون وراء الشهوة المحرمة وبئس السفر والركب، يبيعون دينهم في سبيل الشهوة المحرمة وخسر البيع، والنار حفت بالشهوات وهم يتهافتون إليها وساء التهافت، عبَّاد شهوة وبئس العبيد. قال قيصرهم: ائتوني بأجمل فتاة في بلادي، فجيء بملكة جمال البلاد كما يقولون، وأغراها بالأموال العظيمة إن استطاعت أن توقعه في الفاحشة؛ لأن الفاحشة طريق إلى ترك دينه، ولك أن تتصور أخي الحبيب، لك أن تتصور ما حال هذا الرجل، شاب في كامل فتوته ورجولته وشبابه وقوته وفوق ذلك غائب عن أهله منذ شهور، وهذا عامل يجعلهم يتفاءلون، أدخلوها عليه، فتجردت من ملابسها بعد تجردها من الحياء المترتب على التجرد من الإيمان، ولا ذنب بعد كفر، قامت تعرض نفسها أمامه، ثم ترتمي في أحضانه، فيهرب منها قائلا: معاذ

الله، معاذ الله، فتطارده ويتجنبها، ويغمض عينيه؛ خشية أن يُفتن بها، ويقرأ القرآن ويستعيذ بالرحمن ولسان حاله ومقاله: رب القتل أحب إليَّ مما تدعوني إليه، وإلا تصرف عني كيدها أَصْبُ إليها وأكن من الجاهلين، تتابعه من جهة إلى جهة، وهو يستعيذ بالله الذي ما امتلأ قلبه إلا بعبوديته حتى يئست منه، نَقَلَة الأخبار على الباب من شياطين الإنس ينتظرون خبر فتنة ذلك الصحابي ووقوعه في الفاحشة لينقلوه إلى الآفاق شماتة في الإسلام وأهله، وإعلانًا لانتصارهم في صرفه عن دينه، ولعل غيره يتبعه في ذلك (حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُم إِنْ اسْتَطَاعُوا) وإذا بها تصيح أخرجوني أخرجوني، فأخرجوها قد تغير لونها، فشلت مهمتها، كرتها خاسرة عاهرة فاجرة، سألها مَن عند الباب من نقلة الأخبار: ما الذي حدث؟ هاتِ البشرى، يريدون أن يطيروا بالخبر، قالت: والله ما يدري أأنثى أنا أم ذكر، ووالله ما أدري أأدخلتموني على حجر أم على بشر. الله أكبر الإغراء بالشهوة يخجل أمام عبودية الله التي ما تركت متسعًا لغيرها في قلبه. كيف يرضى طالب الحور العين بعاهرة فاجرة، ولذة قد يعقبها الهاوية؟ كيف يرضى وقد وُعِدَ بمن لو اطلعت إحداهن إلى أهل الأرض لملأت ما بين السماء والأرض ريحًا ولأضاءت ما بينهما؟ كيف ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها؟ كيف وقد وعد بمن ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة؟ كيف وقد وعد بمن أدنى لؤلؤة عليها تضئ ما بين المشرق والمغرب؟ كيف وقد وعد بمن يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذ البصر حتى يرى مخَّ ساقها من وراء اللحم والدم والعصب والعظم؟ كيف وقد وعد بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. خاب من باع باقيًا بفانٍ، خاب من باع الجنة

بما فيها بشهوة ساعة. هنا يقول قيصرهم: إذًا أقتلك، انتقل الأمر إلى التهديد وأنى لمؤمن امتلأ قلبه بعبودية الله أن يخشى تهديدًا دون نار جهنم إنه هارب من النار وما هناك تهديد بما هو أعظم من النار؛ فكل تهديد دونها ولا شك. قال -رضي الله عنه-: أنت وما تريد، افعل ما بدا لك، فأمر بصلبه، ثم أمر برميه بالسهام قرب يديه ورجليه وهو يعرض عليه أثناء ذلك أن يرتد عن دينه فيأبى، فيطلب منهم قيصرهم أن ينزلوه عن خشبة الصلب لينوع التهديد عليه؛ علّه أن يلين، فيدعو بقِدْرٍ عظيم ويصب فيها الزيت، ويوقد تحتها النار حتى أصبح الزيت يغلي، ثم يأتي بأسيرين من أسرى المسلمين فيلقيهما في القدر أمام عينيه، فإذا بلحمهما يتفتت وعظامهما تبدو عارية، منظر فظيع بشع وحشي، ظنوا أنهم به وصلوا إلى قلب هذا الصحابي وإلى بغيتهم منه، التفت القيصر إلى الصحابي وعرض عليه النصرانية فكان أشد إباء من ذي قبل، فلما يئس منه أمر به أن يلقى في القدر مع صاحبيه، فلما ذهب به دمعت عيناه، فظنوا أنه قد جزع وسيرتد عن دينه، فعرضوا عليه النصرانية مرة أخرى فأبى، قال: ويحك فما أبكاك؟ قال: أبكاني أن قلت في نفسي إنما هي نفس تلقى الآن في هذا القدر فتذهب، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس تلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله، لا إله إلا الله، والله أكبر، ويا لها من قلوب امتلأت بخشية الله وعبودية الله! لم يترك فيها فراغًا لوعد أو وعيد دون الجنة أو الجحيم، عندها ردوه إلى الأسر ووضعوا معه خمرًا ولحم خنزير، ومنعوا عنه الطعام والشراب، وبقي ثلاثة أيام يراقب علَّه أن يأكل لحم الخنزير، أو يشرب من الخمر فلم يفعل، وانثنت عنقه -رضي الله عنه وأرضاه-مالت عنقه

من شدة الجوع والعطش وأشرف على الهلاك، فأخرجوه وقالوا له: ما منعك أن تأكل أو تشرب، فقال: أما إن الضرورة قد أحلت لي ذلك، ولكن والذي لا إله إلا هو لقد كرهت أن يشمت أمثالكم بالإسلام وأهله

فقال له القيصر معجبًا بثباته ورشده وقوة عقله ولبِّه: هل لك أن تقبل رأسي فأخلي عنك، وكانوا لا يعيشون لأنفسهم، قال: وعن جميع أسرى المسلمين، قال: وعن جميعهم، فقال يسائل نفسه: عدو من أعداء الله أقبل رأسه ليخلي عن أسرى المسلمين لئلا يقتلوا، لا ضير في ذلك، فقبله فأطلق له الأسرى وأجازه بثلاثين ألف دينار وثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفة كما روى [ابن عائذ] في السير [للذهبي]، وقدم على عمر بن الخطاب ÷ بأسرى المسلمين ثابتًا كالطود الشامخ، يطأ بأخمصه الثرى، وهامه توازي الثريَّا، وأخبر عمر الخبر، فسُرَّ أعظم سرور، ثم قام فقبَّل رأسه وقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأسك[1]

بلال بن رباح رضي الله عنه: السعادة رغم العذاب : وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود قال: (كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم دروع الحديد، وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادو، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على

[1] – محاضرات علي القرني (١٦/ ٦)

قومه فأخذوه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد"[١]

وذكر أبو نُعيم في الحِلْية عن ابن إسحاق: كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة؛ ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزّى. فيقول: - وهو في ذلك البلاء - أُحد، أُحد. قال عمار بن ياسر - وهو يذكر بلالاً وأصحبه وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياه، وكان اسم أبي بكر عتيقـًا رضي الله عنه -:

جزى الله خيراً ن بلالٍ وصَحْبه عتيقـًا وأخزى فاكهـًا وأبا جهلِ

عشية همَّا في بلال بِسَوْأةٍ ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقلِ

بتوحيده ربَّ الأنامِ وقولِه شهدتُ بأنَّ الله ربي على مَهْلِ

فإن يقتلوني يقتلوني فلم أكن لأشركَ بالرحمنِ من خيفة القتلِ

فيا ربَّ إبراهيم والعبدَ يونُسٍ وموسى وعيسى نجني ثم لا تُبْلِ

لمن ظلَّ يهوي الغيَّ من آل غالبٍ على غير برَ كان منه ولا عدلِ[٢]

عن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواقٍ من ذهب، فقالوا: لو أبيت إلا أُوقية لبعناكه، قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته" [٣]

---

[١] - ابن هشام، السيرة (١/)، عن ابن إسحاق بإسناد حسن، ورواه البزار ورجاله ثقات، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٦٢)، البيهقي، الدلائل (٢/ ٤٦١ - ٤٦٢)، والسنن الكبرى (٩/ ١٣ - ١٤)، من طريق ابن إسحاق.

[٢] -حلية الأولياء (ج ١ ص ١٤٨)

[٣] - "سير أعلام النبلاء" ٣/ ٢١٠، وقال الذهبي: إسناده قوي

عن جابر بن عبد الله ÷ قال: "كان عمر يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا، يعني بلالا"[1]

****

ثالثا: طاعة الله تعالى وامتثال أمر

اعلم –زادك الله علما: أنَّ من أعظم مفاتيح السعادة وأجلَّ أسباب الطمأنينة أن يعيش الإنسان عبدًا لله تعالى، مطيعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه، مستسلمًا لشرعه، راضيًا بحكمه، مستعينًا به في جميع شؤونه. فالسعادة الحقيقية ليست في كثرة الأموال، ولا في علو المناصب، ولا في امتلاك متاع الدنيا وحده، وإنما في حياةٍ يتصل فيها القلب بخالقه، ويستقيم فيها السلوك على منهجه، ويجد فيها الإنسان معنى وجوده وغاية حياته.

وقد يملك الإنسان من أسباب الرفاهية ما يتمنى غيره امتلاكه، ومع ذلك يعيش في قلق واضطراب، بينما تجد إنسانًا بسيطًا محدود الرزق، لكنه مطمئن القلب، راضي النفس، حسن الصلة بربه؛ لأنه يعلم أنَّ راحة القلب لا تُشترى بالمال، وأنَّ الطمأنينة الحقيقية تنبع من الإيمان بالله، وحسن التوكل عليه، والالتزام بأمره.

إنَّ طاعة الله تعالى ليست قيودًا تحرم الإنسان من السعادة، بل هي هداية تحفظ عليه دينه وكرامته، وتضبط شهواته، وتوجِّه طاقاته إلى ما ينفعه، وتحميه من

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب المناقب – باب مناقب بلال بن رباح –رضي الله عنه– رقم الحديث (٣٧٥٤).

كثير من أسباب الندم والشقاء. وكلما ازداد العبد قربًا من ربه، وحرصًا على مرضاته، وجد في قلبه من السكينة والأمل ما يعينه على مواجهة تقلبات الحياة. فمن أراد السعادة فليطلبها في طاعة الله، ومن أراد طمأنينة القلب فليعمر قلبه بالإيمان، ومن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة فليجعل رضا الله غايته ومنهجه.

مما زادنى فخرا و تيها و كدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي و أن سيرت احمد نبيا

هذا كان حال رسول الله ﷺ ، وصدق ابن رواحة حين قال:

وفينـــا رسول الله يتـلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنـات أن ما قـــال واقـــــع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع (١)

عن سفيان بن عيينة قال: كان قيس بن مسلم يصلى حتى السحر ثم يجلس فيهيج البكاء فيبكي ساعة بعد ساعة ويقول: لأمر ما خُلقنا، لأمر ما خلقنا، وإن لم نأت الأخرة بخير لنهلكن.

وزار يوما محمد بن جحادة فأتاه في المسجد فوجده يصلي فقام قيس في الجانب الآخر يصلي دون أن يشعر به ابن جحادة .. فما زالا يصليان حتى طلع الفجر.

يقول الذهبي: كان عبد العزيز بن أبي رواد يوضع له الفراش لينام، فيضع عليه يده ويقول ما ألينك، ولكان فراش الجنة ألين منك. ثم يقوم فيصلي.

---

١ – مختصر تاريخ دمشق ج ٤ ص ١٧٨

وفيه: كان عبد الرحمن بن مهدي يختم كل ليلتين.. يقرأ في كل ليلة نصف القرآن.

وعن معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم قالت: كان صلة بن أشيم يقوم الليل حتى يفتر فما يجيء إلى فراشه إلا حبوا.

وقال ثابت البناني: إن رجالا من بني عدي قد أدركت بعضهم إن كان أحدهم ليصلي حتى ما أتى فراشه إلا حبوا ".

وذكروا مثل هذا عن علي بن الفضيل وجماعة.

إنها لذة الطاعة

إن كل هذا الذي سقناه من كثرة الصلاة وطول القيام فيها، وصبر النفس على تحمل البدن ليدل على أن هناك شيئًا يحمل المتعبدين على الإقبال على عبادتهم من غير ملل، والوقوف فيها من غير نظر إلى تعب أو كلل.. وهذا الشيء لا شك ينسي النفس همومها، ويورث القلب تعلقًا يشغله به عن الإحساس بالتعب، أو حتى الالتفات إلى تورم القدم ثم

تفطرها وتشققها من طول الوقوف. إنها لذة الطاعة، وحلاوة المناجاة، وأنس بالله وسعادة العيش في مرضاة الله؛ حيث يجد العبد في نفسه سكينة، وفي قلبه طمأنينة، وفي روحه خفة وسعادة، مما يورثه لذة لا يساويها شيء من لذائذ الحياة ومتعها، فتفيض على النفوس والقلوب محبة للعبادة وفرحًا بها، وطربًا لها، لا تزال تزداد حتى تملأ شغاف القلب فلا

يرى العبد قرة عينه وراحة نفسه وقلبه إلا فيها، كما قال سيد المتعبدين

ﷺ:"حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء... وجعلت قرة عيني في الصلاة".

أي منتهى سعادته ﷺ وغاية لذته في تلك العبادة التي يجد فيها راحة النفس واطمئنان القلب، فيفزع إليها إذا حزبه أمر أو أصابه ضيق أو أرهقه عمل، وينادي على بلال:

"أرحنا بها.. أرحنا بها".

وهذا النوع من لذائذ القلوب والنفوس ذاقه السالكون درب نبيهم والسائرون على هديه وسننه، فجاهدوا أنفسهم وثابروا معها وصابروها في ميدان الطاعة حتى ذاقوا حلاوتها، فلما ذاقوها

طلبوا منها المزيد بزيادة الطاعة، فكلما ازدادت عبادتهم زادت لذتهم فاجتهدوا في العبادة ليزدادوا لذة إلى لذتهم... فمن سلك سبيلهم ذاق، ومن ذاق عرف.

قال بعض السلف: إني لأفرح بالليل حين يقبل لما يلتذ به عيشي،وتقر به عيني من مناجاة من أحب، وخلوتي بخدمته، والتذلل بين يديه،وأغتم للفجر إذا طلع لما اشتغل به.

وكان ثابت البناني يقول: "اللهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري".

وقال سفيان الثوري: إني لأفرح بالليل إذا جاء، وإذا جاء النهار حزنت.

ولقد بلغت لذة العبادة وحلاوتها ببعض ذائقيها أن قال من شدة سروره: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه – يعني من النعيم – لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر مبديًا حزنه وتأسفه على الذين لم يشهدوا هذا المشهد: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها.. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله ومعرفته وذكره.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

إنها الجنة التي لما دخلها الداراني قال: إن أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم... وإنه لتأتي على القلب أوقات يرقص فيها طربا من ذكر الله فأقول: لو أن أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب".

إنها الجنة التي تنسي صاحبها هموم الحياة ومشاقها، بل تنسيه تعب العبادة ونصبها، وكلل الأبدان وملالها، بل وتنسيه الجوع والظمأ، فتغنيه عن الطعام وتعوضه عن الشراب، فهو بها شبعان ريّان، كما في حديث نهي النبي ﷺ عن الوصال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ. إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ».

قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ!

فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ. إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي، وَيَسْقِينِي ».(١)

---

١ – وأخرجه مالك ٣٠١/١ في الصيام: باب النهي عن الوصال في الصيام، ومن طريقة أحمد ٢٣٧/٢، والدارمي ٧/٢ –٨، والبغوي "١٧٣٧" عن أبي الزناد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٢٤٤/٢ و٢٥٧ و٤١٨، والحميدي "١٠٠٩"، ومسلم "١١٠٣" "٥٨" في الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم، وابن خزيمة "٢٠٦٨"

يطعمه اللذة والأنس والبهجة، كما قال ابن القيم: " المراد ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه، وتنعمه بحبه والشوق إليه، وتوابع ذلك

من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة العين وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان كما قيل:

لها أحاديث من ذكـــراك تشغلها عن الشـراب وتلهيها عن الزاد

لهـا بوجهك نـــور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعـــاد

فقوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعمت وأن شربت

عليُّ بنُ المأمون العباسي – أميرٌ وابنُ خليفة – كان يسكنُ قصراً فخماً ، وعندهُ الدنيا مبذولةٌ ميسَّرةٌ ، فأطلَّ ذات يومٍ منْ شرفةِ القصرِ ، فرأى عاملاً يكدحُ طِيلةَ النهارِ ، فإذا أضحى النهارُ توضَّأ وصلَّى ركعتين على شاطئ دِجلة ، فإذا اقترب الغروبُ ذهب إلى أهلِه ، فدعاهُ يوماً من الأيامِ فسألهُ فأخبره أن له زوجةً وأختين وأُمّاً يكدحُ عليهنَّ ، وأنه لا قوت لهُ ولا دخل إلا ما يتكسبُه من السوقِ ، وأنه يصومُ كلَّ يومٍ ويُفطرُ مع الغروبِ على ما يحصلُ ، قال : فهلْ تشكو منْ شيءٍ ؟

قال : لا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين . فترك القصر ، وترك الإمارة ، وهام على وجههِ ، ووُجد ميتاً بعد سنواتٍ عديدةٍ وكان يعملُ في الخشب جهة خرسان ؛

لأنهُ وجد السعادة في عملِه هذا ، ولم يجدْها في القصرِ ، ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ .

يذكِّرني هذه بقصةِ أصحاب الكهفِ ، الذين كانوا في القصور مع الملكِ ، فوجدُوا الضيقَ ، ووجدوا التشتُّتَ ، ووجدوا الاضطرابَ ؛ لأنَّ الكفر يسكنُ القصر ، فذهبوا ، وقال قائلُهم : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾

كيف نجعل طاعة الله مفتاحًا لسعادتنا؟

هناك خطوات عملية تعين المسلم على تحقيق هذه الغاية العظيمة:

١. المحافظة على الصلاة :فهي صلة العبد بربه، ومن أعظم ما يعين على الاستقامة وطمأنينة القلب.

المداومة على القرآن الكريم :قراءةً وتدبرًا وعملًا؛ حتى يكون القرآن هاديًا للسلوك ومصلحًا للقلب.

المحافظة على الفرائض قبل النوافل :فأحب الأعمال إلى الله ما افترضه على عباده، ثم يتقرب العبد إليه بالنوافل.

ترك المعاصي ومجاهدة النفس :فلا يكتفي المسلم بفعل الطاعات، بل يجاهد نفسه في ترك الحرام ورد المظالم.

التوبة عند الخطأ :فلا يجعل العبد ذنبه حاجزًا بينه وبين ربه، بل يبادر إلى الاستغفار والإصلاح.

تحري الحلال في الرزق :لأن طاعة الله تشمل المال والطعام والعمل، وتظهر في الأمانة والصدق والبعد عن الغش والظلم.

اختيار الصحبة الصالحة :فالرفيق الصالح يعين على الطاعة، ويذكّر بالله، ويأخذ بيد صاحبه إلى الخير.

الصبر على مشقة الطاعة :فليس كل ما ينفع النفس يكون سهلًا عليها في البداية، وإنما تحتاج الاستقامة إلى صبر ومجاهدة.

استحضار مراقبة الله :بأن يعلم الإنسان أن الله مطلع عليه في السر والعلن، فيستحيي أن يراه حيث نهاه أو يفتقده حيث أمره.

سؤال الله الثبات :فالهداية نعمة تحتاج إلى دوام الدعاء، ومن أعظم ما يدعو به المسلم: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك (١).

****

رابعا: حسن الظن بالله

أخي الحبيب: إن حسن الظن بالله لا يعني أن يتمنى الإنسان الخير دون عمل، أو يترك الطاعات ويصر على المعاصي ثم يقول: أنا أحسن الظن بالله؛ وإنما هو يقينٌ يدفع إلى العمل، ورجاءٌ يحمل على الطاعة، وثقةٌ بالله عند نزول البلاء، ورضا بحكمه وقدره.

حسن الظن بالله من العبادات الجليلة التي ينبغي أن يملأ المؤمن بها قلبه في جميع أحواله ويستصحبها في حياته، في هدايته، في رزقه، في صلاح ذريته، في إجابة دعائه، في مغفرة ذنبه ، في كل شيء.

---

١ – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤١١)، وابن أبي الدنيا في الشكر (٤)،

قال عبد الله: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من حسن الظن بالله عز وجل والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه ذلك بأن الخير في يده» (١).

ما أروع حسن الظن بالله حين يوقن المؤمن أن بعد الكسر جبرا، وأن بعد العسر يسرا، وأن بعد التعب راحة، وبعد الدمع بسمة، وبعد المرض شفاء، وبعد الدنيا جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

قل للذي ملأ التشـاؤم قلـبه ومضى يضيق حولنا الآفاقا

سر السعادة حسن ظنك بالذي خلق الحياة وقسم الأرزاقا

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني "(٢)

من ظن بالله خيرا أفاض عليه جزيل خيراته وجميل كراماته، ومن عامل الله باليقين أدهشه الله من عطائه بما يفوق خياله، فالله جل جلاله يعامل عباده على حسب ظنونهم به، ويفعل بهم ما يتوقعونه منه وفوقه.

إذا دعوت فظن بالله خيرا أنه سيستجيب دعاءك، وإذا أنفقت في سبيل الله فظن بالله خيرا أنه سيخلف عليك، وإذا تركت شيئا لله فظن بالله خيرا أنه سيعوضك خيرا مما تركت، وإذا استغفرت فظن بالله خيرا أنه سيغفر لك وسيبدل سيئاتك حسنات.

إذا ضـاقت فـباب الله رحـب .. ومـا خـاب الـذي لله آبـا

---

١ – حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: ٩٦)

٢ – أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٠). وهو في "المسند" (٧٤٢٢)، و"صحيح ابن حبان" (٦٣٩) و (٨١١) و (٨١٢).

متى ما استحكمت قل يارحيما .. يفرجها ويمنحك الثوابا

وأحسن بالكريم الظنَّ دوما .. تجد من لطفه العجب العجابا

قال المأمون لمحمد بن عباد: "بلغني أنه لا يقدم أحد البصرة إلا أضفته؟ فقال: منْعُ الجودِ سوءُ ظنٍّ بالمعبود. وفي رواية "من له مولى غني لم يفتقر".

كيف يكون حسن الظن سبيلا للسعادة؟

سكينة القلب عند النوازل: حين يعلم العبد أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، يستروح القلب عند المصائب، ويستقر النشاط النفسي علما بأن بعد العسر يسرا، وأن المكروه قد يحمل في طياته الخير العظيم.

الشفاء من آفات الاجترار والقلق: أعظم موانع السعادة هو الخوف من المنقلب وتوقع المكروه؛ وحسن الظن يقطع دابر هذا الاجترار السلبي، ويبني في النفس جدارا متينا من الأمل والثقة بما عند الله.

تمام الرضا وعزة النفس: من حسن ظنه بربه انقطع أمله عن الخلق، فلم يستجد همومه من ثناء الناس أو جفائهم، وعاش مرفوع الراس، مطمئن الرزق، مستغنيا بالمولى عمن سواه.

تيسير الأسباب وفتح أبواب التوفيق: من الله على المنتظرين لفرجه بالتوفيق؛ فكلما نظر العبد إلى أموره بعين الرجاء والتفاؤل، يسر الله له أسباب الخير، وبارك له في جهده وسعيه.

ثمرات حسن الظن في حياة العبد

الراحة النفسية: زوال الهم والغم، وحلول السلام الداخلي.

قوة عزيمة: الإقبال على الطاعة والعمل الصالح بدون إحباط أو يأس.

حسن الخاتمة: الثبات عند الشدائد، واللقاء بالله على أعظم الرجاء.

الطمأنينة ورضا الرحمن؛ فمن ملأ قلبه بالثقة بمولاه، عاش سعيدا، ومات حميدا، وورد جنات النعيم.

تأمل في الحياة ترى أمورا ستعجب إن بدا لك كيف كانت

فكم من كربة أبكت عيونا فهونها الكريم لنا فهانت

وكم من حاجة كانت سرابا أراد الله لقياها فحانت

وكم ذقنا المرارة من ظروف برغم قساوة الأيام لانت

هي الدنيا لنا فيها شؤون فإن زينتها بالصبر زانت

إذا نزلت بكم المشكلات والمعضلات، وحلَّت بكم الابتلاءات والمصائب والملمَّات، فإياكم أن تصرفوا قلوبكم إلى غير الله، أو أن تعتمدوا على مخلوق مهما كان شأنه، وإنما أنزلوا حاجاتكم كلها بالله سبحانه وتعالى وخاصة حين تختلون به. وانظروا إلى ذلك المسكين المحتاج الذي يقف بين أيدي الأغنياء ويتضرع إليهم ويبكي بين أيديهم ويزداد تزلُّفًا وتملُّقًا لهم لعلَّهم يرحمونه، فليكن العبد المؤمن أكثر تملُّقًا وتزلُّفًا وخضوعًا بين يدي مولاه، باكيًا ساجدًا ذاكرًا مستغفرًا داعيًا، وقلبه كله أملٌ في الله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي بيده جل وعلا إزالة الضرَّاء وإنزال السرَّاء، وهو الذي يستجيب للعبد دعاءه، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢].

ثالثا: التوكل على الله

اعلم بارك الله فيك : من أعظم أسباب السعادة وراحة القلب التوكل على الله تعالى؛ لأن الإنسان مهما بلغت قوته وقدرته، فإنه ضعيف بنفسه محتاج إلى ربه في كل شأن من شؤونه. فإذا صدق توكله على الله، اطمأن قلبه، وسكنت نفسه، وخفَّ عنه القلق والخوف من المستقبل.

والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، والثقة به، وتفويض الأمر إليه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

فليس التوكل ترك العمل أو إهمال الأسباب، وإنما هو أن يعمل الإنسان بما يستطيع، ثم يفوض النتائج إلى الله، فلا يتعلق قلبه بالأسباب، وإنما يتعلق بمسبب الأسباب.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

أي أن من صدق في توكله على ربه، كفاه الله ما أهمَّه، ويسر له أمره، وفتح له من أبواب الخير ما لا يخطر له على بال.

كيف يحقق التوكل السعادة؟

١ – التوكل على الله ثمرته سكينة النفس، وطمأنينة القلب: السكينة التي يشعر بها المتوكل على ربه، فيشعر بالأمن إذا خاف الناس، وبالسكون إذا اضطرب الناس، وباليقين إذا شك الناس، وبالثبات إذا قلق الناس، وبالأمل إذا يئس الناس، وبالرضا إذا سخط الناس.

إنها السكينة التي وجدها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، فلم يشتغل بسؤال مخلوق من إنس أو ملك! ولم يشتغل إلا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].(١)

إنها السكينة التي وجدتها هاجر حين وضعها إبراهيم مع ابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع، في مكة عند مكان البيت المحرم، ولا أنيس ولا جليس، ثم ودعها قافلاً، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا!

إنها السكينة التي وجدها موسى عليه السلام، حين قال له أصحابه: "إنَّا لمدركون"﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٦٢] إنها السكينة التي وجدها النبي ﷺ في الغار حين أشفق عليه أبو بكر، فقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٢- ومن ثمرات التوكل على الله الشعور بالقوة : وهى قوة نفسية روحية تصغر أمامها القوة المادية، قوة السلاح، وقوة المال، وقوة الرجال .

وفي حديث سنده ضعيف لكن معناه صحيح: "من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده" (٢)

---

١ -أخرجه البخاري (٨ / ١٧٣ في تفسير سورة آل عمران، باب {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم} .

٢- «مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا» (ص١٨). موضوع: أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٨)، وغيرهم، مطولًا.

نجد ذلك واضحاً في موقف شيخ الأنبياء نوح، وقد كذبه قومه، واتهموه بالجنون، وأصروا واستكبروا استكباراً، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، فواجههم بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]

ونلمس هذه القوة في موقف نبي الله هود أمام قومه عاد الذين أنكر عليهم شركهم وفسادهم وتجبرهم، ودعاهم إلى التوحيد والاستقامة وتقوى الله فقالوا له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٣-٥٧]

ولم يبال هود بهذا الهراء ووقف يعلن توكله على الله فيقول في يقين القوي، وقوة الموقن، معتمداً على ربه ورب كل شيء، وهو القوة التي لا تقهر، وهو سبحانه الآخذ بناصية كل دابة، الحكيم في صنعه وتدبيره، فلا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يدع شيئاً اعتباطاً.

وأخرجه ابن ماجه في «سننه» (٩٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٢٠ رقم ١٠٧٨١) مختصرًا جدًّا، وفيه: أبو المقدام هشام بن زياد بن أبي يزيد القرشي، وهو متروك، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به. وقال الذهبي في «التلخيص»: بطل الحديث.

ينظر: «الكامل في ضعفاء» لابن عدي (٨/ ٤٠٤)، و «الضعفاء الكبير» للعقيلي (٤/ ٣٤٠)، و «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٢٠٠)، و «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٩)، و «المطالب العالية» (١٣/ ١١٨).

وندرك هذه القوة في موقف صحابة رسول الله يوم الأحزاب، وقد تجمعت جيوشهم وحاصرت المدينة، فلم يفت ذلك في عضد المسلمين، بل كانوا كما وصفهم الله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٣]

٣-ومن ثمار التوكل: العزة: العزة هي الرفعة والبعد عن مواطن الذل والمهانة، هي شعور الإنسان بأنه قوي بالله، وغني بالله، وعزيز بالله، يتوكل على الله في كل أموره ويثق بربه الكريم.

والعزة لا تطلب عند أبواب السلاطين، بل هي لا تطلب إلا من باب واحد ذكره القرآن فقال:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وبيَّن أن طلب العزة من عند غيره إنما هو شأن المنافقين المدخولين في إيمانهم: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

قال أحد الخلفاء لأحد علماء السلف الصالح يومًا: ارفع إلينا حوائج دنياك نقضها لك! قال: إني لم أطلبها من الخالق فكيف أطلبها من المخلوق؟!

يريد أن الدنيا أهون عنده من أن يسألها من الله تعالى، فهو إذا سأل ربه يسأله ما هو اعظم وأعلى من الدنيا وهو الآخرة والجنة ورضوان الله تبارك وتعالى.

ولذا كان بعض الصالحين يقول عن أمراء زمانه: اللهم أغننا عنهم، ولا تغننا بهم!

٤-**التحرر من القلق والهموم**: قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكلِّ عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه كفايتَه لعبده، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]، ولم يقل: نُؤْتِه كذا وكذا من الأجر، بل جعل نفسه سبحانه كافِيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبَه وواقيه".

ألم ترَ قول النبي ﷺ لصاحبِه وهما في الغار: (ما ظنُّك يا أبا بكر باثنينِ اللهُ ثالثُهما) متفق عليه.(١)

ألم ترَ قول الله تعالى عن مؤمنِ آل فرعون حين قال لقومه: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

ألم ترَ قولَ أصحاب النبي ﷺ حين اجتمعَتْ عليهم قريش؛ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

ويَحكِي أحدُ الدعاة أن رجلًا فُصِل من وظيفته، وتنكدت عليه معيشته، وصار في حزن وهمٍّ، قال الشيخ: وشاء الله أن يقابلني، فسألني عن فلان الذي يتوسط له في إرجاعه إلى وظيفته، قلت: لا أعرف الذي تريد، ولكن أعرف مَن يحل

---

١ – أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: ٢٣٨١. (أحدهم) أحد المشركين. (ما ظنك) ما تقديرك لحالهما. (ثالثهما) بالمعونة والنصرة.

لك مشكلتك ويكفيك همك، فقال الرجل في لهفة وشوق: أيؤثِّر على فلان رئيس الإدارة؟

قلت: نعم يؤثِّر عليه، قال: تعرفه؟

قلت: نعم أعرفه، قال: تستطيع أن تكلمه؟

قلت: نعم أُكلمه، وتستطيع أن تكلمه أنت كذلك، قال: مَن هو؟.

قال: الله عز وجل، قُمْ في السَّحَر واشكُ له ما عندك.

قال: فتأثَّرت وقمت من الليل، وصليت، ودعوت الله، ولُذتُ به وكأني أراه، ثم أصبحت وذهبت تلقائيًّا إلى رئيس الإدارة، وإذا به يقوم من مقعده ويرحِّب بي، ويسأل عن أحوالي، ولم تكن بيني وبينه عَلاقة، فقلت له: والله موضوعي كذا وكذا، ففعل لي ما طلبت وكانت مشكلتي لم تُحل منذ ثلاثة أشهر، فقمت وأنا لا أصدق نفسي، وقلت: مَن تعلق بالمخلوق جفاه، ومَن توكل على الخالق كفاه.

وصدق مَن قال: من اعتمد على مالِه قلَّ، ومَن اعتمد على عقله ضلَّ، ومَن اعتمد على جاهِه ذلَّ، ومَن اعتمد على الله لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ.

الإنسان إذا علّق قلبه بالوظيفة، أو بالمال، أو بالناس، سيعيش في قلق دائم:

٥-الرضا بالقضاء والقدر: التوكّل يجعل العبد راضيًا بأي نتيجة؛ لأنه يعلم أن الله اختار له الخير. والرضا أساس السعادة... ومن ثمرات التوكل على الله "الرضا "الذي ينشرح به الصدر، وينفسح له القلب.

قال بعضهم: "متى رضيت بالله وكيلاً، وجدت إلى كل خير سبيلاً".

وبعضهم جعل "الرضا" جزءاً من ماهية التوكل، أو درجة من درجاته .

وقال بعضهم: "التوكل هو الرضا بالمقدور".

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: "إذا رضي بالله وكيلاً".

والراجح ما ذهب إليه ابن القيم: أن الرضا ثمرة التوكل، ومن فسر التوكل به فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله .

ومن لوازم الرضا وتوابعه: الفرح والروح، وهو ما روى في حديث ابن مسعود مرفوعـًا: "إن الله عز وجل بقسطه وعدله جعل الفرح والروح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في السخط والشك".(١)

إن المتوكل موقن أن تدبير الله خير له من تدبير نفسه وأنه أبداً في كفاية الله تعالى وكفالته ووكالته، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله كفيلاً.

ولهذا ألقى حموله وهمومه عند باب ربه فاستراح من الهم والعناء وأنشد مع الشاعر:

سهرت أعين ونامت عيون في أمور تكون أو لا تكون

إن ربـًا كفاك بالأمس ما كا ن سيكفيك في غدٍ ما يكون

إن المتوكل على الله يعلم أن الملك كله بيد خالقه ومدبر أمره، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير .

١- «الزهد والرقائق – ابن المبارك – ت الأعظمي» (ص٣٥٥).

إن شاء أغنى الفقير، وأفقر الغني، وقوى الضعيف، وأضعف القوي، ونصر المظلوم، وأخذ الظالم، وشفى المريض، ويسر على المعسر، وأعز الذليل، وأذل العزيز، قد يفعل ذلك بأسباب معتادة معروفة، وقد يفعله بأسباب غير مألوفة، لا حجر على مشيئته، ولا ينازعه أحد في سلطانه.

قد يستدرج الظالم ويملي له سنين، حتى يتوهم أن الله قد نسيه! وقد يأخذه في لمح البصر أو هو أقرب.

وقد يغيث الملهوف، وينفس عن المكروب، من حيث لا يحتسب هو ولا يحتسب الناس من حوله .

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

سادسا: الإكثار من ذكر الله تعالى

أخي القارئ الكريم: ذكر الله تعالى هو أسرع المفاتيح وأعظمها فتحاً لأبواب السعادة، وأجلّ الأسباب لإزاحة الهموم والغموم عن القلوب، فهو قُوتُ الأرواح، وجَلاءُ الأحزان، وعمارةُ الأوقات، وبه تحيَى القلوب وتنسكب السكينة في النفوس.

أبرز الآثار والإشراقات التي يجعل بها الذكرُ العبدَ مستشعرًا للسعادة:

طمأنينة القلب وانشراح الصدر :الذكر يطرد الوساوس والريب، ويستبدل القلق أمنًا ورعشة الخوف سكينة، قال الله تعالى﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨] **معية الله الخاصة والذكر بالمقابل** :من أعظم الدواعي للسرور أن يعلم العبد أن ربه يذكره، كما جاء في الحديث القدسي» : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَقُولُ

اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »(١)

زوال الهم والغم وتيسير الأمور :الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والتهليل والتسبيح يُفرّج الله بها الكربات، ويفكّ بها الأغلال النفسية والضيق، كما في الحديث :**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا.**«

قوة البدن والروح :الذكر يمنح الذاكر قوةً معنوية وجسدية يعلو بها على التعب ومشاق الحياة، وهو ما أوصى به النبي ﷺ فاطمة وعليـًا رضي الله عنهما بالتسبيح والتحميد والتكبير عند النوم، فكان خيراً لهما من خادم

عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ سُلَيْمَانُ: أَظُنُّهُ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى فِي يَدِهَا قَالَ: فَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَرَهُ قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها، فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ: مَكَانَكِ ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: " أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمِدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ "(٢)

---

١ –أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) (٢)، والترمذي (٣٩٢٠)، والنسائي في "الكبرى" (٧٦٨٣)

٢ –أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧) (٨٠)، والبزار (٦١٩)، وابن حبان (٦٩٢١)

الحماية من وحشة الغفلة والشتات :الغفلة تورث القسوة والضيق، بينما الذكر يربط الإنسان بملكوت السماء، فيعيش مع الله في كل أحواله، فلا تستبد به نائبات الدنيا.

كيف يستجلب العبدُ حلاوةَ الذكر ويجعله مفتاحًا لسعادته؟

مواطأة القلب للسان :أن يتدبر العبد معاني التسبيح والتحميد والثناء، ولا يكون مجرد كلامٍ يجري على اللسان بغير وعي.

المحافظة على أوراد اليوم والليلة :مثل أذكار الصباح والمساء، وأذكار ما بعد الصلوات، وعند النوم والاستيقاظ، لتكون حصنًا مكافحًا للهموم.

تنويع الأذكار واللجأ إليها عند الكرب :يمزج العبد بين التسبيح، والاستغفار، والتهليل، والحوقلة) **لا حول ولا قوة إلا بالله**(، والصلاة على النبي ﷺ، فإنها جمعت الخير كله.

ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته (الإكثار من ذكر الله) فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال تعالى: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) {[الرعد/ ٢٨]}

فلذكر الله أثر عظيم في حصول أثرها بقدر الله تعالى .

يقول السعدي – رحمه الله –أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى

طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.(١)

و يقول عائض القرني – حفظه الله –الصدقُ حبيبُ اللهِ، والصراحةُ صابونُ القلوبِ، والتجربةُ برهانٌ، والرائدُ لا يكذبُ أهله، ولم يوجدْ عملٌ أشرحُ للصدرِ وأعظمُ للأجرِ كالذكر﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وذكرُهُ سبحانهُ جنّتُهُ في أرضِهِ ، من لمْ يدخلْها لم يدخل جنة الآخرةِ ، وهو إنقاذٌ للنفس من أوصابِها وأتعابِها واضطرابِها ، بلْ هو طريقٌ ميسّرٌ مختصرٌ إلى كلِّ فوزٍ وفلاحٍ . طالعْ دواوين الوحي لترى فوائدَ الذكرِ، وجَرِّبْ مع الأيامِ بلْسمهُ لتنالَ الشفاءَ.

بذكره سبحانهُ تنقشعُ سُحُبُ الخوفِ والفَزَعِ والهمِّ والحزنِ.

بذكره تُزاحُ جبالُ الكَرْبِ والغمِ والأسى .

ولا عجبَ أنْ يرتاح الذاكرون، فهذا هو الأصلُ الأصيلُ، لكن العَجَبَ العُجابَ كيف يعيشُ الغافلون عن ذكرِهِ﴿ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

يا منْ شكى الأرق، وبكى من الألم، وتفجَّع من الحوادثِ، ورمتْهُ الخطوبُ، هيا اهتفْ باسمه المقدس،﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾.

---

١ –تفسير السعدي

بقدرِ إكثارك من ذكرِه ينبسطُ خاطرُك ، يهدأُ قلبُك ، تسعدُ نفْسُك ، يرتاحُ ضميرك ، لأن في ذكره جلَّ في عُلاه معاني التوكلِ عليه ، والثقةِ به والاعتمادِ عليه ، والرجوعِ إليه ، وحسنِ الظنِّ فيه ، وانتظار الفرجِ منُه ، فهو قريبٌ إذا دُعِي ، سميعٌ إذا نُودِي ، مجيبٌ إذا سُئلَ ، فاضرعْ واخضعْ واخشعْ ، ورَدِّدِ اسمهُ الطيب المبارك على لسانِك توحيداً وثناءً ومدحـًا ودعاءً وسؤالاً واستغفاراً ، وسوف تجدُ – بحولِهِ وقوتِهِ – السعادة والأمنَ والسرور والنور والحبورَ ﴿ فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾(١)

قالَ إبراهيمُ بن أدهم: نحن في عيْشٍ لوْ علم بهِ الملوكُ لجالدونا عليهِ بالسيوفِ.

وقال ابنُ تيمية: إنه ليمرُّ بالقلبِ حالٌ، أقولُ: إن كان أهلُ الجنةِ في مثلِ حالِنا إنهم في عيشٍ طيبٍ.

قال أيضـًا: إنه ليمرُّ بالقلبِ حالاتٌ يرقصُ طربـًا، من الفرحِ بذكرهِ سبحانه وتعالى والأنس به.

وقال ابنُ تيمية أيضـًا: عندما أُدخِل السجنَ، وقدْ أغلق السجَّانُ الباب، قال ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ .

وقال وهو في سجنِه: ماذا يفعلُ أعدائي بي ؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أنَّى سرْتُ فهي معي، إنَّ قتلي شهادةٌ، وإخراجي من بلدي سياحةٌ وسجني خلوةٌ.

يقولون: أيُّ شيء وَجَدَ من فقدَ الله ؟! وأيُّ شيءٍ فقدَ من وجد الله ؟! لا يستويان أبداً، منْ وجد الله وجد كلَّ شيء، ومنْ فقد الله فقد كلَّ شيءٍ.

---

١ –كتاب لا تحزن لعائض القرني.

يقول ﷺ : عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "لأن أقول: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس. (١)

قال أحدُ السلفِ عنِ الأثرياءِ وقصورِهمْ ودورِهمْ وأموالهمْ: نأكلُ ويأكلون، ونشربُ، ويشربون، وننظرُ وينظرون، ولا نُحاسبُ ويُحاسبون.﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

خامسا: الصلاة

أخي الحبيب – اعلم علمني الله و إياك–: أن من أعظم أسباب السعادة وراحة النفس الصلاة؛ فهي ليست مجرد حركات وأقوال يؤديها المسلم في أوقات معلومة، وإنما هي صلة بين العبد وربه، ومناجاة للخالق، وملجأ للقلب حين تضيق به الدنيا، وراحة للنفس حين تتراكم عليها الهموم.

قال الله تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

فإذا وقف المسلم بين يدي ربه، وترك وراءه مشاغل الدنيا، وكبَّر تكبيرة الإحرام، شعر أنه أمام رب كريم يسمعه ويراه، فيسكب في قلبه من السكينة والطمأنينة ما لا تمنحه أموال الدنيا كلها. فها هو النبي ﷺ" كان اذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة " (٢)

وكان يقول ﷺ"أرحنا بها يا بلال" (٣)

---

١ – صحيح؛ أخرجه مسلم (٢٦٩٥)، والترمذي (٣٥٩٧)، وابن حبان (٨٣٤).

(٢) – أخرجه أحمد (٣٨٨/٥) وأبو داود (١٣١٩) انظر صحيح الجامع : (٤٧٠٣).

(٣) – ((جامع الأصول)) (٢٦٣/٦)، ((المسند)) (٣٦٤/٥)، ((المعجم الكبير)) (٣٣٩/٦)، ((مشكاة المصابيح)) (٣٩٣/١)، ((تخريج إحياء علوم الدين)) (٣٦٩/١ – للحداد)، ((إحياء علوم الدين)) (١٦٥/١ – تخريج العراقي).

ويقول ﷺ " جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"[١]

إذا ضاق الصدرُ، وصعُب الأمرُ، وكثر المكْرُ، فاهرعْ إلى المصلَّى فصلِّ.

إذا أظلمتْ في وجهِك الأيامُ، واختلفتْ الليالي، وتغيَّرَ الأصحابُ، فعليك بالصلاةِ.

كان النبيُّ ﷺ في المهمَّاتِ العظيمةِ يشرحُ صدره بالصلاةِ، كيومِ بدْرٍ والأحزابِ وغيرِها من المواطنِ. وذكروا عنِ الحافظِ ابن حجرٍ صاحبِ (الفتحِ) أنه ذهب إلى القلعةِ بمصر فأحط به اللصوصُ، فقام يصلي، ففرَّج اللهُ عنهُ.

وذكر ابنُ عساكر وابنُ القيمِ: أنَّ رجلاً من الصالحين لقيه لصٌّ في إحدى طرقِ الشامِ، فأجهز عليه ليقتله، فطلب منه مهلةٍ ليصلي ركعتين، فقام فافتتح الصلاة، وتذكَّرَ قول اللهِ تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} . فردَّدها ثلاثـًا، فنزل ملكٌ من السماءِ بحربةٍ فَقَتَلَ المجرم، وقال: أنا رسولُ منْ يجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ. {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} ، {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} ، {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابـًا مَّوْقُوتـًا} .

يقول ابن القيم – رحمه الله–: فالصلاةُ من أكبر العَوْن على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومَطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسد، ومُنوِّرةٌ للقلب، ومُبيِّضَةٌ للوجه، ومُنشِّطةٌ للجوارح والنفس، وجالِبةٌ للرزق، ودافعةٌ للظلم، وناصِرةٌ للمظلوم، وقامِعةٌ لأخلاط الشهوات، وحافِظةٌ للنعمة، ودافِعةٌ للنِّقمة، ومُنزِلةٌ للرحمة، وكاشِفة للغُمَّة "[٢]

كيف تكون الصلاة سببًا للسعادة؟

---

[١] – أخرجه الضياء في " المختارة " (١٥٣٢) المعجم الكبير: ٤٢٠/٢٠.

[٢] – زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٠٩)

أولًا: الصلاة تريح القلب من الهموم :فالمؤمن إذا أثقلته مشكلات الحياة، توجه إلى ربه بالصلاة والدعاء، وشكا إليه ضعفه وحاجته، فيخرج من صلاته وقد امتلأ قلبه رجاءً وأملًا.

قال تعالى:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[البقرة: ٤].

ثانيًا: الصلاة تقوي صلة العبد بالله :وكلما قويت صلة الإنسان بربه، قويت نفسه أمام مصاعب الحياة؛ لأنه يعلم أن له ربًّا يسمعه، ويعلم حاله، ويقدر له الخير.

ثالثًا: الصلاة تمنح القلب الطمأنينة

قال الله تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والصلاة من أعظم مواطن ذكر الله تعالى.

رابعًا: الصلاة تهذب النفس وتبعدها عن المعاصي :قال سبحانه :﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾]العنكبوت: ٤٥].

وحين يبتعد الإنسان عن المعاصي، تقل أسباب القلق والاضطراب، ويعيش حياة أطيب وأصفى.

خامسًا: الصلاة تعلم المسلم التسليم لله: فالمصلي يقف بين يدي الله خاضعًا مستسلمًا، فيتعلم أن يرضى بحكم الله، وأن يفوض أمره إليه، وأن يعلم أن تدبير الله خير من تدبيره لنفسه.

وليس كل أداء للصلاة يحقق هذه السعادة

فالغاية ليست مجرد أداء الصلاة جسدًا، وإنما إقامتها بقلب حاضر وخشوع صادق .وكلما ازداد حضور القلب في الصلاة، شعر المسلم بحلاوتها وأثرها في نفسه.

ولهذا كان الخشوع من أعظم أبواب السعادة؛ لأن العبد إذا أقبل على الله بقلبه، شعر بالقرب والأنس والمناجاة، وانقطعت عنه ـ ولو مؤقتًا ـ ضوضاء الدنيا وهمومها.

فالصلاة ليست خمس محطات تثقل بها حياة المسلم، وإنما خمس محطات يومية يستعيد فيها قلبه توازنه، ويجدد صلته بربه، ويستمد منه القوة والسكينة والأمل.

ومن ذاق حلاوة الصلاة، لم يعد يبحث عن السعادة بعيدًا؛ لأنه وجد في الوقوف بين يدي الله سكينةً لا تعادلها متع الدنيا كلها.

الفصل الثاني: أسباب السعادة في القلب والنفس

أخي القارئ الكريم: بعد أن أبحرت صفحات الفصل الأول في بيان "أسباب السعادة في العقيدة والعبادة"، وتبين أن العقيدة الصحيحة هي الركيزة الأساسية، والاعتقاد والعبادة هما السياج المتين الذي يحمي الإنسان من التيه؛ يأتي هذا الفصل الثاني ليكون الامتداد الطبيعي والانعكاس المباشر للأصول السابقة، متناولاً "أسباب السعادة في القلب والنفس".

إن الانتقال من أسباب العقيدة والعبادة إلى أحوال القلب والنفس هو انتقال من الأصل والأساس إلى الثمرة والأثر؛ فالعقيدة والعبادة هما الغرس والسقي، بينما طمأنينة القلب وسكينة النفس هما الثمرة المرجوة التي يجنيها العبد.

فالقلب هو الملك والأعضاء جنوده، ومتى استقرت العقيدة في السريرة وأشرقت العبادة على الجوارح، أثمرت في النفس رضا، وفي القلب نوراً، وفي الروح سكينة لا تزعزعها عواصف الأيام.

إن هذا الفصل دعوة للإبحار في خبايا النفس، واستخراج كنوزها الإيمانية، ليعلم القارئ أن جنة الدنيا في صدره، وأن مفاتيحها بين يديه متى ما استمسك بأسبابها.

أولا: الرضا بما قسم وكتب الله

أخي القارئ الكريم – اعلم بارك الله فيك: أن الرضا بقضاء الله وقدره يأتي في مقدمة الأسباب القلبية الجالبة للسعادة؛ فالرضا ليس مجرد استسلام للواقع، بل هو امتلاء القلب باليقين أن ما اختاره الله للعبد هو الخير كله، وأن حكمته تعالى بالغة ورحمته وسعت كل شيء.

ومن أسرار السعادة في الرضا:

راحة القلب من الهم والحسد: حين يوقن المرء أن الأرزاق مقسومة والآجال مكتوبة، يستريح قلبه من الصراع، ولا يجد للحسد أو السخط سبيلاً إلى صدره.

تحقيق الغنى الداخلي: القناعة بما قسم الله تجعل العبد غنيـًا في نفسه ولو قلّ ما في يده؛ فليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.

سكينة عند البلاء: الرضا يمنح النفس ثباتـًا ويقينـًا يجعل الطوارئ والمحن برداً وسلامـًا، لعلمه أن القضاء من لطيف خبير.

قاعدة قلبية: "من رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"؛ فمن فتح باب الرضا بما قسم الله، فتح الله له أبواب السعادة والأمن والاطمئنان في الدنيا والآخرة.

و الله تعالى يقول مبينا لنا تلك الحقيقة {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) [الحديد/ ٢٢-٢٤]}

يقول الشنقيطي – رحمه الله – ذكر –جل وعلا –في هذه الآية الكريمة ، أن كل ما أصاب من المصائب في الأرض كالقحط والجدب والجوائح في الزراعة والثمار وفي الأنفس ، من الأمراض والموت كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس ، قوبل وجود المصائب ، فقوله : { مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ } ، الضمير فيه عائد على اخليقة المفهومة في ضمن قوله : { وفي أَنفُسِكُمْ } [الذاريات : ٢١] أو إلى وقوله تعالى : { إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله المصيبة ، واختار بعضهم رجوعه لذلك كله يَسِيرٌ } أي سهل هين لإحاطة علمه وكمال قدرته وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيء من المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك ، أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى : { قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون } [التوبة : ٥١] وقوله تعالى { مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله } [التغابن : ١١] وقوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الخوف والجوع وَنَقْصٍ مِّنَ الأموال والأنفس والثمرات وَبَشِّرِ

الصابرين } [البقرة : ١٥٥] ، لأن قوله : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الخوف والجوع } قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له جل وعلا قبل وقوعها ، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع ، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم ، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها ، ونقص الأموال والثمرات مما أصاب من مصيبة ، ونقص الأنفس في قوله : والأنفس ، مما أصاب من مصيبة في النفس ، وقوله في آية الحديد هذه { لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ على مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ } [الحديد : ٢٣] أي بينا لكم أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق ، وأن ما كتب واقع لا محالة لأجل ألا تحزنون على شيء فاتكم ، لأن فواته لكم مقدر ، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به ، وقوله : تأسوا ، مضارع أسى بكسر السين يأسى بفتحها أسى بفتحتين على القياس ، بمعنى حزن ومنه قوله تعالى : { فَلاَ تَأْسَ عَلَى القوم الكافرين } [المائدة : ٦٨](١)

قال الله تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [يونس: ١٠٧، ١٠٨]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلامُ، أَوْ يَا بُنَيَّ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ» .

---

١ – أضواء البيان – (ج ٨ / ص ١٥٢

فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْمَلْ للَّهِ بِالشُّكْرِ فِي الْيَقِينِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (١) .

يقول ابن رجب –رحمه الله–وفي رواية عمر مولى غُفرة وغيره عن ابن عباس زيادة أخرى قبل هذا الكلام، وهي: ((فإنِ استطعتَ أنْ تعمل لله بالرِّضا في اليقين فافعل ، وإنْ لم تستطع ، فإنَّ في الصَّبر على ما تكره خيراً كثيراً)) .

وفي روايةٍ أخرى من روايةِ عليِّ بن عبد الله بن عباس، عن أبيه؛ لكن إسنادها ضعيف، زيادة أخرى بعد هذا، وهي: قلتُ: يا رسول الله، كيف أصنع باليقين ؟ قال : ((أنْ تعلم أنَّ ما أصابَك لم يكن ليخطئك ، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإذا أنتَ أحكمتَ باب اليقين)) . (٢)

ومعنى هذا أنَّ حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يُعين العبد على أنْ ترضى نفسُه بما أصابه، فمن استطاع أنْ يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور فليفعل ، فإنْ لم يستطع الرِّضا ، فإنَّ في الصَّبر على المكروه خيراً كثيراً .

فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

---

١ –أخرجه احمد مسنده " ٢٩٣/١ وأخرجه الترمذي في الجامع الكبير " (٢٥١٦) وأخرجه: أبو يعلى (٢٥٥٦)، والطبراني في " الكبير " ١٢/(١٢٩٨٨) ، وابن السني في" عمل اليوم والليلة " (٤٢٦) .

٢ –«الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء» (٤/ ٦٨).

إحداهما: أنْ يرضى بذلك، وهذه درجةٌ عاليةٌ رفيعة جداً، قال الله -عز وجل {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} (التغابن: ١١) .

قال علقمة: هي المصيبة تصيبُ الرَّجلَ، فيعلم أنَّها من عند الله، فيسلِّمُ لها ويرضى.

وخرَّج الترمذي من حديث أنس ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : ((إنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط)) (١)

وكان النَّبيُّ ﷺ يقول في دعائه : ((أسألُكَ الرِّضا بعد القضاء)) (٢)

وممَّا يدعو المؤمن إلى الرِّضا بالقضاء تحقيقُ إيمانه بمعنى قول النَّبيِّ ﷺ: ((لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له : إنْ أصابته سرَّاء شكر ، كان خيراً له ، وإنْ أصابته ضرَّاء صبر ، كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن)) (٣)

وجاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فسأله أنْ يُوصيه وصيَّةً جامعةً موجَزةً ، فقال : ((لا تتَّهم الله في قضائه)) (٤) .

قال أبو الدرداء: إنَّ الله إذا قضى قضاءً أحبَّ أنْ يُرضى به.

---

١ – أخرجه الترمذي ح (٢٣٩٦) . وأخرجه : ابن ماجه (٤٠٣١) ، وابن عدي في " الكامل " ٣٩٦/٤ ، والبغوي (١٤٣٥) والضياء المقدسي في " المختارة " (٢٣٥٠) و(٢٣٥١) ، وقال الترمذي : ((حسن غريب)) على أنَّ في إسناده سعد بن سنان ، ويقال : سنان بن سعد وفيه ضعف .

٢ – أخرجه : ابن أبي شيبة (٢٩٤٦) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٢٨) و(٣٧٨) ، والبزار في " البحر الزخار " (١٣٩٢) ، والطبراني في " الدعاء " (٦٢٥) ، والحاكم ٥٢٤/١–٥٢٥ ، وابن منده في " الرد على الجهمية " (٨٦) واللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٨٤٥) من حديث عمار بن ياسر مطولاً ، وهو صحيح .

٣ – أخرجه : أحمد ٣٣٢/٤ و٣٣٣ ، والدارمي (٢٧٨٠) ، ومسلم ٢٢٦/٨ (٢٩٩٩) ، وابن حبان (٢٨٩٦) ، والطبراني في "الكبير" (٧٣١٦) وفي " الأوسط " ، له (٧٣٩٠) ، وأبو نعيم في " الحلية " ١٥٤/١ ، والبيهقي ٣٧٥/٣ وفي " الشعب " ، له (٩٩٤٩) من حديث صهيب بن سنان .

٤ – أخرجه : ابن أبي شيبة كما في " إتحاف الخيرة " (١) ، والخرائطي في " مكارم الأخلاق " : ٦٠ ، والبخاري في " خلق أفعال العباد " (١٦٣) ، وابن أبي عاصم في " الجهاد " (٢٥) ، وهو حديث ضعيف

وقال ابن مسعود : إنَّ الله بقسطه وعدله جعلَ الرَّوحَ والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشكِّ والسخط (١) ، فالرَّاضي لا يتمنّى غيرَ ما هو عليه من شدَّةٍ ورخاء

وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر.

فمن وصل إلى هذه الدرجة، كان عيشُه كلُّه في نعيمٍ وسرورٍ، قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} (النحل: ٩٧) قال بعض السَّلف: الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة (٢) .

وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين (٣) .

وأهل الرضا تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنَّه غير متَّهم في قضائه، وتارةً يُلاحظون ثوابَ الرِّضا بالقضاء، فيُنسيهم ألم المقتضي به، وتارةً يُلاحظون عظمةَ المبتلي وجلالَه وكمالَه، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصلُ إليه خواصُّ أهل المعرفة والمحبَّةِ، حتى ربَّما تلذَّذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم، كما قال بعضهم: أوجدهم في عذابه عُذوبة.

وسئل بعضُ التابعينَ عن حاله في مرضه، فقال: أحبُّه إليه أحبُّه إليَّ (٤) .

---

١ – أخرجه: الطبراني في " الكبير " (١٠٥١٤) ، وأبو نعيم في " الحلية " ١٣٠/٧ و١٢١/٤ ، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١١١٦) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٨) ، مرفوعاً ، وإسناده تالف لا يصح . وأخرجه: ابن أبي الدنيا في " اليقين " (٣٢)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٩)، موقوفاً.

٢ – أخرجه: الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٦) عن علي، به. وأخرجه: الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٧) عن الحسن البصري. وأخرجه: الحاكم ٣٥٦/٢ عن ابن عباس.

٣ – أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ١٥٦/٦

٤ – أخرجه: الطبراني في " الكبير " ١٨/(١٩٣) من قول عمران بن الحصين

وسُئلَ السريّ: هل يجد المحبُّ ألم البلاء؟

فقالَ: لا.

وقال بعضهم:

عذابُه فيكَ عَذْبُ وبعد فيك قرب

وأَنْتَ عِندي كرُوحي بل أَنْتَ مِنها أَحَبُّ

حسْبي مِنَ الحُبِّ أنِّي لِمَا تُحِبُّ أُحِبُّ

والدرجة الثانية : أنْ يصبرَ على البلاء ، وهذه لمن لم يستطع الرِّضا بالقضاء ، فالرِّضا فضلٌ مندوبٌ إليه مستحب ، والصبرُ واجبٌ على المؤمن حتمٌ ، وفي الصَّبر خيرٌ كثيرٌ ، فإنَّ الله أمرَ به ، ووعدَ عليه جزيلَ الأجر . قال الله – عز وجل – : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر : ١٠]، وقال : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } (البقرة : ١٥٥-١٥٧) .

قال الحسن: الرِّضا عزيزٌ ، ولكن الصبر معولُ المؤمن (١) .

والفرق بين الرضا والصبر: أنَّ الصَّبر: كفُّ النَّفس وحبسُها عن التسخط مع وجود الألم، وتمنِّي زوال ذلك، وكفُّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمنِّي زوال ذلك المؤلم، وإنْ وجدَ الإحساسُ

١ – أخرجه : هناد في " الزهد " (٣٩٣)، وابن أبي عاصم في " الزهد " ٢٩٣/١، وأبو نعيم في " حلية الأولياء " ٣٤٢/٥ عن عمر بن عبد العزيز، بلفظ: الرضا قليل ولكن الصبر معول المسلم.

بالألم، لكن الرضا يخفِّفُه لما يباشر القلبَ من رَوح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرِّضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية كما سبق (١). (٢)

✍جنة اليقين الرضا بالقضاء: كان عمر بن عبد العزيز يقول: اللهم رضني بالقضاء، وحّبب إليّ القدر حتى لا أحب تقديمما أخرت ولا تأخير ما قدّمت. ومن آمن بالقدر فلا ينبغي له أن يهتم على شيء فاته من الدنيا ولا يتهم، ربّه ففيما قضى له الخيرة، وإنما ينبغي للعبد الاهتمام بأمر الآخرة ويفكر في معاده وعرضه على ربه، وكيف ينجو من سؤاله عن الفتيل والقطمير ولذلك قال ﷺ: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا » . (٣)فهاهنا يحسن الهم والبكاء.

وغلبة الرجال أشد من الموت؛ لأن المغلوب يصير كالعبد لمن غلبه وقهره، وكذلك البخل استعاذ منه، لقوله تعالى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

وعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قَالُوا: الْجِدُّ بْنُ قَيْسٍ، وإِنَّا لَنُبَخِّلُهُ قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمُ الْجَعْدُ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ». (٤)

---

١ – جامع العلوم والحكم – ص ٢٣٦–٢٣٧ بتحقيق ماهر ياسين فحل وقد اعتمدت على الله ثم تحقيقه.

٢ – جامع العلوم والحكم –(ج ٢٠ / ص ٣٤).

٣ –رواه الإمام أحمد ٣/ ١٨٠ ، ورواه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩)

٤ –أخرجه أحمد (٣/٣٠٧، رقم ١٤٣٤٠) ، والبخاري (٣/١١٤٢، رقم ٢٩٦٨) .

ومعنى ذلك أن البخيل يمنع حقوق الله، وحقوق الآدميين، ويمنع معروفه ورفده، ويسيء عشرة أهله وأقاربه.

قال عمران بن حصين لأبى الأسود الدؤلى: لو عذب الله أهل السموات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته أوسع لهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهبًا ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره"(١)

عن جويرية بن أسماء، عن نافع، قال: اشتكى ابن لعبد الله بن عمر فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ أن يحدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أبدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر: « إنما كان رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به(٢).

عن الحسن بن علي البصري، قال: «أصبح أعرابي وقد مات له أباعر (٣) كثير فقال: لا والذي أنا عبد في عبادته لولا شماتة أعاديه أظن ما سرني أن إبلي في مباركها (٤) وأن شيئا قضاه الله لم يكن»(٥)

قمة الرضى بقضاء الله: أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني أبو عمرو الكندي، قال: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحو من أربعمائة جاموس قال: فاستركبني فركبت معه أنا وابن له قال: فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس

---

١ – شرح ابن بطال – (ج ١٩ / ص ٤٣٠

٢ – الرضا عن الله بقضائه –ص ١٤٢

٣ – الأباعر: جمع بعير وهو ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة

٤ – مبارك الإبل: هو الموضع الذي تَبْرُك فيه

٥– لرضا عن الله بقضائه – ص ٢٠

معهم عصيهم قالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس فقال: «وأنتم أيضا فاذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله » ، فقال له ابنه : يا أباه أفقرتنا فقال : « اسكت يا بني إن ربي عز وجل اختبرني فأحببت أن أزيده »(١)

يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أرده: عبد العزيز بن عمير، يقول: كان في خرابات القبائل بمصر رجل مجذوم (٢) وكان شاب من أهل مصر يختلف إليه يتعاهده ويغسل خرقه ويخدمه فتعرى فتى من أهل مصر فقال للذي كان يخدمه: إنه بلغني أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنا أحب أن أجيء معك إليه فأتاه فسلم عليه وقال: يا عم إنه بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك قال : « يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أرده »(٣)

عسى أن يكون خيرا: عن مسروق ، قال : « كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم (٤) والكلب يحرسهم قال : فجاء ثعلب فأخذ الديك فحزنوا لذهاب الديك وكان الرجل صالحا فقال : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا ما شاء الله ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا لذهاب الحمار فقال الرجل الصالح : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا ما شاء الله بعد ذلك ثم أصيب الكلب فقال الرجل الصالح : عسى أن يكون خيرا ثم مكثوا بعد ذلك ما شاء الله ، فأصبحوا

---

١ – الرضا عن الله بقضائه – ص ٣١)

٢ – المجذوم: من أصيب بمرض يشوه جسمه ويسقط بسببه أطرافه

٣ – الرضا عن الله بقضائه – (ص ٣٢).

٤ – الخباء: الخيمة.

ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي (١) من حولهم وبقوا هم قال : وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب ، قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم »(٢)

✍أحبه إلي أحبه إلى الله: عن علي بن الحسن بن موسى قال: قال رجل: لأمتحنن أهل البلاء فقال: فدخلت على رجل بطرطوس وقد أكلت الأكلة أطرافه فقلت له: كيف أصبحت؟

قال: «أصبحت والله وكل عرق وكل عضو يألم على حدته من الوجع لو أن الروم في كفرها وشركها اطلعت علي لرحمتني مما أنا فيه وإن ذلك لبعين الله ، أحبه إلي أحبه إلى الله ، وما قدر ما أخذ ربي مني وددت أن ربي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم وإنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكرا » ، فقال له رجل : متى بدأت بك هذه العلة ؟ قال : « أما كفاك الخلق كلهم عبيد الله وعياله فإذا نزلت بالعباد علة فالشكوى إلى الله ليس يشتكى الله إلى العباد »(٣)

ثانيا: القناعة بما قسم الله

أخي القارئ الكريم-: إن القناعة ليست مجرد قبول بالواقع، بل هي استغناء إيماني وثمرة جليلة من ثمار حسن الظن بالله والثقة بما عنده.

---

١ – سبي: أسر.

٢ – الرضا عن الله بقضائه –(ص: ٤٣).

٣ – الرضا عن الله بقضائه – ص ٩٥)

ومتى ما امتلاء قلب العبد بالقناعة، استوى عنده القليل والكثير، ورأى في العافية والستر أعظم النعم.

فمن مفاتيح السعادة القاعة بم من الله تعالى على العبد وبما قسم له من رزق ولو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم، ولو رضي العبد بما قُسم له لاستغنى عن الناس وصار عزيزًا وإن كان لا يملك من الدنيا الكثير.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

رأيت القناعة رأس الغنى فصرتُ بأذيالها مُمتسكْ

فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمكْ

فصرتُ غنيًّا بلا درهم أمرُّ على الناس شبه الملكْ

وقد وجه النبي ﷺ أمته إلى التحلي بصفة القناعة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَكُنْ غَنِيًّا ، وَكُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَبْدًا لِلَّهِ ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحْسِنْ مُجَاوِرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَالْقَهْقَهَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَالتَّبَسُّمُ مِنَ اللَّهِ» (١)

[١] –أخرجه أيضًا: الطبراني (١٠٥/٩، رقم ٨٥٥٣) ، ، قال الهيثمي (١٨٩/٢) : رجاله موثقون. وأبو نعيم فى الحلية (١٣٣/١) .

وكان يدعو ربه كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِى لا يَدَعُه: "اللَّهُمَّ قَنِّعْنى بِمَا رَزَقْتَنى وَبَارِكْ لِى فيه".(١)

والقانع بما رزقه الله تعالى يكون هادئ النفس، قرير العين، مرتاح البال، فهو لا يتطلع إلى ما عند الآخرين، ولا يشتهي ما ليس تحت يديه، فيكون محبوبًا عند الله وعند الناس، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» ".(٢)

إن العبد لن يبلغ درجة الشاكرين إلاَّ إذا قنع بما رزق، وقد دل على هذا المعنى قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: "يا أبا هريرة! كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا.." الحديث.

---

١ – الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب (الدعاء) باب: دعاء يذهب الهم والحزن ج ١ ص ٥١٠ بلفظه مع زيادة (واخلف على كل غائبة لى بخير). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبى.

كذا أخرجه أيضًا في كتاب (التفسير) باب: أجمع آية في القرآن للخير والشر بلفظه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، وأخرجه صاحب (إتحاف السادة المتقين) في ج ٤ ص ٣٥١ بلفظه، وقال: وأخرجه سعيد بن منصور موقوفًا، وكذا الأزرقى بلفظ (واحفظنى في كل غائبة لي بخير إنك على كل شئ قدير).

٢ – أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٣ – ١٣٧٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب في الزهد في الدنيا (١)، الحديث (٤١٠٢)، وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ١١، ضمن ترجمة خالد بن عمرو الأموي (٤١٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٢٣٧، الحديث (٥٩٧٢)، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٩٠٢، ضمن ترجمة خالد بن عمرو القرشي، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٣، كتاب الرقاق، باب ازهد في الدنيا

إن العبد القانع عفيف النفس لا يريق ماء وجهه طلبًا لحطام دنيا عمَّا قليل تفنى، وهؤلاء الذين مدحهم الله-جل ذكره- بقوله: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة:٢٧٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عمَّا في أيدي الناس استغنى عنهم".(١) .

ومن عجيب ما يروى في ذلك ما جاء في الإحياء من أن الخليل بن أحمد الفراهيدي رفض أن يكون مؤدبًا لابن والي الأهواز، ثم أخرج لرسوله خبزًا يابسًا وقال: "ما دمتُ أجدُ هذا فلا حاجة إلى سليمان - الوالي -". ثم أنشد:

أبْلِغْ سليمانَ أني عنه في سَعَةٍ وفي غنىً غير أني لستُ ذا مالِ

شُحًّا بنفسيَ أني لا أرى أحـدًا يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ

والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثلُ ذاك الغنى في النفس لا المال

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أَرى أُناسًا بِأَدنى الدينِ قَد قَنَعوا وَلا أَراهُم رَضوا في العَيشِ بِالدونِ

فَاِستَغنِ بِاللَهِ عَن دُنيا المُلوكِ كَما اِستَغنى المُلوكُ بِدُنياهُم عَنِ الدينِ

---

١ -لسان العرب (٥/ ٢٠٧٤) .

وفي «طبقات الحنفية» في ترجمة علي بن الحسن الصندلي: «أن السلطان ملك شاة قال له: «لم لا يجيء إلي؟ قال: أردت أن تكون من خير الملوك، حيث تزور العلماء، ولا أكون من شر العلماء حيث أزور الملوك»(١)

عن أبي هريرة، قال النبى - ﷺ- : « ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس » (٢).

عن زمعة قال: كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه أن يرفع إليه حوائجه، فكتب إليه: أما بعد فقد جاءني كتابك تعزم علي إلا رفعت فيه إليك حوائجي، وهيهات، رفعت حوائجي إلى من لا تقتصر الحوائج دونه، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني منها رضيت.(٣)

وقد يظن بعض الناس أن القناعة تعني الاستسلام للواقع وعدم السعي إلى تحسين الحياة، وهذا فهم غير صحيح؛ فالمؤمن قانع بما قسم الله له، لكنه غير متكاسل عن طلب فضل الله. يسعى في رزقه، ويطلب العلم، ويطور نفسه، ويعمل على إصلاح دنياه، لكن قلبه لا ينهار إن لم يحصل على ما أراد، ولا يسخط على ربه إن جاءت النتائج على غير ما يتمنى.

فالقناعة هي أن تقول النفس: سأسعى، وأبذل الأسباب، وأطلب الأفضل، لكنني راضٍ بما يقدره الله لي.

ثمرات القناعة:

---

١ – فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٨/ ١٢٨).

٢ – أخرجه أحمد (٣٨٩/٢) والبخاري (١١٨/٨) وفى الأدب المفرد (٢٧٦) والترمذي (٢٣٧٣).

٣ – القناعة والتعفف ت: الرقي (٥/ ١٣٤).

ومن ثمرات القناعة أنها:

تجلب راحة القلب وطمأنينة النفس.

تحفظ الإنسان من الحسد والنظر إلى ما في أيدي الآخرين.

تقلل من الهم والقلق على الرزق.

تحرر الإنسان من عبودية المال والمظاهر.

تجعله أكثر شكرًا لنعم الله.

تمنحه غنى النفس، وهو من أعظم أنواع الغنى.

ولذلك كان من أجمل ما يدعو به المؤمن أن يسأل الله قلبًا راضيًا ونفسًا قانعة؛ لأن من ملك القناعة ملك كنزًا لا تنفد قيمته، ومن فقدها لم تكفه الدنيا ولو اجتمعت له أسبابها.

فالسعيد ليس من ملك أكثر، وإنما السعيد من كان قلبه أوسع رضًا بما أعطاه الله.

عن سفيان بن عبدة الحميري وعبيد بن يحيى الهجري قالا: خرج إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو عامل العراق لعثمان بن عفان رحمه الله رجلان من أهل المدينة أحدهما ابن جابر بن عبد الله الأنصاري والآخر من ثقيف، فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار، فأقبلا يسيران حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي: هل لك في رأي رأيته؟ قال: اعرضه. قال: رأيت أن أنخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا فنمس ماء ثم نصلي ركعتين ونحمد الله عز وجل على ما قضى من سفرنا.

قال: هذا الذي لا يرد، فتوضيا ثم صليا ركعتين ركعتين، فالتفت الأنصاري إلى الثقفي فقال: يا أخا ثقيف ما رأيك؟ قال: وأي موضع رأي هذا، قضيت سفري وأنضيت بدني وأنضيت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر، فهل لك رأي غير هذا؟ قال: نعم إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي تبارك وتعالى أن يراني طالبا رزقا من غيره، اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك، ثم ولى راجعا إلى المدينة، ودخل الثقفي البصرة فمكث أياما، وأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك؟ فخبره خبره، فبكى ابن عامر ثم قال: أما والله ما قال أشرا ولا بطرا، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم أن الله تبارك وتعالى الذي فعل ذلك فسأله من فضله، فأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة ومطرف، وأضعف ذلك كله الأنصاري، فخرج الثقفي وهو يقول:

أمامة ما حرص الحريص بزائد فتيلا ولا زهد الضعيف بضائر

خرجنا جميعا من مساقط رأسنا على ثقة منا بخير ابن عامر

فلما أنخنا الناعجات ببابه تأخر عني اليثربي ابن جابر

وقال ستكفيني عطية قادر على ما يشاء اليوم بالخلق قاهر

وإن الذي أعطى العراق ابن عامر لربي الذي أرجو لسد مفاقري

فلما رآني سأل عنه صبابة إليه كما حنت ضراب الأباعر

فأضعف عبد الله إذ غاب حظه على حظ لهفان من الحرص فاغر

أتيت وقد أيقنت أن ليس نافعي ولا ضائري شيئ خلاف المقادر(١)

---

١ – القناعة والتعفف ت: الرقي (٥/ ١٣٤)

عن مسروق قال: إن أطيب ما أكون نفسا ليوم تقول المرأة: ما عندنا درهم ولا قفيز

قال أبو غسان: سمعت الحسن بن حي يقول: إني لأصبح وما عندي دينار ولا درهم ولا رغيف وكأنما حيزت لي الدنيا بحذافيرها. .(١)

ثالثا: الشكر

أخي الحبيب – اعلم بارك الله فيك-: أنَّ الشكر من أعظم مفاتيح السعادة، ومن أجلِّ أسباب طمأنينة القلب وانشراح الصدر؛ لأن الإنسان إذا اعتاد أن ينظر إلى ما أنعم الله به عليه، بدلًا من أن ينشغل بما فاته، امتلأ قلبه رضا، وشعر بقيمة ما بين يديه، واستراح من كثير من الهموم التي تُكدِّر حياته.

إن كثيرًا من الناس يملكون نعمًا عظيمة، ولكنهم لا يشعرون بالسعادة؛ لأن أعينهم معلَّقة بما ينقصهم، وقلوبهم مشغولة بما عند غيرهم، فلا يستمتعون بما وهبهم الله، ولا يتذوقون حلاوة النعمة التي يعيشون في ظلالها. أما الشاكر، فإنه يرى في الصحة نعمة، وفي العافية نعمة، وفي الأسرة نعمة، وفي الأمن نعمة، وفي لقمة الطعام نعمة، بل يرى في أبسط تفاصيل حياته أبوابًا تستوجب الحمد والثناء.

وقد أرشدنا الله سبحانه إلى أن الشكر سبب لزيادة النعم، فقال جل وعلا:

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالشكر لا يحفظ النعمة فحسب، بل هو سبب لزيادتها ونمائها، وزيادة الخير في حياة الإنسان. وليس المقصود بالزيادة أن تكون في المال وحده، بل قد

---

١ – القناعة والتعفف ت: الرقي (٥/ ١٤٨)

تكون في البركة، وراحة البال، وصلاح الأبناء، وحلاوة الإيمان، والقناعة، والرضا، والتوفيق إلى الطاعة.

وقال سبحانه مبينًا أن الشكر يعود نفعه على صاحبه: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢].

فالله غني عن شكر الشاكرين، وإنما ينتفع العبد بشكره؛ إذ يزداد إيمانًا، وتطيب نفسه، ويُحسن الانتفاع بما أُعطي، ويترقى من نعمة إلى نعمة، ومن فضل إلى فضل.

أولًا: كيف يكون الشكر سببًا للسعادة؟

١-الشكر ينقل الإنسان من الشعور بالفقد إلى الشعور بالامتنان.

فبدلًا من أن يقول الإنسان: ليس عندي ما يكفيني، يتذكر ما عنده من نعم، ويقول: الحمد لله الذي رزقني وكفاني.

وبدلًا من أن يحزن على ما لم يحصل عليه، يفرح بما أنعم الله به عليه، مع سعيه المشروع لتحسين أحواله.

٢- الشكر يطهِّر القلب من الحسد والمقارنة بالآخرين.

فمن شكر الله على رزقه، لم يجعل سعادته رهينة بما يملكه الناس، ولم ينظر إلى أموالهم ومنازلهم ومناصبهم نظرة حسرة وحقد، بل دعا لهم بالبركة، وسأل الله من فضله، وعلم أن الأرزاق مقسومة بحكمة الله سبحانه.

٣-الشكر يبعث الطمأنينة في النفس.

فالشاكر يعلم أن حياته ليست خالية من الخير، وأن ما لديه يستحق الحمد، وأن الابتلاء لا يعني زوال جميع النعم. ولذلك يستطيع أن يجمع بين الصبر عند الشدة، والشكر عند الرخاء.

٤-الشكر يجعل النعم مصدرًا للفرح لا للغفلة.

فالصحة التي يشكرها صاحبها يستعملها في الطاعة والعمل النافع، والمال الذي يشكر الله عليه ينفق منه في الخير، والأولاد الذين يحمد الله عليهم يربيهم على الإيمان والأخلاق، فيتحول الشكر من كلمة باللسان إلى حياة عامرة بالطاعة والإحسان.

ثانيًا: الشكر ليس باللسان وحده: إن الشكر الحقيقي يقوم على ثلاثة أمور:

شكر القلب :بأن يعترف العبد بأن النعمة من الله وحده، وأن يستشعر فضله وإحسانه.

شكر اللسان :بحمد الله والثناء عليه، والإكثار من قول: الحمد لله.

شكر الجوارح :باستعمال النعم فيما يرضي الله، واجتناب استخدامها فيما يغضبه.

وقد جمع الله هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

فتأمل كيف عبَّر القرآن عن الشكر بالعمل؛ لأن الشكر ليس مجرد ألفاظ تُقال، وإنما هو اعتراف وامتنان وطاعة وإحسان.

ثالثًا: من هدي النبي ﷺ في الشكر: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال:

"أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟" متفق عليه.(١)

تأمل هذا الموقف العظيم! لقد كان النبي ﷺ، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يجتهد في العبادة شكرًا لله على فضله وإحسانه. فالشكر لم يكن عنده مجرد شعور داخلي، بل عبادة وعملًا واجتهادًا.

وهذا يعلمنا أن السعيد ليس من كثرت نعمه فحسب، وإنما من عرف المنعم، وشكر فضله، واستعمل نعمه فيما يحبه ويرضاه.

رابعًا: كيف نجعل الشكر أسلوب حياة؟

لكي يكون الشكر مفتاحًا للسعادة في حياتنا اليومية، فلنحرص على أمور يسيرة عظيمة الأثر:

١-أن نبدأ يومنا بحمد الله على نعمة الحياة والعافية.

٢-أن نتأمل النعم التي اعتدنا وجودها حتى كأننا لا نشعر بها، مثل نعمة السمع والبصر والأمن والأسرة.

٣-أن نحمد الله على الطعام والشراب، وألا نحتقر نعمة مهما صغرت.

١- أخرجه عبد الرزاق (٤٧٤٦) -ومن طريقه الطبراني في "الكبير" ٢٠/ (١٠١٠)، والحميدي (٧٥٩)، والبخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) (٨٠)، وابن ماجه (١٤١٩)،

٤-أن نشكر الناس على إحسانهم؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ».(١)

قال الخطابي -رحمه الله-": هذا الكلام يتأول على وجهين، أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفرانَ نعمة الناس وتركَ الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفرانُ نعمة الله وتركُ الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر. (٢)

٥-أن نستعمل نعم الله في طاعته، ونبذل مما رزقنا في وجوه الخير.

٦-أن نتجنب مقارنة حياتنا بحياة الآخرين، وأن ننظر في أمور الدنيا إلى من هو دوننا في النعم، دون أن يكون ذلك ذريعة لترك الطموح والعمل.

٧-أن نتذكر نعم الله في أوقات الشدة، فلا يحملنا البلاء على نسيان كل ما أنعم الله به علينا.

إن السعادة لا تنتظر دائمًا أن تتغير ظروف الحياة، أو تزداد الأموال، أو تتحقق جميع الأمنيات؛ فقد تبدأ السعادة حين تتغير نظرتنا إلى ما نملكه بالفعل.

والشكر هو الذي يفتح أعيننا على الخير الموجود في حياتنا، ويعلمنا أن النعمة ليست فيما نفتقده وحده، بل فيما بين أيدينا من فضل الله وإحسانه.

فكم من إنسان يملك القليل، لكنه يعيش بقلب غني بالحمد والرضا، وكم من إنسان يملك الكثير، لكنه محروم من لذة ما يملك؛ لأنه لا يرى إلا ما ينقصه!

---

١ - وأخرجه الترمذي (٢٠٦٩) من طريق عبد الله بن المبارك، عن الربيع بن مسلم، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد" (٧٥٠٤)، و"صحيح ابن حبان" (٣٤٠٧).

٢- معالم السنن" ٤/ ١١٣).

وليس معنى الشكر أن يتوقف الإنسان عن طلب الأفضل، أو يرضى بالظلم والضرر، وإنما معناه أن يسعى إلى الإصلاح والتقدم، وقلبه ممتلئ بالامتنان لله، لا بالجحود والسخط.

فإذا أردت أن تتذوق حلاوة السعادة، فلا تعدَّ ما ينقصك وحده، بل عدَّ نعم الله عليك، واشكره بقلبك ولسانك وجوارحك؛ فإن القلوب الشاكرة ترى من الخير ما لا تراه القلوب الغافلة.

قال تعالى:﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ: ١٣].

عن عنبسة بن الأزهر، قال: كان محارب بن دثار قاضي أهل الكوفة قريب الجوار مني، فربما سمعته في بعض الليل يقول ويرفع صوته: أنا الصغير الذي ربيته، فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته، فلك الحمد، وأنا الصعلوق الذي وليته ،فلك الحمد، وأنا العازب الذي زوجته، فلك الحمد، وأنا الساغب الذي أشبعته، فلك الحمد، وأنا العاري الذي كسوته، فلك الحمد، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد، وأنا الغائب الذي أديته فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حملته، فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته، فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبته، فلك الحمد، ولك الحمد ربنا، حمدا كثيرا لك على كل حمد.(١)

عن عباءة بن كليب يقول: كتب إلي ابن السماك: أما بعد، فإني كتبت إليك وأنا مسرور مستور، فأنا بهما مغرور، ذنب ستره علي فقد طابت نفسي لي كأنه

---

١ – الشكر لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ٢٥٦)

مغفور، ونعم أتلاها فأنا بها مسرور، كأني بها على تأدية الحقوق، فليت شعري ما عواقب هذه الأمور؟.(١)

عن بعض أصحابه، قال: قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقا لله هو فيهما، قال: فما هو شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاما، وأعلاه علما، قال: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٦-٧] قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إذا رأيت حيا غبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت ميتا مقته كففتهما عن عمله، وأنت شاكر لله عز وجل، فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من الحر، والبرد، والثلج، والمطر.(٢)

خامسا: العفو والتسامح

أخي القارئ الحبيب – اعلم أسعدك الله بطاعته –: أنَّ العفو والصفح من أعظم مفاتيح السعادة وراحة القلب؛ لأن الإنسان الذي يحمل في صدره الأحقاد والضغائن يعيش أسيرًا للماضي، يستحضر الإساءة كلما خلا بنفسه، ويستعيد الكلمات الجارحة كأنها قيلت منذ لحظات، وربما حرم نفسه لذة الحياة بسبب موقف مضى وانتهى. أما الذي يعفو ويصفح، فإنه يتحرر من أسر الكراهية، ويمنح قلبه فرصة للسكينة والطمأنينة.

---

١ – الشكر لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ٢٥٥)

٢ – الشكر لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ٢٣٨)

قال الله جل وعلا: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو؛ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله؛ إلا رفعه الله)). (١)

فالعفو والتسامح من الأخلاق الحميدة؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

فيا عباد الله، إن العفو شعار الصالحين الأتقياء ذوي الحلم والأناة والنفس الرضية، لأن التنازل عن الحق نوع من أنواع إيثار الآجل على العاجل، وبسط لخُلق نقي تقي ينفذ إلى شغاف قلوب الآخرين، فلا يملكون أمامه إلا إبداء نظرة إجلال وإكبار لمن هذه صفته وهذا ديدنه؛ وصدق الله تعالى القائل: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

يأيها السادة: من صفات المتقين كظم الغيظ، وهو باب رفيع للفوز بالجنان ونَيل رضا الرب الرحمن، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

---

(١) – أخرجه الدارمي (١٦٧٦)، ومسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، وابن أبي الدنيا في "التواضع والخمول" (٧٤)، وأبو يعلى (٦٤٥٨)، وابن خزيمة (٢٤٣٨)، وابن حبان (٣٢٤٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٤/ ١٨٧ و ١٠/ ٢٣٥، وفي "شعب الإيمان" (٣٤١١) و (٨٠٧١) و (٨٣٢٨)

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]؛ قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس"(١)

فطبيعة الإنسان خطَّاء، وخير الخطائين التوابون، وربنا عز وجل ابتلى بعضنا ببعض اختبارًا وابتلاءً؛ فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، فليفكر كل واحد منا في نفسه: إذا أساء إليك أحد من الناس، هل تقابل الإساءة بالإحسان أم بالإساءة؟ إن قابلت الإساءة بالإساءة فهذه بتلك، وأما إذا قابلت الإساءة بالإحسان، فهذا هو الرابح دنيا وآخرةً بسبب كظمه لغيظه، وعفوه عن المسيء والإحسان إليه، أما إذا لم يكظم غيظه، وأنفذ غيظه ولم ينضبط بضوابط الشريعة أثناء إنفاذ غيظه، فإن هذا العبد ينقلب من مظلوم إلى ظالم، وبذلك تحل العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، وتتمزق أواصر المودة والرحمة بين الناس.

وقال الفضيل بن عياض-رحمه الله- : "إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا، فقل: يا أخي، اعف عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب واسع؛ فإنه من عفا وأصلح فأجره على

---

١ - «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧/ ٢١٠):

الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور".(١)

والعفو وكظم الغيظ سبب لعفو الله ومغفرته، فقال جل وعلا: ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤]

قال السعدي -رحمه الله-: "لأن الجزاء من جنس العمل؛ فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم؛ نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره".(٢)

والعفو وكظم الغيظ سبب لملء الله تعالى قلب العبد رجاءً يوم القيامة عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الطبراني: ((... ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة)). (٣)

فليتذكر المسلم أن الصبر وكظم الغيظ عند المسيء من أعلى مراتب العفو والإحسان، ومن سبيل رضا الله ومغفرته، وكظم الغيظ أجره يوم القيامة من أعظم الأجور؛ فقال رسول الله ﷺ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه: ((ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله))، (٤)

---

١ -«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة» (٨/ ١١٢)

٢ - «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٦٨)

٣ - المعجم الكبير (١٣٦٤٦)، واللفظ له، تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٤/ ١٧)، قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (٣٦)، تعليق الألباني "حسن"، صحيح الجامع (١٧٦)، الصحيحة (٩٠٦).

٤ - إسناده صحيح. الحسن: هو ابن أبي الحسن البصري.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره)) (١)؛

ويزوج الله تعالى كاظمَ غيظه من الحور العين ما شاء؛ فقال النبي ﷺ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي: ((من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء))، (٢)

ويملأ الله تعالى جوف كاظم غيظه إيمانًا، وهذا منزلة عظيمة في سلم الصبر والعفو؛ فقال رسول الله ﷺ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الإمام أحمد: ((ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا)) (٣)

ففي أيام الفتن، كن قاعدًا فيها لتتزود، ولا تكن قائمًا في الشر، وإن أبيت فكن قائمًا على الطاعة ولا تكن ساعيًا في الإساءة، فالنبي ﷺ يقول: ((والسعيد من وُقي الفتن))، (٤)

وقيل لأبي الدَّرداءِ رضي الله عنه: مَن أعَزُّ النَّاسِ؟ فقال: "الذين يعفون إذا قَدَروا، فاعفُوا يُعِزَّكم اللَّهُ تعالى"(٥).

وأخرجه أحمد (٦١١٤)، والطبراني في "مكارم الأخلاق" (٥١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٨٣٠٥) و (٨٣٠٧)، وفي "الآداب" (١٦٥) من طريقين عن يونس ابن عبيد، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٦١، والبخاري في "الأدب المفرد" (١٣١٨) من طريقين عن يونس بن عبيد، به، موقوفًا.

١ – إسناده ضعيف جداً؛ آفته الربيع بن سليم قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وفيه كذلك أبو عمرو مولى أنس بن مالك وهو مجهول، وروي من طرق أخرى بأسانيد تالفة. أخرجه: أبو يعلى (٤٣٣٨)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٠٧١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ٤، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣٢١)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٥٨). حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في " السلسلة الصحيحة " (رقم ٢٣٦٠)

٢ – حديث حسن، وأخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وهو في "المسند" (١٥٦١٩) و (١٥٦٣٧).

٣ – أخرجه أحمد ١/ ٣٢٧ (٣٠١٧) إسناده ضعيف جدا،

٤ – أخرجه أحمد (١/٣٢٧، رقم ٣٠١٧) . ضعيف جداً.

٥ –(نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: ٦/٥٨)

وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ -رحمه الله -: "إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا، فقُلْ: يا أخي، اعْفُ عنه؛ فإنَّ العَفْوَ أقرَبُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتَمِلُ قلبي العَفْوَ، ولكِنْ أنتَصِرُ كما أمَرني اللَّهُ عزَّ وجَلَّ فقُلْ له: إنْ كُنتَ تحسِنُ أن تنتَصِرَ، وإلَّا فارجِعْ إلى بابِ العَفْوِ فإنَّه بابٌ واسِعٌ؛ فإنَّه من عفا وأصلَح فأجرُه على اللَّهِ، وصاحِبُ العَفْوِ ينامُ على فِراشِه باللَّيلِ، وصاحِبُ الانتِصارِ يُقَلِّبُ الأمورَ"(١)

كيف نجعل العفو مفتاحًا لسعادتنا؟

١-استحضار الأجر: تذكَّر أن العفو عبادة تتقرب بها إلى الله، لا مجرد تنازل عن حق.

٢-تذكُّر عيوب النفس: من عرف تقصيره احتاج إلى عفو الله، فهانت عليه زلات الناس.

٣-عدم استحضار الإساءة باستمرار: تعلَّم أن تستفيد من التجربة دون أن تعيش أسيرًا لها.

٤-قبول الاعتذار الصادق: إذا أقرَّ المخطئ بخطئه وأصلح ما استطاع، فلا تجعل كبرياء النفس حائلًا دون الصفح.

٥-التماس الأعذار الممكنة: لا تتعجل في الحكم على النيات، فقد تكون وراء التصرف أسباب لا تعرفها.

٦-البدء بالسلام والإصلاح: بادر إلى الكلمة الطيبة متى كان ذلك مناسبًا وآمنًا.

٧-الدعاء بسلامة الصدر: اسأل الله أن يطهِّر قلبك من الغل والحسد والحقد، وأن يرزقك نفسًا مطمئنة.

---

١ -(رواه ابنُ أبي حاتم في التفسير: ١٨٩٨٥) (وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١١٢/٨).

اعفُ لتسعد:

إن السعادة ليست في أن ينتصر الإنسان لنفسه في كل خصومة، ولا في أن يرد الإساءة بإساءة أشد منها، وإنما من السعادة أن يملك زمام نفسه عند الغضب، وأن يترفع عن الصغائر، وأن يعيش بقلب سليم لا تستعبده الضغائن.

فإذا أساء إليك إنسان، فلا تجعل إساءته تسلب منك سلامك الداخلي، وإذا أخطأ في حقك قريب، فلا تتعجل في هدم جسور المودة، وإذا استطعت العفو وكان فيه خير وإصلاح، فاجعله قربة إلى الله تعالى.

تذكَّر دائمًا أن العفو لا يغير الماضي، لكنه قد يغيِّر مستقبلك، وأن التسامح لا يمحو كل ألم في لحظة، لكنه يعينك على ألا تجعل الألم سيد حياتك.

اعفُ وأنت قادر، واصفح وأنت تبتغي الأجر، وأحسن ما استطعت؛ فإن القلب الذي يتخلص من الأحقاد يجد في الحياة متسعًا للحب والسكينة والرضا.

سامح لتسعد: يا مَن تبحث عن السعادة، لا تجعل قلبك مستودعًا لكل كلمة جارحة، ولا تجعل ذاكرتك سجنًا لكل موقف مؤلم، ولا تمنح مَن أساء إليك سلطةً دائمةً على مشاعرك وأيامك.

سامح لتتحرر من الحقد، واعفُ لتطلب رضا الله، وتجاوز عن الزلات ما استطعت، ولا تنسَ أن العفو لا يعني إنكار الألم، ولا التنازل عن الحقوق، ولا تمكين الظالم من ظلم جديد؛ وإنما يعني أن تحرر قلبك من الكراهية، وتترك أمر الجزاء إلى الله، وتأخذ بحقك بالعدل والحكمة إن احتجت إلى ذلك.

وتذكَّر قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور: ٢٢].

هذه الآية تفتح للقلب بابًا عظيمًا من الرجاء؛ فمن أحب أن يغفر الله له، فليجاهد نفسه على العفو عن عباده.

اللهم طهِّر قلوبنا من الحقد والحسد، وأعنَّا على العفو والصفح، وارزقنا سلامة الصدر، وحسن الخلق، وراحة النفس، واجعلنا ممن يعفون عن الناس ابتغاء وجهك الكريم. آمين.

خامسا: سلامة الصدر

اعلم بارك الله فيك -: أن سلامة الصدر من أعظم مفاتيح السعادة، وأجلِّ أسباب راحة البال وطمأنينة النفس؛ إذ لا يجد الإنسان حلاوة الحياة الحقيقية إذا كان قلبه مستودعًا للأحقاد، وصدره مملوءًا بالضغائن، ونفسه مشغولة بتتبُّع عثرات الناس، وتمنِّي زوال النعم عنهم، واستحضار إساءاتهم في كل حين.

إن سلامة الصدر نعمة عظيمة، تجعل صاحبها يعيش بين الناس بقلب نقي، ونفس مطمئنة، وروح متصالحة مع ذاتها، لا يحمل حقدًا على أحد، ولا يبيت مشغولًا بالانتقام من أحد، ولا يحزن إذا رأى نعمة أنعم الله بها على غيره، بل يفرح بفضل الله على عباده، ويسأل الله من فضله.

وليس معنى سلامة الصدر أن الإنسان لا يحزن، أو لا يتألم من الإساءة، أو لا يغضب عند وقوع الظلم؛ فهذه مشاعر بشرية طبيعية، وإنما معناها ألا يستقر الحقد في القلب، وألا تتحول الإساءة إلى عداوة دائمة، وألا يتمنى المرء الشر للآخرين لمجرد أنهم نالوا ما لم ينله.

وقد أثنى الله تعالى على أصحاب القلوب السليمة، وجعل سلامة الصدر من دعاء عباده المؤمنين، فقال سبحانه حكاية عن دعاء المؤمنين: قال الله تعالى:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (سورة الحشر، الآيات: ٨ - ١٠).

إنه دعاء عظيم، يكشف عن حقيقة الإيمان؛ فالمؤمن لا يكتفي بإصلاح ظاهره، وإنما يسأل الله أن يصلح باطنه، وأن يطهِّر قلبه من الغل والحسد والبغضاء، لأن فساد القلب يفسد على صاحبه حياته، ويحرمه لذة الأنس بالله، وحلاوة الأخوة الإيمانية.

وقوله تعالى: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} أي لا يجد الأنصار في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة، والشرف، والتقديم في الذكر، والرتبة (١).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

قال ابن كثير رحمه الله: ((هؤلاء القسم الثالث ... وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} أي بغضاً وحسداً)) (٢). .

---

١ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ص ١٣٢٧).

٢ - تفسير القرآن العظيم، (ص ١٣٢٩).

المثال الثاني: ما بيَّنه النبي ﷺ في فضل ومكانة صاحب القلب السالم من الحقد والبغضاء والحسد، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: ((كلُّ مخموم القلب صدوق اللسان))، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: ((هو التقيُّ، النقيُّ، لا إثم فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ)). (١).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((نضَّر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، وحفظها، وبلَّغها، فرُبَّ حامل فِقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يغلُّ (٢). عليهن قلب مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم)) (٣).

سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً مع الرسول ﷺ فقال: (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة) ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى

---

١ أخرجه ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤/ ١٤٩) برقم ٤٢١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٤١١).

٢ – يَغِلُّ: من الغل: وهو الحقد، والشحناء: أي لا يدخله حقدٌ يزيله عن الحق. والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طَهُرَ قلبُه، من: الخيانة، والدَّغَل، والشرِّ. [النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٣٨١)].

٣ – الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، برقم ٢٦٥٨، وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٦١) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٤٠٤.

تمضي فعلت فقال: نعم ، قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاَ غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق. (١).

سلامة الصدر تريح الإنسان من الحسد: الحسد من أشد ما يعكر صفو الحياة؛ فالحاسد لا يكتفي بأن يحزن على ما فاته، بل قد يحزن أيضًا لما أصاب غيره من الخير. فإذا رأى نجاحًا عند غيره ضاق صدره، وإذا رأى نعمة عند أخيه تمنى زوالها، وكأنه يعترض بقلبه على قسمة الله تعالى.

أما سليم الصدر، فإنه يعلم أن الأرزاق بيد الله، وأن خزائن الله لا تنفد، وأن نعمة غيره لا تعني حرمانه، وأن لكل إنسان نصيبًا قدَّره الله بحكمته.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[النساء: ٣٢].

فبدلًا من أن ينشغل المؤمن بما عند الآخرين، ينشغل بشكر ما عنده، والسعي فيما ينفعه، والدعاء بأن يبارك الله له ولإخوانه.

---

١ – أحمد ٣/ ١٦٦، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٤٩٩ وقال: رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتجّا بهم أيضا إلّا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنحوه.

وإذا رأى نعمة على غيره قال: اللهم بارك له فيها، وارزقني من فضلك. وهكذا يتحول الحسد إلى غبطة مشروعة، ويتحول الضيق إلى رضا، والمقارنة المرهقة إلى سعي نافع.

✍كيف نحقق سلامة الصدر ونعيش سعداء؟

يمكن للمسلم أن يدرِّب نفسه على سلامة الصدر من خلال وسائل عملية، منها:

١-الإكثار من الدعاء: بأن يسأل الله أن يطهِّر قلبه من الغل والحسد والبغضاء، وأن يرزقه قلبًا سليمًا.

٢-حسن الظن بالآخرين: وألا يحمل كلماتهم وأفعالهم على أسوأ المحامل ما دام لها وجه حسن.

٣-ترك تتبع العثرات: فالذي يفتش عن أخطاء الناس يحرم نفسه من رؤية محاسنهم.

٤-الرضا بقسمة الله: فكلما قوي يقين الإنسان بحكمة الله وعدله، قلَّ حسده للناس وتعلقه بما في أيديهم.

٥-الدعاء لمن أنعم الله عليه: فإذا رأى نعمة عند أخيه، دعا له بالبركة، وسأل الله من فضله.

٦-تذكُّر عيوب النفس: فالاشتغال بإصلاح النفس يترك للإنسان وقتًا أقل لتتبع أخطاء غيره.

٧-المبادرة إلى الصلح: فإذا وقع خلاف، فليكن همه الإصلاح، لا إثبات أنه المنتصر في كل موقف.

٨-العفو عن الزلات: فليس كل خطأ يستحق القطيعة، وليس كل إساءة ينبغي أن تتحول إلى عداوة دائمة.

٩-محاسبة القلب قبل النوم: يسأل الإنسان نفسه: هل أحمل في قلبي حسدًا لأحد؟ هل أتمنى زوال نعمة عن إنسان؟ هل أستطيع أن أبدأ غدًا بقلب أنقى؟

من ثمرات سلامة الصدر في حياة الإنسان:

إن سلامة الصدر تثمر آثارًا عظيمة، من أهمها:

١-راحة البال: لأن القلب لا يستهلك طاقته في الكراهية والخصومات.

٢-الرضا والقناعة: لأن سليم الصدر لا ينظر إلى نعم الآخرين بعين السخط والحسد.

٣-المحبة والألفة: لأن الناس يألفون صاحب القلب النقي الذي لا يتمنى لهم إلا الخير.

٤-حسن العبادة: لأن القلب المشغول بالضغائن يحتاج إلى مجاهدة حتى يحضر في الصلاة والذكر والدعاء.

٥-حسن العلاقات الأسرية والاجتماعية: لأن التسامح والتماس الأعذار يقللان من النزاعات ويعينان على دوام المودة.

٦-رجاء الفوز بالجنة: لأن تطهير القلب من الغل من المعاني التي أثنى الله عليها في كتابه الكريم.

طهِّر قلبك تسعد حياتك: أيها القارئ الكريم، إن السعادة ليست في كثرة المال وحدها، ولا في ارتفاع المنزلة، ولا في كثرة ما يملكه الإنسان من متاع

الدنيا، بل من أعظم أسبابها أن يرزق الله العبد قلبًا سليمًا، ونفسًا راضية، وصدرًا خاليًا من الأحقاد.

فلا تجعل قلبك مقبرة للمواقف القديمة، ولا تجعل صدرك ساحةً للخصومات، ولا تسمح للحسد أن يفسد فرحتك، ولا للبغضاء أن تحرمك لذة الحياة.

إذا أساء إليك أحد، فتعامل مع إساءته بحكمة. وإذا رأيت نعمة عند غيرك، فاسأل الله أن يبارك له فيها. وإذا وقع بينك وبين أخيك خلاف، فاجعل الإصلاح غايتك متى أمكن. وإذا وجدت في قلبك غلًّا أو حسدًا، فلا تيأس، بل جاهد نفسك، وأكثر من الدعاء، واستعن بالله على تطهير قلبك.

وتذكر أن سلامة الصدر لا تعني أن جميع الناس سيحسنون إليك، وإنما تعني ألا تجعل إساءتهم سببًا في إفساد قلبك وأخلاقك.

سادسا: حسن الظن بالناس

أخي المسلم اعلم -زادك الله علما وفهما-أن حُسْنَ الظن بالناس من مفاتيح السعادة وراحة البال وطمأنينة القلب؛ لأن الإنسان الذي يحمل كلام الآخرين على أحسن المحامل، ويلتمس لهم الأعذار، ولا يتعجل في اتهام نياتهم، يعيش أكثر راحةً وهدوءًا ممن يفسر كل كلمة على أنها إساءة، وكل تصرف على أنه مؤامرة، وكل موقف على أنه دليل على الكراهية والعداوة.

إن كثيرًا من الأحزان التي يعيشها الناس لا تنشأ من الوقائع نفسها، وإنما تنشأ من الطريقة التي يفسرون بها تلك الوقائع؛ فقد يتأخر صديق عن الرد، فيظن صاحبه أنه يتجاهله، وقد ينسى قريبٌ مناسبةً ما، فيعتقد الآخر أنه لا يقدِّره، وقد

يسمع الإنسان كلمة تحتمل أكثر من معنى، فيختار أسوأ معانيها، ثم يعيش أيامًا في ضيق وحزن، وربما قطع علاقةً طيبة بسبب ظن لم يقم عليه دليل.

ولو أحسن الإنسان الظن، وتثبت قبل الحكم، وأعطى الآخرين فرصة لتوضيح مواقفهم، لوفَّر على نفسه كثيرًا من الألم، ولحفظ علاقاته من التصدع، ولعاش بقلب أكثر صفاءً ونفس أكثر سكينة.

وحسن الظن ليس سذاجةً ولا غفلةً عن الواقع، بل هو حسن فهمٍ، وسلامة صدر، وتأنٍّ في الحكم، ما لم تظهر قرائن معتبرة تدعو إلى الحذر.

إن الإسلام دين يدعو إلى حسن الظن بالناس والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم؛ لأن سرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله تعالى وحده.

قال تعالى-جل ذكره :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[الحجرات: ١٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا".(١)

فسوء الظن يؤدي إلى الخصومات والعداوات، وتقطع الصلات، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٨].

---

١ – أخرجه أحمد ٣١٢/٢(٨١٠٣) والبخاري" ٦٠٦٤ وفي "الأدب المفرد" ٤١٠.

ومن لطيف ما فُسرت به هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ﴾ [الحجرات: ١٢] الأصل في المؤمن ألا يظن في أخيه سوءًا، فإن حصل وظن به سوءًا جاء بعده النهي عن الظن ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢] أي لا تتجسسوا على الذي ظننتم به السوء من أجل التثبت من ظنكم، فإن حصل وظننتم وتجسستم جاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢] يعني ظننت وتجسست وثبت الأمر لديك فاستر ولا تفضح ولا تغتب ولا تنشر سر أخيك واستر عورته عسى الله أن يستر عورتك يوم تكشف العورات.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله كلامًا نفيسًا: "اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك.... " إلى أن يقول".... وسبب تحريم سوء الظن أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك ألا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بإذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق"(١)

وفى كتب التراث اهتمام بهذا الجانب العظيم من أخلاقيات الإسلام فقد كتب على بن محمد المصري كتابًا سماه (الأكياس في حسن الظن بالناس) وهو من أنفع الكتب في مجاله.

قال رحمه الله: (أول وصية عليكم أيها الإخوان بحسن الظن بالمسلمين ما استطعتم) أي الزموا حسن الظن بالمسلمين فإنه باب من أبواب الخير.

---

١ – إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٠)

فقد روى أبو داود وحسنه ن أبى هريرة رضى الله عنهما: "حسن الظن من حسن العبادة"، (١)

إن الذي طهر المولى سريرته من الظنون لفي جنان رضوان

فظن بالخلق خيرا يا أخي فلقد جاء الوعيد لقتات و ظنان (٢)

وقال آخر:

إذا ما شئت أن تحيا سعيد من الخيرات مملوء اليدين

فظن بمعشر الإسلام خيرا وعش اعمى وأصلح ذات بين (٣)

وقال آخر:

إذا ما شئت ان تحيا سعيدا حبيبا للغني وللفقير

فظن بمعشر الإسلام خيرا وراع الوقت و اقنع باليسير (٤)

وأقوال السلف والخلف في مدح حسن الظن والحث عليه كثيرة: وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس". وقال بشر الحافي: "من سره أن يسلم فليلزم الصمت وحسن الظن بالخلق".

---

١ – «مسند أحمد» (١٣/ ٣٣٨ ط الرسالة): «وأخرجه أبو داود (٤٩٩٣)، وابن حبان (٦٣١)، والحاكم ٤/ ٢٤١، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص ١٥١» إسناده ضعيف، شتير بن نهار –ويقال في اسمه: سمير بن نهار–روى عنه محمد بن واسع وأبو نضرة، وأورده البخاري وابن أبي حاتم فلم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال ابن حجر في "التقريب": صدوق! كذا قال، مع أن الدارقطني جهله في سؤالات البرقاني ترجمة رقم (٢١٢)، وقال الذهبي في "الميزان" ٢/ ٢٣٤: نكرة.

٢ –منحة الأكياس في حسن الظن بالناس للشيخ محمد عثمان الإسحاقي، ص: ١٧

٣ –منحة الأكياس في حسن الظن بالناس للشيخ محمد عثمان الإسحاقي، ص: ١٧

٤ –منحة الأكياس في حسن الظن بالناس للشيخ محمد عثمان الإسحاقي، ص: ١٧

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لاَ أَدْرِى أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ". (١)

وقال الإمام على بن محمد الشهير بالمصري -رحمه الله-: إذا رأيتم واعظاً يدعو الناس إلى الخير فإياكم أن تظنوا إنه لا يعمل بما يقول، بل ظنوا أنه متخلق بما دعاكم إليه، إنه ما دعاكم إلى الإخلاص إلا بعد أن اخلص ولا غلى الزهد إلا بعد أن زهد، ولا إلى غير ذلك إلا إذا كان متخلقاً به. (٢)

الأسباب المعينة على حسن الظن:

١-**إنزال النفس منزلة الخير**: قال ابن القيم رحمه الله -:(وما رأيت أحدًا قطُّ أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدّس الله روحه -، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: (وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه! وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قطُّ، وكان يدعو لهم).

قال: (وجئت يومًا مبشّرًا له بموتِ أكبر أعداءه، وأشدّهم عداوةً وأذىً له، فنهرني، وتنكّر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى أهل بيته -أي ذلك الخصم الذي مات -فعزّاهم، وقال: (أنا لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه) ... فسُّروا به ودعوا له، وعظّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه). (٣)

---

١ - أخرجه "أحمد" ٢/٢٧٢(٧٦٧١) والبخاري" في "الأدب المفرد" ٧٥٩ و"مسلم." ٦٧٧٦.

٢ - أخرجه: مسلم ٨/ ٣٦ (٢٦٢٣) (١٣٩)

٣ - «مدارج السالكين» (٢/ ٣٤٥).

٢-حمل الكلام على أحسن المحامل: فها هو الإمام الشافعي رحمه الله حين مرض وأتاه بعض إخوانه يعوده، فقال للشافعي: قوى لله ضعفك، قال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني، قال: والله ما أردت إلا الخير. فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير.

فهكذا تكون الأخوة الحقيقية إحسان الظن بالإخوان حتى فيما يظهر أنه لا يحتمل وجها من أوجه الخير.

٣-التماس الأعذار للآخرين: قال ابن سيرين رحمه الله: "إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرا لا أعرفه".

قال أحدهم:

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا وَافَاكَ بِالْغَلَطِ وَاتْرُكْ هَوَى الْقَلْبِ لا يُدْهِيْكَ بِالشَّطَطِ

فكم صَدِيْقٍ وفيٍّ مُخْلِصٍ لَبِقٍ أَضْحَى عَدُوًّا بِمَا لاقَاهُ مِنْ فُرُطِ

فَلَيْسَ فِي النَّاسِ مَعْصُوْمٌ سِوَى رُسُلٍ حَمَاهُمُ اللهُ مِنْ دَوَّامَةِ السَّقَطِ

أَلَسْتَ تَرْجُوْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةً يَوْمَ الزِّحَامِ فَسَامِحْ تَنْجُ مِنْ سَخَطِ

٤- تجنب الحكم على النيات: عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يُحَدِّثُ ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ ، مِنْ جُهَيْنَةَ ، قَالَ : فَصَبَّحْنَاهُمْ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ ، فَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، إِذَا أَقْبَلَ الْقَوْمُ كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَيْنَا ، وَإِذَا أَدْبَرُوا كَانَ حَامِيَتَهُمْ ، قَالَ : فَغَشِيتُهُ ، أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِينَاهُ ، قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ ، وَقَتَلْتُهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا أُسَامَةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؟

قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ ، فَكَرَّرَهَا عَلَيَّ ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ. (١)

٥-**استحضار آفات سوء الظن وعدم تزكية النفس**: قال سفيان بن حسين:

(ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال: أغزوتَ الرومَ؟ قلت: لا، قال: فالسِّند والهند والترك؟

قلت: لا، قال: أفَتسلَم منك الروم والسِّند والهند والترك، ولم يسلَمْ منك أخوك المسلم؟! قال: فلَم أعُد بعدها)). (٢)

وقال أبو حاتم بن حبان البستي : ((الواجبُ على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنَّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنَه ولم يُتعب قلبَه، فكلَّما اطَّلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه)). (٣)

كان معروف الكرخي قاعدا يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟

ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة.

فقال له صاحبه: إنما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم!

---

١ – أخرجه أحمد ٥/٢٠٠(٢٢٠٨٨) و"البُخَارِي" ٥/١٨٣(٤٢٦٩) و"مسلم" ١/٦٧(١٩٠).

٢ – البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١٢١).

٣ – روضة العقلاء (ص: ١٣١)

فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا. (١)

قال سرّي السقطي، وكان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد: منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي مرة: الحمد للّه. قيل له: وكيف ذلك ؟ !!

قال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني واحد وقال: نجا حانوتُك!

فقلت: الحمد للّه! فأنا نادم من ذلك الوقت حيث أردتُ لنفسي خيراً من دون الناس. (٢)

روي عن السري بن مغلس السقطي أن لصاً دخل بيت مالك بن دينار فما وجد شيئاً فجاء ليخرج فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليك السلام، قال: ما حصل لكم شيء من الدنيا فترغب في شيء من الآخرة – قال: نعم، قال: توضأ من هذا المركن وصل ركعتين، ففعل ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح، قال: فلما خرج مالك إلى المسجد قال أصحابه: من هذا معك – قال: جاء يسرقنا فسرقناه. (٣)

قال سفيان بن حسين–رحمه الله– : (ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال: أغزوتَ الرومَ؟ قلت: لا، قال: فالسِّند والهند والترك؟ قلت: لا، قال: أفَتسلَم منك الروم والسِّند والهند والترك، ولم يسلَمْ منك أخوك المسلم؟! قال: فلَم أعُد بعدها)). (٤)

---

١ – ابن الملقن: طبقات الأولياء ١/٤٧.

٢ – المناوي: فيض القدير ١/١٢٤.

٣ – تاريخ الإسلام للذهبي ٢/١٤٤.

٤ – البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١٢١).

وقال أبو حاتم بن حبان البستي : ((الواجبُ على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنَّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنَه ولم يُتعب قلبَه، فكلَّما اطَّلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه)) (١)

✍التدريب على حسن الظن: ونعني بالتدريب، تعلُّم حسن الظن، وهذا ما كان يلقنه النبي-صلى الله عليه وسلم-لأصحابه، يروي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "مَا أَلْوَانُهَا؟ "، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟! "، قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: "فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ". (٢)

ونستنتج من ذلك أن النبي المعلم ﷺ أخذه في دورة تدريبية تثقيفية، حتى يمتلك المعرفة السليمة

وعَنْ أَسْلَمَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ

---

١ – روضة العقلاء (ص: ١٣١)

٢ – مسند" أحمد (٩٢٩٨)، و "صحيح" البخاري (٥٣٠٥) و (٦٨٤٧)، وابنُ أبي ذئب، كما في "مسند" أحمد (٧١٩٠)، و "صحيح" مسلم (١٥٠٠): (١٩)،

الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يؤْتَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. (١)

كيف نجعل حسن الظن مفتاحًا لسعادتنا؟

يمكننا أن نتدرب على حسن الظن من خلال خطوات عملية:

١-لا تتعجل في الحكم: امنح نفسك وقتًا قبل أن تفسر موقفًا أو تتخذ قرارًا بشأن علاقة.

٢-ابحث عن التفسير الحسن الممكن: إذا احتمل التصرف أكثر من معنى، فلا تجعل أسوأ المعاني هو اختيارك التلقائي.

٣-اسأل قبل أن تتهم: الحوار الهادئ يكشف كثيرًا من سوء الفهم.

٤-لا تقرأ النيات: احكم على التصرفات الظاهرة بقدر ما تسمح به الأدلة، واترك السرائر لله تعالى.

٥-تذكر أخطاءك: كما تحب أن يلتمس الناس لك العذر، فالتمس لهم العذر فيما يحتمل ذلك.

٦-ابتعد عن نقل الكلام دون تثبت: فكم من فتنة بدأت بخبر غير صحيح، أو بكلام نُقل ناقصًا.

٧-لا تجعل تجربة سيئة حكمًا على الجميع: فخطأ شخص لا يعني أن كل الناس يشبهونه.

٨-اجمع بين حسن الظن والحكمة: ثق بالناس بقدر ما تسمح به المواقف، واحفظ حقوقك دون اتهام بغير دليل.

---

١ - أخرجه البُخَارِي ١٩٧/٨(٦٧٨٠).

٩-اشغل نفسك بإصلاح ذاتك: فكلما انشغل الإنسان بتهذيب نفسه، قلَّ انشغاله بتفسير كل حركة تصدر من الآخرين.

سابعا: التفاؤل وحسن الرجاء

اعلم -بارك الله فيك-: أنَّ التفاؤل وحسن الرجاء من مفاتيح السعادة التي تفتح للإنسان أبواب الأمل، وتمنحه القوة لمواجهة صعوبات الحياة، وتعينه على تجاوز المحن والابتلاءات بقلب مطمئن ونفس راضية. فالحياة لا تخلو من الشدائد، ولا تسير دائمًا وفق ما يشتهي الإنسان، ولكن الفرق كبير بين من يستسلم لليأس، ومن يستقبل أقدار الله بالإيمان والصبر والرجاء.

فالمتفائل لا ينكر آلام الحياة، ولا يتجاهل مشكلاتها، وإنما يواجهها بعقل واعٍ وقلب مؤمن، ويوقن أن الشدة لا تدوم، وأن الأحوال تتغير، وأن أبواب الفرج قد تُفتح من حيث لا يحتسب. أما حسن الرجاء بالله، فهو أن يثق العبد برحمة ربه، ويحسن الظن به، ويأخذ بالأسباب، ولا يقنط مهما طال البلاء أو اشتدت المحنة.

قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[يوسف: ٨٧].

إنها دعوة قرآنية عظيمة إلى عدم الاستسلام لليأس، مهما اشتدت الأحزان وطال الانتظار. فقد قالها يعقوب عليه السلام بعد سنوات من فراق ابنه يوسف، ليعلمنا أن طول البلاء لا يبرر القنوط من رحمة الله، وأن المؤمن يظل متعلقًا بربه، راجيًا فضله، ساعيًا في طلب الخير.

وقال النبي ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» متفق عليه.(١)

فالفأل الحسن يبعث الأمل في النفوس، ويعوِّد الإنسان استقبال الحياة بروح طيبة، بعيدًا عن التشاؤم الذي يضعف العزائم ويغلق أبواب المحاولة.

كيف يكون التفاؤل مفتاحًا للسعادة؟

أولًا: التفاؤل يحرر الإنسان من أسر الماضي. فليس كل إخفاق نهاية الطريق، ولا كل خسارة نهاية الحياة؛ بل قد تكون التجارب الصعبة دروسًا تعلِّم الإنسان كيف يبدأ من جديد، وكيف يتجنب أخطاءه السابقة.

ثانيًا: حسن الرجاء بالله يمنح القلب الطمأنينة. فالمؤمن يعلم أن الله رحيم بعباده، وأن عليه الدعاء والعمل والصبر، وأن تدبير الله أوسع من نظرته المحدودة إلى الأحداث.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢-٣].

ثالثًا: التفاؤل يدفع إلى العمل ولا يبرر الكسل: فالطالب المتفائل يجتهد بعد تعثره، والمريض يأخذ بأسباب العلاج ويرجو الشفاء، وصاحب الحاجة يسعى في طلبها، ولا يكتفي بالأماني دون عمل.

رابعًا: التفاؤل ينشر السعادة بين الناس:. فالكلمة الطيبة، والتشجيع الصادق، وبث الأمل في قلب المهموم، كلها أعمال تخفف المعاناة وتعين الإنسان على استعادة قوته.

---

١ – أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) (١١٢)، وأبو يعلى (٣٠٢٧)،

خامسًا: حسن الرجاء يعين على الصبر عند تأخر المطلوب: فقد يتمنى الإنسان أمرًا ولا يتحقق له، وقد يدعو بدعاء ويطول انتظاره، وهنا يحتاج إلى أن يستمر في الدعاء والعمل، وألا يجعل تأخر ما يريد سببًا لليأس من رحمة الله.

تفاءلوا بالخير تجدوه.. ما أروعها من كلمة، وما أعظمها من عبارة.. نعم ليست حديثا نبويا، ولكنها حقيقة واقعة، ووصفة مجربة.. من تفاءل بالخير وجده، ومن سعى للسعادة حصلها، ومن عاش التشاؤم قتله، أو قتل بالهم عمره فضاع سدى وحسرة، والمرء يختار لنفسه، فكل من التفاؤل والتشاؤم فن يحسنه نوع من الناس، ويجلبه إلى نفسه وحياته، وينقله إلى من حوله.

التفاؤل فن تصنعه النفوس الواثقة بفرج الله، فمن عرف باب الأمل لا يعرف كلمة المستحيل، ومن عرف حقيقة ربه لم يتوقع إلا الجميل.

التفاؤل من الصفات الرئيسية لأي شخصية ناجحة.... فهو يزرع الأمل، ويعمق الثقة بالنفس، ويحفز على النشاط والعمل، وهذه كلها عناصر لا غنى عنها لتحقيق النجاح.

فالنفوس المتفائلة وحدها هي التي تمضي نحو مرادها بثباتٍ ويقين وهدوء وسكينة، فالمتفائل ينتظر الفرج قبل النظر إلى المصيبة، ويعلم أن اليسر في طي العسر، وأن الفرج مع الكرب، وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرا. فتراه دائما يغلب الأمل على اليأس، والتفاؤل على التشاؤم، والرجاء على القنوط، ويرى قرب الفرج كقرب ضوء النهار آخر الليل.

تفاءل لتسعد؛ فأنت من يصنع السعادة؛ بالبسمة الحلوة، والكلمة الطيبة، وحسن الظن في الحاضر، وتوقع الخير في المستقبل، وتجديد الإيمان بالقضاء والقدر،

مع قلب قانع بالعطاء راض بالقضاء، ومنسجم ومتجاوب مع سنن رب الأرض والسماء، كل ذلك يجعل النفس متفائلة برحمته، مطمئنة إلى قدره، راضية بقضائه وعطائه؛ فلا يرى في الحياة إلا كل ما هو خير.

إذا أصبحت عندي قوت يومي فخل الهم عني يا سعيد

ولا تخطر هموم غد ببالي فإن غدا له رزق جديد

أسلم إن أراد الله أمرا وأترك ما أريد لما يريد

تفاءل لترى جمال الحياة؛ فإن جمال الحياة لا يراه إلا المتفائلون. فالحياة من دون التفاؤل كاللوحة من دون ألوان، وكالروض من غير زهور... فغير نظرتك إلى الحياة لتجعل من حاضرك واحة من السعادة، ومن مستقبلك حديقة من الأمل، ومن ماضيك بئرا للنسيان ومخزنا للتجارب.

تفاءل فإن ربك الله من أسمائه الرحمن الرحيم، الحليم الكريم. ومن أسمائه الوهاب الرزاق الفتاح العليم. ومن أسمائه الغفار التواب العفو الرؤوف الرحيم. ومن أسمائه الحكم العدل اللطيف الخبير، ومن أسمائه الشكور الودود الولي الحميد، ومن أسمائه الوكيل الحسيب القريب المجيب.

تفاءل فإن من صفات ربك أنه يسبغ النعم، ويدفع النقم، ويزيل الهم، ويكشف الغم، ويريح القلب، ويسمع النداء، ويجيب الدعاء.. وهو سبحانه أعدل من حكم، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى

إن مسّنا الضّر أو ضاقت بنا الحيل فلن يخيب لنا في ربنا أمل

وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا ربّا يحولها عنا فتنتقل

***

اللهُ طِـبُّ قُلوبِـنا وهـوَ الـذي يَحْـنُو على آلامِنا ويُوَاسي

قُولوا لِمَن يَشْكو الأسَى للناسِ: لا تَشْكُ الأسَى إلا لِرَبِّ الناسِ

إن أعظم صفات المتفائلين هو ثقتهم المطلقة في الله، وحسن ظنهم برب العالمين، فمن أحسن ظنه بربه نال أعلى درجات التفاؤل، ووفقه الله لكل خير، وألهمه الحكمة (أنا عند ظن عبدي بي) (١)

وإني لأدعو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع

أساس التفاؤل الإيمان بقدر الله، والرضا بقضائه، وعلم المؤمن أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٥١]

لا الأمرُ أمري ولا التدبيرُ تدبيري ولا الشؤون التي تَجري بتقديري

لي خالقٌ رازقٌ ما شـاء يفعل بي أحاطَ بي علمه من قبل تصويري

تفاءل فإن كتاب الله إليك يدعو للتفاؤل: اقرؤوا إن شئتم: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ وحتى المذنبين يدعوهم ليتفاءلوا بمغفرة الله لهم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

---

١ - أخرجه البخاري (٧٥٠٥)، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٧/ ١٠٩

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

تفاءل فأنبياء الله كانوا متفائلين: إبراهيم يطلب الولد على كبر وقد شاخ وشاخت زوجته، وكذلك زكريا: عظمٌ واهن، وامرأة عاقر، وسن طاعن، وقد بلغ من الكبر عتيا، ومع ذلك يقول {فهب لي من لدنك وليا}، وموسى في أحلك لحظات الضيق والكرب وقد ألجأه جيش فرعون إلى البحر فلا مهرب فيما يرى الناس: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾ [الشعراء: ٦٢]، ويعقوب يفقد ولديه واحدا تلو الآخر ومع ذلك يقول: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣] ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، ونوح يدعو قومه ليلا ونهارا قريبا من ألف سنة وما يأس ولا قنط، وسليمان يطلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فيعطيه، وأيوب في أوج المرض ينادي ربه فيشفيه، ويونس في بطن الحوت وظلمات الليل والبحر يستغيث بربه فينجيه. ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢]

فإذا بليت بنكبة فاصبر لها من ذا رأيت مسلما لا ينكب

وإذا أصابك في زمانك شدة وأصابك الخطب الكريه الأصعب

فادع الإله فإنه أدنى لمن يدعوه من حبل الوريد وأقرب

تفاءل فإن نبيك كان سيد المتفائلين: بل كان المعلم الأول لغرس الأمل في النفوس ولو في أشد الأزمات، كان متفائلا في أمره كله، في ترحاله وحله، وفي حربه وسلمه.

خباب يشكو له قسوة ما يفعله الكفار بالمسلمين فيقول: [والله ليتمن الله هذا الأمر].

في الهجرة يحاصره المشركون في الغار فيقول لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

، [ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟] (١).

يدركه سراقة في الهجرة لينال مائة ناقة فيقول: [ارجع ولك سوارا كسرى]

تطرده ثقيف وتؤذيه أشد الأذى ثم يقول: {لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا} (٢)

وقد روي أن رسول الله ﷺ مرّ هو والركب بإبل لمالك بن الأوس الأسلمي بالجحفة ومعها غلام راع، فقال: «لمن هذه» ؟ قال: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر وقال: «سلمت إن شاء الله» قال: «ما اسمك» ؟ قال:

مسعود، فالتفت إلى أبي بكر، وقال: «سعدت إن شاء الله»(٣)وقد كان من خلق رسول الله ﷺ أنه يحب التفاؤل، ويكره التشاؤم.

كان يتفاءل بالكلمة الطيبة والاسم الحسن والهيئة الحسنة ويقول: [ويعجبني الفأل]

حتى في المرض يتفاءل [لا تسبوا الحمى؛ فإنها تُذهِبُ خطايا بني آدمَ كما يُذهبُ الكِيرُ خبثَ الحديدِ]. (٤).

---

١ – أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: ٢٣٨١. (أحدهم) أحد المشركين. (ما ظنك) ما تقديرك لحالهما. (ثالثهما) بالمعونة والنصرة.

٢ – أخرجه: البخاري ٤/ ١٣٩ (٣٢٣١)، ومسلم ٥/ ١٨١ (١٧٩٥) (١١١).

٣ – البداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٠

٤ – مسلم ٤/ ١٩٩٣ (٢٥٧٥).

ويزور المريض فيقول: [لا بأس طهور إن شاء الله]، (١).

ويقول: [إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك لا يرد شيئا، ويطيب بنفسه] (٢).

"أي يجعله يتفاءل بالشفاء وطول العمر فتطيب بذلك نفسه".

يا صاحب الهم تفاءل، ويا صاحب المرض تفاءل، ويا صاحب الدين تفاءل، ويا صاحب البلوى تفاءل:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فان الفارج الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فان الكافي الله

إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فان الفارج الله

الله حسبك مما عذت منه به وأين أمنع ممن حسبه الله

والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

ثامنا: النسيان

اعلم – بارك الله فيك –: أن النسيان مفتاح آخر هام من مفاتيح السعادة، والشخص الذي يكتسب المزيد من المعلومات يفقد السعادة. النسيان المتعمد هنا يكون الحل، ولمزيد من الفهم: هل بوسع أي شخص أن يكون سعيداً إذا تعمد أن يتذكر أن أطفاله الذين يلهون أمام عينيه ستموت في يوم من الأيام؟ أو التفكير المضنى عن الإصابة بمرض أو ضياع ثروة مالية؟ وبوجه

---

١ – أخرجه البخاري (٣٦١٦)، والنسائي (٧٤٥٧).

٢ – أخرجه الترمذي ٤/ ٣٥٦ (٢٠٨٧) .

عام، هل سيسعد الإنسان إذا فكر بأسلوب مأساوي في كافة تفاصيل حياته ... فالتجاهل أو النسيان المتعمد يحقق السعادة.

يقول السعدي – رحمه الله –ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكارة التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكر فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكارة التي يتخيلها في مستقبل حياته. فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

إنَّ من مفاتيح السعادة التي يحتاج إليها الإنسان في رحلة حياته أن يتعلَّم متى يتذكَّر، ومتى يتجاوز، ومتى يترك بعض المواقف خلف ظهره، فلا يحمل في قلبه أعباء الماضي، ولا يسمح لجراح الأمس أن تفسد عليه أفراح اليوم . فالحياة لا تخلو من إساءة، ولا تسلم من خيبة أمل، ولا تنجو من مواقف مؤلمة قد تصدر عن قريب أو صديق أو زميل، ولكنَّ السعيد ليس هو الذي لم

يتعرض للأذى، وإنما هو الذي تعلَّم كيف يتعامل معه بحكمة، فلا يجعل كل موقف جرحًا دائمًا، ولا يحوِّل كل خلاف إلى خصومة لا تنتهي.

والنسيان نعمة من نعم الله على الإنسان؛ فلولا أنَّ الله جعل للذاكرة حدودًا، وللألم قدرة على التراجع مع مرور الزمن، لشقي كثير من الناس بما يحملونه من ذكريات مؤلمة .

وقد يظل الإنسان سنوات طويلة أسير كلمة جارحة، أو موقف مخيب، أو تجربة فاشلة، حتى تصبح تلك الذكرى حاجزًا بينه وبين السعادة، وتسرق منه لحظات جميلة كان يمكن أن يعيشها لو أحسن التعامل مع ماضيه.

وليس المقصود بالنسيان أن يمحو الإنسان ذاكرته، أو يتجاهل حقوقه، أو يكرر أخطاءه دون تعلُّم، وإنما المقصود أن يتحرر من الاستغراق في الأحزان، وألَّا يجعل الماضي سجنًا يعيش فيه، وأن يأخذ من التجارب دروسها، ثم يمضي في حياته بقلب أكثر حكمة وطمأنينة.

فمن مفاتيح السعادة أن تتذكر ما ينفعك، وتتعلم مما يؤلمك، وتترك ما لا تستطيع تغييره، وألا تمنح الماضي سلطةً على حاضرك ومستقبلك.

✍أولًا :نعمة النسيان من رحمة الله بالإنسان:

خلق الله الإنسان بطبيعة بشرية تتأثر بالأحداث، وتحفظ الذكريات، لكنها لا تبقى على درجة واحدة من التأثر طوال العمر .فالآلام تخف عند كثير من

الناس مع مرور الوقت، وتفقد بعض الذكريات المؤلمة حدتها، ويستطيع الإنسان أن يستعيد حياته بعد تجارب كان يظن أنه لن يتجاوزها.

وهذه القدرة على التكيف والتجاوز من نعم الله التي تستحق الشكر؛ إذ تمنح الإنسان فرصة للبدء من جديد، وإصلاح ما فسد، واستعادة الأمل بعد الحزن.

قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف٨٧ :].

فالمؤمن لا يحبس نفسه في ظلام اليأس، بل يحسن الرجاء بالله، ويعلم أن الأيام تتغير، وأن ما يمر به من ألم لا يلزم أن يظل حاكمًا على حياته إلى الأبد.

ومن الحكمة أن يدرك الإنسان أن بعض ما يؤلمه اليوم سيصبح غدًا تجربةً يتعلم منها، وأن بعض ما يظنه نهاية الطريق قد يكون بداية مرحلة أكثر نضجًا وقوة.

ثانيًا :القرآن الكريم يعلِّمنا العفو وترك الاستغراق في الإساءة:

قال الله تعالى:﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[النور٢٢ :].

هذه الآية الكريمة دعوة عظيمة إلى العفو والصفح، وتربية للنفس على ألا تجعل أخطاء الآخرين محور حياتها.

والعفو هو ترك المؤاخذة مع القدرة عليها، أما الصفح فيتضمن الإعراض عن اللوم والتثريب .وقد يكون من تمام الصفح أن يتجاوز الإنسان عن زلة عابرة، وألا يكرر الحديث عنها، وألا يستحضرها في كل خلاف جديد.

تأمل كيف ربط الله تعالى العفو والصفح برجاء مغفرته سبحانه؛ فالإنسان الذي يرجو رحمة الله ومغفرته ينبغي أن يجاهد نفسه حتى لا يكون أسير الغضب والانتقام.

لكن العفو لا يعني أن الظالم لا يُحاسَب، ولا أن المظلوم ممنوع من المطالبة بحقه؛ فقد شرع الله العدل، وأباح للمظلوم أن ينتصف لنفسه بالحق .وإنما المقصود أن يكون التجاوز فضيلةً يختارها الإنسان حيث يصلح، لا عبئًا يُفرض عليه في كل حال.

ثالثًا :التغافل عن صغائر الأمور من علامات الحكمة:

ليس كل خطأ يستحق العتاب، وليس كل كلمة عابرة تستحق القطيعة، وليس كل اختلاف في الرأي يحتاج إلى معركة.

وقد أحسن من قال:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيدَ قومه المتغابي

والمعنى المقصود هنا أن الحكيم لا يتوقف عند كل هفوة، ولا يفتش عن كل زلة، ولا يطالب الناس بالكمال في أقوالهم وأفعالهم؛ لأنه يعلم أن البشر يخطئون، وأن العلاقات لا تستقيم مع المحاسبة على كل صغيرة.

والتغافل المحمود ليس غفلةً عن الحقوق أو قبولًا بالإساءة المستمرة، بل هو حسن اختيار لما يستحق الاهتمام وما لا يستحقه.

فإذا صدر من صديقك كلام غير مقصود، أو نسي قريبك موعدًا، أو أخطأ زميلك في تعبير عابر، فقد يكون التجاوز أحيانًا أكرم للنفس وأحفظ للمودة من العتاب الطويل.

أما إذا تكرر الاعتداء، أو ترتب على السكوت ضرر، أو تعلق الأمر بحقوق واجبة، فالحكمة أن يعالج الإنسان المشكلة بوضوح وعدل، مع المحافظة على أدبه وكرامته.

رابعًا :النسيان يساعدك على التحرر من آلام الماضي:

كم من إنسان يفسد يومه بسبب موقف حدث قبل سنوات !يستيقظ فيتذكر من أساء إليه، ويجلس فيستعيد الكلمات التي جرحته، وينام وهو يعيد في ذهنه حوارًا انتهى منذ زمن بعيد.

وبذلك يعيش الألم مرتين :مرة حين وقع الحدث، ومرة حين يعيد استحضاره باستمرار.

ولا يعني هذا أن كل ذكرى مؤلمة يمكن نسيانها بمجرد اتخاذ القرار؛ فبعض التجارب تترك أثرًا عميقًا يحتاج إلى وقت، ودعم، وربما مساعدة متخصصة . لكن الإنسان يستطيع أن يتعلم تدريجيًّا ألا يجعل الذكرى تتحكم في كل تفاصيل حياته.

ومن الوسائل المعينة على ذلك: أن يعترف بألمه بدلًا من إنكاره.

أن يستخلص الدرس من التجربة دون أن يجلد نفسه باستمرار.

أن يتوقف عن إعادة المواقف القديمة في ذهنه كلما وجد فرصة لذلك.

أن يشغل وقته بأعمال نافعة وعلاقات صحية.

أن يستعين بالله بالدعاء والصلاة والذكر.

أن يطلب الدعم ممن يثق بهم إذا عجز عن تجاوز الألم وحده.

ليس المطلوب أن تنسى كل ما حدث، بل أن تصل إلى مرحلة لا يعود فيها كل ما حدث قادرًا على سرقة سلامك النفسي.

✍خامسًا: لا تجعل أخطاء الآخرين تسكن قلبك:

قال الله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾]الحجر.[٤٧ :

إنها صورة بديعة لنعيم القلوب حين تتطهر من الغل والحقد، فلا تحمل ضغينةً تفسد صفاءها.

وقد يكون من أعظم ما يقدمه الإنسان لنفسه أن يتوقف عن تغذية الكراهية، وأن يحرر قلبه من الرغبة الدائمة في الانتقام، وأن يدرك أن استمرار الحقد قد يرهقه هو، حتى لو لم يشعر من أساء إليه بأي شيء.

فإذا أساء إليك إنسان، فليس واجبًا عليك أن تحبه، ولا أن تعود إلى علاقة أضرت بك، ولكن يمكنك أن تختار ألا تجعل الإساءة مركز حياتك، وألا تسمح لصاحبها أن يظل حاضرًا في قلبك كل يوم.

وقد يكون أفضل قرار تتخذه هو أن تسامح من داخلك، وتضع حدودًا واضحة في التعامل، ثم تمضي في حياتك دون خصومة مستمرة أو انتقام.

سادسًا: لا تنسَ دروس الماضي وأنت تتجاوز آلامه: من الأخطاء أن يظن الإنسان أن السعادة تقتضي نسيان كل شيء؛ فهناك ذكريات ينبغي أن تبقى لأنها تعلمنا، وتجارب ينبغي أن نتذكرها حتى لا نكرر أخطاءنا.

تذكر من وقف بجانبك وقت الشدة، واحفظ معروف من أحسن إليك، وتعلم من المواقف التي كشفت لك حقيقة بعض العلاقات، وانتفع بأخطائك السابقة في تحسين اختياراتك.

أما ما ينبغي أن تتجاوزه فهو الاستغراق في الندم على ما فات، وتكرار اللوم للنفس بعد التوبة والإصلاح، واستحضار الإساءة بلا غاية نافعة، ومقارنة حاضرك بماضٍ لا تستطيع استعادته.

وقد لخَّصت هذه الحكمة الطريق إلى التوازن: تذكَّر لتتعلم، وتجاوز لتستريح، وتسامح حين تستطيع، واحفظ حقوقك بالحكمة والعدل.

خطوات عملية لتعيش سعيدًا دون أن تكون أسيرًا للماضي: إذا أردت أن تجعل النسيان والتغافل من مفاتيح سعادتك، فابدأ بهذه الخطوات:

✍**لا تستحضر كل إساءة قديمة :اسأل نفسك** :هل يفيدني التفكير فيها الآن، أم يزيد ألمي فقط؟

✍**فرِّق بين الدرس والجرح** :احتفظ بالعبرة التي تحميك من تكرار الخطأ، واترك الاستغراق في الألم ما استطعت.

✍**لا تبحث عن الكمال في الناس** :تقبَّل الهفوات البشرية التي لا يترتب عليها ضرر حقيقي.

✍**تعلَّم الاعتذار والتسامح** :فقد تكون أنت أيضًا أخطأت في حق غيرك، كما أخطأ الآخرون في حقك.

✍**ضع حدودًا صحية** :تجاوز الإساءة لا يعني أن تسمح بتكرارها أو أن تتنازل عن حقوقك.

✍**عش الحاضر** :امنح وقتك لأهلك، وعملك، وعبادتك، وأهدافك بدلًا من إهداره في خصومات انتهت.

✍**استعن بالله واطلب المساعدة عند الحاجة** :إذا ظلت الذكريات تؤلمك بشدة أو عطلت حياتك، فلا تتردد في طلب الدعم المناسب.

✍**دع الماضي يمضي، وافتح قلبك للحياة**: أيها القارئ الكريم، إن العمر أقصر من أن ننفقه في استعادة كل كلمة جارحة، ومراجعة كل خلاف قديم، وانتظار

اعتذار قد لا يأتي .وليس من الحكمة أن نسمح لأشخاص أساؤوا إلينا في الماضي بأن يحرمونا راحة الحاضر وجمال المستقبل.

تعلَّم أن تتجاوز ما يمكن تجاوزه، وأن تعفو حين يكون العفو خيرًا، وأن تتغافل عن الهفوات الصغيرة، وأن تحفظ حقوقك دون حقد، وأن تتذكر من الماضي ما ينفعك، لا ما يرهقك.

قال عائض القرني : إن الذي يعودُ للماضي، كالذي يطحنُ الطحين وهو مطحونٌ أصلاً، وكالذي ينشرُ نشارةُ الخشبِ. وقديماً قالوا لمن يبكي على الماضي: لا تخرج الأموات من قبورهم، وقد ذكر من يتحدثُ على ألسنةِ البهائمِ أنهمْ قالوا للحمارِ: لمَ لا تجترُّ؟ قال: أكرهُ الكذِب.

إن بلاءنا أننا نعْجزُ عن حاضِرنا ونشتغلُ بماضينا، نهملُ قصورنا الجميلة، ونندبُ الأطلال البالية، ولئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على إعادةِ ما مضى لما استطاعوا؛ لأن هذا هو المحالُ بعينه.

إن الناس لا ينظرون إلى الوراءِ ولا يلتفتون إلى الخلفِ؛ لأنَّ الرِّيح تتجهُ إلى الأمامِ والماءُ ينحدرُ إلى الأمامِ، والقافلةُ تسيرُ إلى الأمامِ، فلا تخالفْ سُنّة الحياة.. (١)

ولا تُحمِّل قلبك فوق طاقته؛ فما فات لا يعود، وما لا تستطيع تغييره لا يستحق أن يستولي على عمرك كله .

---

١ – لا تحزن (ص: ٣٥)

خذ من تجاربك الحكمة، ومن آلامك النضج، ومن أخطائك العبرة، ثم توكل على الله وامضِ في طريقك.

فمن مفاتيح السعادة أن تتعلم كيف تترك بعض الأشياء خلفك، لا لأنك ضعيف، بل لأن عمرك أثمن من أن تهدره في كل ما يؤلمك

قال ابن القيم – رحمه الله– ومِنْ أعجب النِّعم عليه نعمةُ النِّسيان؛ فإنه لولا النِّسيانُ لما سَلَا شيئًا، ولا انقضت له حسرة، ولا تعزَّى عن مصيبة، ولا مات له حُزن، ولا بَطَل له حِقْد، ولا استمتع بشيءٍ من متاع الدُّنيا مع تذكُّر الآفات، ولا رجا غفلةً من عدوِّه ولا فترةً من حاسده.

فتأمَّل نعمة الله عليه في الحفظ والنِّسيان مع اختلافهما وتضادِّهما وجعَل له في كلِّ واحدٍ منهما ضربًا من المصلحة. (١)

****

[١] – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٧).

الفصل الثالث: أسباب السعادة في الحياة والعلاقات

في زحمة الحياة المعمارية والصاخبة، قد يظن البعض أن السعادة تُختزل في المكتسبات المادية أو الإنجازات المتتالية؛ غير أن التجارب الإنسانية والبحوث النفسية الطويلة تثبت باستمرار أن الكنز الحقيقي يكمن في جودة أرواحنا وفي عمق العلاقات التي نحيط أنفسنا بها. فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي، لا تنمو طاقته الإيجابية ولا تكتمل طمأنينته إلا بالحب، والانتماء، والمشاركة الصادقة. يأتي هذا الفصل ليغوص في الأعماق، باحثًا عن الجذور الحقيقية للسعادة الفردية والجماعية. سنستكشف معا كيف يمكن للرضا الداخلي، والامتنان، والوعي باللحظة أن تصنع بهجة الحياة اليومية، وكيف تتحول العلاقات الإنسانية -العائلية منها والصداقات والشراكات العاطفية- إلى الملاذ الآمن الذي يقيه عواصف الأيام. لن نقف عند حدود النظريات، بل سنفتح نوافذ عملية نحو حياة أصفى، وعلائق أعمق، وقلوب أكثر استعداداً للسلام والسعادة.

أولا: بر الوالدين

أخي المسلم – اعلم أسعدني الله وإياك-: أن برّ الوالدين يُعدّ من أعظم مفاتيح السعادة الحقيقية في الحياة، فهو ليس مجرد واجب أخلاقي أو ديني، بل مصدر عميق للرضا النفسي والطمأنينة الداخلية والاستقرار العاطفي. فالوالدان هما أول من منحنا الحب والرعاية، وبرّهما يُعيد إلينا هذا الحب مضاعفًا، ويغرس في نفوسنا شعورًا بالامتنان والانتماء الذي لا يعوّضه شيء.

عندما يُحسن الإنسان إلى والديه بالكلمة الطيبة، والرعاية، والدعاء، والصبر على ضعفهما أو كبر سنّهما، فإنه يزرع في قلبه سلامًا لا يُضاهى. هذا الإحسان يحرّر النفس من ثقل التقصير والندم، ويملأها بالرضا عن الذات، ويُقوّي الروابط الأسرية التي تُعدّ من أقوى دعائم السعادة في العلاقات. كما أن برّ الوالدين يعلّمنا التواضع والصبر والعطاء غير المشروط، وهي صفات تنعكس إيجابًا على علاقتنا بالآخرين وتجعلنا أكثر قدرة على بناء علاقات صحية ومستقرة.

ومن الناحية النفسية، يُثبت أن الحفاظ على علاقة طيبة مع الوالدين يرتبط بمستويات أعلى من السعادة والرفاهية، ويقلّل من مشاعر الوحدة والقلق. فالعطاء للوالدين لا يقتصر أثره عليهما، بل يعود على صاحبه بالسكينة والبركة في العمر والعمل والعلاقات.

برّ الوالدين إذًا ليس فقط مفتاحًا لرضا الله ودخول الجنة، بل هو أيضًا مفتاح عملي للسعادة في الدنيا: سعادة القلب، وسكينة النفس، وقوة الروابط الأسرية التي تُضيء حياتنا وتُثري علاقاتنا.

أثر بر الوالدين في تحقيق السعادة النفسية والروحية

بر الوالدين نجاة من سخط الله:

أخي المسلم، هل تريد رضا الله تعالى؟ هل تريد النجاة من غضب الله ومن سخطه جل في علاه؟

الجواب: عليك برضا الوالدين، فثم رضا الله تعالى؛ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: ((رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ)) (١) .

والحديث فيه دلالة على أنه يجب على الولد الوقوف على حال الذي يرضاه الوالدان ولا يسخطهما؛ ففي ذلك سخط الله سبحانه وتعالى، فيقدم رضاهما على فعل ما يجب عليه إذا كان من فروض الكفاية، كما ثبت في حديث ابن عمرو في الرجل الذي جاء يستأذن النبي ﷺ للجهاد، فقال له النبي ﷺ: ((أحَيٌّ والداك؟))، قال: نعم، قال: ((ففيهما فجاهد))، وفي رواية: ((ارجع إليهما، ففيهما المجاهدة)) (٢) .

والظاهر أن "في" في قوله: "في رضا الوالدين" للسببية، بمعنى: أن رضا الوالدين سبب رضا الله، وسخط الوالدين سبب لسخط الله، والرضا معروف؛ أن يكون الإنسان مطمئنًا بالشيء، منشرحًا به صدره، وغير ذلك، فإذا أطعت والدك أو والدتك تطمئن به نفسه، ويشرح له صدره، فهذا هو سبب الرضا، والمراد بالوالدين: الأم والأب، وهما أحقُّ الناس بالبر.

الفوز بدعائهما والنجاة من الدعاء عليك:

اعلم - بارك الله فيك - أن دعوة الوالدين مستجابة، سواء كانت بالخير أم بالشر بسبب العقوق، دعوات الوالدين حافظات منجيات في وقت المحن؛ روى البخاري (في الأدب المفرد) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

---

١ -الصحيحة" (٥١٦) "التعليق الرغيب" (٣/ ٢١٨).

٢ -البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٢١٠).

قَالَ: ((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)) (١).

يحتمل أن تكون دعوته لمن أحسن إليه، وبالشر لمن آذاه وأساء إليه؛ لأن دعاءه لا يخلو عن الرقة، ودعوة الوالد على ولده.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاثَةٌ: عِيسى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْه، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ! لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ، وَكَلَّمَتْهُ، فَأَبى، فَأَتَتْ رَاعِيًا، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ، وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتى الغُلامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لا، إِلَّا مِنْ طِينٍ)) (٢)

بر الوالدين نجاة من تعجيل عقوبة العاق لوالديه في الدنيا قبل الآخرة:

واحذر أخي المسلم من عقوق والديك؛ لأن العقوق دين وكيل، فكما تدين تُدان، وبالكيل الذي تكيل به تكتال؛ عنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((اثْنَتَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ)) (٣)

.

قال الصنعاني: «تعجيل العقوبة في الدُّنيا دليلُ غضب الربِّ على المعصية، وسرعة انتقامه من فاعلها، وعقوبة الآخرة، وإن كانت أشدَّ إلَّا أنَّها دار الرَّحمة

---

١ –(صحيح الجامع؛ للألباني، حديث ٢٨١٠).

٢ –أخرجه أحمد (٢/٣٠٨، رقم ٨٠٥٨)، والبخاري (٣/١٢٦٨، رقم ٣٢٥٣)، ومسلم (٤/١٩٧٦، رقم ٢٥٥٠).

٣ –رواه البخاري في التاريخ (٤٩٤)، وكنز العمال (٤٥٤٥٨)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (١٣٧).

ودار الشَّفاعات، فَرُبَّ ذنبٍ فيها يُغفَر، وجُرم فيها يُكَفَّر، وحسنات ترجح، فتعجيل العقوبة دليل أنَّه لا يُكَفِّرها إلَّا التَّوبة، ثمَّ في تعجيل عقوبة العقوق زجرٌ للعباد عن ذلك، فهو لطف لعلَّهم ينزجِرون به عن العُقوق، وقد يكون سببًا لتوبة العَاق عن عقوقه، وتلافيه مما ارتكب من ذلك»(١)

قال الأصمعيُّ (رحمه الله): حدَّثني رجلٌ مِن الأعراب، قال: خرجت من الحيِّ أطلب أعقَّ الناس، وأبرَّ الناس، فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو، لا تطيقه الإبل في الهاجرة، والحر شديد، وخلفه شابٌّ في يده رشاء (الحبل) من قدٍّ (جلد مدبوغ) ملوي يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتَّقي الله في هذا الشيخ الضعيف

أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟

قال: إنه مع هذا أبي، قلت: فلا جزاك الله خيرًا.

قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجدِّه، فقلت: هذا أعقُّ الناس (٢) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوق)) (٣) .

كيف يكون بر الوالدين في حياتنا اليومية؟ لا يحتاج البر دائمًا إلى أموال كثيرة أو أعمال عظيمة، بل قد يتحقق بأمور يسيرة تتكرر كل يوم، ومنها:

---

١ – التنوير شرح الجامع الصغير ٨: ١٥٦ ـ١٥٧

٢ –مساوئ الأخلاق؛ للخرائطي، صـ ٢٥٢.

٣ –رواه الحاكم في "المستدرك" (٧٣٥٠)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٢٨١٠)، والصحيحة (١١٢٠).

- الكلمة الطيبة: أن يخاطبهما الإنسان بلطف واحترام، وألا يرفع صوته عليهما أو يجرح مشاعرهما.

- السؤال والزيارة: أن يتفقد أحوالهما، ويطمئن على صحتهما، ولا يتركهما فريسة للوحدة والإهمال.

- الخدمة وقضاء الحوائج: أن يبادر إلى مساعدتهما، ولا يشعرهما بأن خدمتهما عبء ثقيل عليه.

- النفقة عند الحاجة: أن يساعدهما بما يستطيع إذا احتاجا إلى المال، مع مراعاة الحقوق والواجبات.

- الصبر عند الكبر والمرض: أن يتذكر ضعفه في طفولته، فيقابل ضعفهما بالرحمة والرفق.

- الدعاء لهما: أن يكثر من الدعاء، وخاصة بعد وفاتهما، بالرحمة والمغفرة.

- إكرام أصدقائهما وصلة أرحامهما: وفاءً لهما وحفظًا لما كان لهما من علاقات وحقوق.

قال الله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٤].

وهذا الدعاء يذكّر الإنسان بأن البر لا يقف عند حدود الخدمة الظاهرة، بل يشمل الرحمة الصادقة، والوفاء، والاعتراف بالجميل.

ثانيا صلة الرحم

اعلم -زادك الله علما -: أنَّ السعادة التي ينشدها الإنسان ليست في كثرة المال وحده، ولا في علوِّ المنصب، ولا في امتلاك أسباب الرفاهية، وإنما من أعظم أسبابها أن يعيش الإنسان بقلب مطمئن، ونفس راضية، وعلاقات إنسانية

يسودها الحب والرحمة والوفاء .ومن أعظم مفاتيح هذه السعادة صِلَةُ الأَرْحَامِ؛ فهي عبادة عظيمة، وطاعة جليلة، وسبب للبركة في الرزق والعمر، وبها تتآلف القلوب، وتقوى الروابط الأسرية، وتزول كثير من أسباب الوحشة والخصام.

إنَّ الإنسان لا يعيش وحده في هذه الحياة، بل تحيط به أسرة، ويجمعه بأقاربه نسبٌ وحقوق، جعلها الإسلام أمانةً ومسؤولية .فالأب والأم، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وسائر الأقارب، لهم حقوق لا ينبغي أن تُنسى بسبب مشاغل الحياة، ولا أن تُهدر بسبب خلاف عابر أو نزاع على مال أو ميراث.

وما أجمل أن يجد المرء أخاه يسأل عنه إذا غاب، ويعوده إذا مرض، ويواسيه إذا حزن، ويعينه إذا احتاج، ويفرح لفرحه، ويحزن لحزنه !وما أعظم أن يدخل الإنسان بيته فيجد فيه قلوبًا تحبه، وألسنةً تدعو له، وأيديَ تمتد إليه بالخير والإحسان !إن هذه المعاني تمنح الحياة طعمًا آخر، وتغرس في النفس شعورًا بالأمان والانتماء، وتجعل الإنسان يشعر بأنه ليس وحيدًا في مواجهة أعباء الدنيا.

التوفيق والسداد والبعد عن الخذلان: فقد استدلت السيدة الرشيدة خديجة – رضي الله عنها–على حماية وتوفيق الله تعالى لنبيه بأفعاله الكريمة التي منها صلة الرحم.

ولهذا كان النبي ﷺ– أوصل الناس لرحمه كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها له: ((...فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ

لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتَ بِهِ خَدِيجَةُ...)) (متفق عليه). (١)

صلة الأرحام شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن:

إذا أردت أن يكون معك شهادة ضمان لدخول جنة عرضها السماوات والأرض فعليك بالوصفة النبوية

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» (٢)

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه عن النبي - ﷺ- أنه قال: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)) (٣)

صلة الأرحام من أحب الأعمال عند الكبير المتعال:

و علم انك لن تصل إلى محبة الله إلا بطاعته و محبة ما يحب جل جلاله عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَ: «نَعَمْ».

---

١ – أخرجه البخاري في: ١ كتاب بدء الوحى: ٣ باب حدثنا يحيى ابن بكير

٢ – أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٩)، ومسلم (١٣) (١٢)، وأبو عوانة (٣)، والشاشي في "مسنده" (١١٢٤ – ١١٢٧)،

٣ – أخرجه الترمذي، وابن ماجه رقم (١٣٣٥٣٢٥١) وغيرهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل تحت الحديث رقم (٧٧)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٥٦٩).

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟

قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ؟

قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟

قَالَ: «ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ»

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ» (١)

✍ **إعانة الله الواصل على من قطعه:** أخي المسلم إذا أردت أن يكون الله تعالى في عونك و ناصرك و حاميك على من ظلمك من ذوي أرحامك فعليك بصلة من قطعك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، قَالَ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (مسلم). (٢)

أي: إن كنت كما قلت إنك تصلهم وهم يقطعونك وتحسن إليهم وهم يسيئون إليك، وتحلم عن جهلهم وعن سخطهم وعن شتمهم وهم يجهلون ويسيئون إليك؛ فكأنك تحط في فم هؤلاء الرماد الحار؛ ولا شيء عليك؛ لأنك تحسن إليهم.

---

١ – أبو يعلى (٢٢٩/١٢) (٦٨٣٩) . صَحِيح الْجَامِع: ١٦٦، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب:

٢ – أخرجه مسلم (١٩٨٢/٤، رقم ٢٥٥٨) ، وابن حبان (١٩٥/٢، رقم ٤٥٠) .

فلا تدع فرصة لهؤلاء إن يقولوا عنك بأنك قاطع للرحم، ولا تضيع على نفسك ثواباً عند الله تبارك وتعالى.

فالمفترض في الإنسان المسلم أن يتعامل مع الله سبحانه ولم ينتظر إلى إحسان الناس.

✍ صلة الأرحام علامة من علامات الإيمان بالله و اليوم الآخر : إخوة الإسلام للإيمان دلائل و براهين تدل على مدى إيمان صاحبه و من تلك الدلائل صلة الأرحام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه). (١)

✍ صلة الرحم من صفات أصحاب أولي الألباب:

الذين وعدهم الله تعالى بجنته و دار كرامته، قال الله تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ } (

قال ابن كثير –رحمه الله– ((والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)) من صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف))

---

١ – أخرجه: البخاري ٨/ ٣٩ (٦١٣٨)، ومسلم ١/ ٤٩ (٤٧) (٧٤).

✍ **الصدقة على ذي الرحم: اثنتان**:و علموا أن الصدقة تضاعف لمن وصل رحمه عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ " (١)

✍**صلة الأرحام تُدخل السرور على القلوب**: إنَّ زيارة قريب، أو مكالمة أخ، أو السؤال عن عمة مسنَّة، أو تفقد خال مريض، أو مساعدة أسرة محتاجة من الأقارب، قد تكون أعمالًا يسيرة في أعين الناس، لكنها عظيمة الأثر في النفوس.

فكم من إنسان أثقلته الهموم، ثم جاءت زيارة من قريب فأدخلت السرور إلى قلبه !وكم من مسنٍّ يعيش وحيدًا، لا ينتظر من الدنيا إلا أن يتذكره أبناؤه وأقاربه !وكم من أسرة تمر بضائقة مالية، فيكون سؤال قريب عنها ومساعدته لها سببًا في تفريج كربتها وحفظ كرامتها!

إنَّ صلة الرحم تجعل الإنسان مصدرًا للرحمة والفرح، وتُشعره بلذة العطاء، وتخرجه من دائرة الانشغال بنفسه إلى رحابة الاهتمام بالآخرين.

وليس المقصود أن تكون صلة الرحم في الأعياد والمناسبات وحدها، بل أن تتحول إلى خُلُق دائم، وسلوك متكرر، ووفاء لا تنقطع جذوره بانتهاء المناسبة.

✍**صلة الرحم علاج للوحشة والعداوة**: من أسباب الشقاء أن يعيش الإنسان أسير الخصومات، يحمل في صدره الحقد على أخيه، ويقاطع عمَّه، ويهجر خاله، ويخاصم أبناء عمومته سنوات طويلة بسبب خلاف على مال أو كلمة أو موقف.

---

١ – مسلم: (٢/ ٦٩٤ –٦٩٥) (١٢) كتاب الزكاة (١٤) باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين –رقم (٤٥).

وقد تمر السنوات، ويكبر الأبناء، ويرحل بعض الأحباب، ثم يكتشف المتخاصمون أنَّ كثيرًا مما اختلفوا عليه لم يكن يستحق تلك القطيعة الطويلة.

أما صلة الرحم فتفتح أبواب المصالحة، وتخفف حدة الخصام، وتمنح الإنسان فرصة لإصلاح ما فسد من العلاقات.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». (١)

أي: قاطع رحم، كما بيَّن العلماء في شرح الحديث.

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على إصلاح ذات البين، وألا يسمح للخلافات المالية أو الشخصية بأن تمحو حقوق القرابة، وأن يتذكر أنَّ التسامح والعفو من أسباب راحة القلب، وأنَّ المبادرة بالصلح ليست ضعفًا، بل قوة في الإيمان ونبل في الأخلاق.

✍صلة الرحم الحقيقية ليست مجرد ردِّ الجميل: قد يصل الإنسان أقاربه ما داموا يصلونه، ويزورهم ما داموا يزورونه، ويهدي إليهم ما داموا يهدون إليه، فإذا انقطعوا عنه انقطع عنهم.

لكن النبي ﷺوضع لنا معيارًا أرفع لصلة الرحم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رواه البخاري.(٢)

١-أخرجه البخاري (١٠/ ٤١٥)، ٧٨ – كتاب: الأدب، ١١ – باب: إثم القاطع رقم (٥٩٨٤)، عن جبير بن مطعم، ومسلم (٤/ ١٩٨١، ١٩٨٢)، ٤٥ – كتاب: البر والصلة، والآداب، ٦ – باب: صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، رقم ١٨، (٢٥٥٦)، عن جبير بن مطعم. وعبد الرزاق (١١/ ١٧٣)، باب: صلة الرحم رقم (٢٠٢٣٨)

٢-البخاري (١٠/ ٤٢٣ رقم ٥٩٩١).

فليس الواصل كامل الصلة هو الذي يردُّ الزيارة بزيارة، والهدية بهدية، والإحسان بمثله فحسب، وإنما صاحب الفضل هو الذي يبادر بالصلة، ويصبر على الجفاء، ويسعى إلى الإصلاح ما استطاع.

وهذا لا يعني أن يعرِّض الإنسان نفسه للأذى أو أن يسمح للآخرين بالاعتداء عليه، بل يستطيع أن يحافظ على أصل الصلة بالسلام والسؤال والكلمة الطيبة والمساعدة الممكنة، مع وضع الحدود التي تحفظ الحقوق وتمنع الضرر.

صور عملية لصلة الأرحام في حياتنا:

ليست صلة الرحم أمرًا شاقًّا يحتاج إلى أموال طائلة أو أوقات طويلة، بل تتحقق بصور كثيرة، منها:

١-**السؤال عن الأقارب**: بالزيارة أو الاتصال أو الرسالة، ولا سيما كبار السن والمرضى ومن يعيشون وحدهم.

٢-**الإحسان إلى المحتاج منهم**: بتقديم المال أو الطعام أو المساعدة المناسبة، مع حفظ كرامتهم وعدم إشعارهم بالمنِّ.

٣-**عيادة المريض ومواساة الحزين**: والوقوف مع الأقارب في الشدائد قبل الأفراح.

٤-إصلاح ذات البين: والسعي إلى المصالحة بين الإخوة والأقارب، وعدم نقل الكلام الذي يزيد الخصومة.

٥-**العفو عن الزلات**: وعدم تضخيم الأخطاء الصغيرة، وتذكر المحاسن بدلًا من استحضار العيوب.

٦-**صلة الرحم بعد وفاة الأقارب** :بالدعاء لهم، والوفاء بعهودهم المشروعة، والإحسان إلى من كانوا يحبونهم من الأقارب والأصدقاء.

٧-**تربية الأبناء على صلة الرحم** :حتى ينشؤوا وهم يعرفون أعمامهم وأخوالهم وأبناء عمومتهم، ويقدِّرون الروابط الأسرية.

كيف نجعل صلة الأرحام طريقًا إلى السعادة؟

لكي تصبح صلة الرحم مفتاحًا حقيقيًّا للسعادة، ينبغي أن نبدأ بخطوات عملية:

- ضع برنامجًا دوريًّا للسؤال عن الأقارب، ولو باتصال قصير كل أسبوع.
- بادر بمصالحة من بينك وبينه خلاف، إن أمكن ذلك بأمان وحكمة.
- خصِّص جزءًا من وقتك ومالك للإحسان إلى الأقارب المحتاجين.
- لا تجعل انتظار المبادرة من الآخرين سببًا في حرمان نفسك من أجر الصلة.

إنَّ السعيد حقًّا ليس من خلا من المشكلات العائلية تمامًا، فهذا قد لا يتيسر لكل إنسان، وإنما من أحسن التعامل معها، وأدَّى الحقوق ما استطاع، ولم يجعل خلافًا عابرًا يفسد عليه دينه أو يملأ قلبه بالحقد والكراهية.

رابعا: الصحبة الصالحة

إنَّ من أعظم مفاتيح السعادة في حياة الإنسان أن يرزقه الله تعالى صحبةً صالحةً تأخذ بيده إلى الخير، وتعينه على الطاعة، وتذكِّره إذا نسي، وتنصحه إذا أخطأ، وتثبِّته إذا ضعفت عزيمته؛ فالصاحب ليس مجرد رفيقٍ نقضي معه أوقاتنا، بل هو مؤثِّر في أفكارنا وأخلاقنا وسلوكنا، وقد يكون سببًا في صلاح حياتنا وفلاح آخرتنا.

وكم من إنسانٍ تبدَّلت حياته من الشقاء إلى السعادة حين وجد صديقًا صالحًا يرشده إلى طريق الله، ويعينه على تجاوز المحن، ويخفِّف عنه هموم الحياة بكلمة طيبة وموقف نبيل !وكم من إنسانٍ أضاع طمأنينة قلبه، وفسدت أخلاقه، وتعثَّرت خطواته بسبب صحبة السوء التي زيَّنت له المعصية، وهوَّنت عليه الذنوب، وأبعدته عن طريق الاستقامة.

ولذلك لم يترك الإسلام أمر الصحبة للمصادفة، بل وجَّه المسلم إلى اختيار رفقائه بعناية؛ لأنَّ الإنسان يتأثَّر بمن يجالسهم، ويكتسب من طباعهم وأخلاقهم، ويجد في صحبتهم إما عونًا على الخير، وإما بابًا من أبواب الشر.

أولًا :الصحبة الصالحة في القرآن الكريم:

حثَّ الله تعالى عباده على ملازمة أهل الإيمان والصدق، فقال سبحانه:

قال الله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩].

تأمَّل كيف أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين؛ لأنَّ صحبتهم تُعين على التقوى، وتُربِّي النفس على الصدق والإخلاص، وتُذكِّر القلب برقابة الله تعالى.

وقال سبحانه مخاطبًا نبيه ﷺ وهو خطاب تتضمَّن دلالته توجيهًا للمؤمنين:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[الكهف[٢٨ :].

إنها دعوة إلى ملازمة أهل العبادة والإخلاص، الذين لا يبتغون بعملهم إلا رضا الله تعالى؛ فمجالستهم تُرقِّق القلوب، وتُذكِّر بالآخرة، وتُعين على الثبات أمام مغريات الدنيا.

كم من أخٍ لكَ لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صافِ الكرام إذا أردت إخاءهم واعلم بأن أخا الحِفَاظِ أخوكا
كم إخوةٍ لك لم يلدك أبوهُم وكأنما آباؤهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة تخشى الحُتوف بها لما خذلوكا
وأقاربٍ لو أبصروك معلقًا بنياط قلبك ثَمَّ مَا نصروكا
الناسُ مَا استغنيت كنتَ أخًا لهم وإذا افتقرت إليهمُ فضحوكا

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (مثل الجليس الصالح ومثل جليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة) (١)

وضرب النبي ﷺ هذا المثل البليغ ليبيِّن أنَّ الصاحب الصالح يعود على جليسه بالنفع، كما ينتفع الإنسان بحامل المسك، إما أن يهديه، وإما أن يشتري منه، وإما أن يجد منه ريحًا طيبة .أما جليس السوء فقد يصيبه من أذاه وضرره ما يصيب من يجالس نافخ الكير.

فالصاحب الصالح قد يمنحك علمًا نافعًا، أو نصيحة صادقة، أو دعوة بظهر الغيب، أو موقفًا يرفع معنوياتك، أو تذكيرًا يعيدك إلى الطريق الصحيح.

---

١ – صحيح ابن حبان (٢/ ٣٢٠)

خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا تبه الخليل على الغير

يقول محمد بن واسع: لم يبق من العيش إلا ثلاث: الصلوات الخمس يصليهن فِي الجميع فيعطى فضلهن ويكفي شرهن، وجليس صالح تفيده خيرا ويفيدك خيرا، وكفاف من العيش ليس لأحد عليك فيه منة ولا يخاف من اللَّه فيه التبعة. (١)

ثالثًا: كيف تكون الصحبة الصالحة سببًا للسعادة؟

١- لأنها تعين على طاعة الله.

فإذا رأيت صاحبك محافظًا على الصلاة، حريصًا على القرآن، مجتنبًا للحرام، دفعك ذلك إلى الاقتداء به ومنافسته في الخير، بدلًا من أن تعيش وحيدًا أمام الفتن والشهوات.

٢- لأنها تخفف الهموم والأحزان.

الصديق الصالح لا يتركك فريسةً لليأس، بل يواسيك عند المصائب، ويذكِّرك بقدر الله وحكمته، ويعينك على الصبر، ويفتح أمامك أبواب الأمل والعمل.

٣- لأنها تمنحك النصيحة الصادقة.

ليس الصديق الحقيقي من يوافقك في كل شيء، وإنما هو من ينصحك إذا أخطأت، وينبِّهك إذا غفلت، ويستر عيبك، ولا يستغل ضعفك أو حاجتك.

٤- لأنها تحميك من الانحراف.

---

١ -تاريخ دمشق.

قد ينجو الإنسان من فتنة عظيمة بسبب صديق صالح نصحه في الوقت المناسب، أو صرفه عن رفقة سيئة، أو ذكَّره بعاقبة المعصية.

٥-لأنها تمنح الحياة معنى جميلًا.

فمن السعادة أن تجد من يفرح لفرحك، ويحزن لحزنك، ويحب لك الخير كما يحبه لنفسه، ولا يحسدك على نعمة، ولا يشمت بك عند ابتلاء.

دخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل ، فقال له مالك : كف يدك حتى يجئ صاحب البيت ، فلم يلتف محمد إلى قوله ، وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال : يا ويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الإنبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال تعالى (أو صديقكم) وقال (أو ما ملكتم مفاتحة) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد (١)

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : لابن أخيه ، لأن يرى ثوبك على صاحبك أحسن من أن يرى عليك ، ولأن ترى دابتك تحت صاحبك أحسن من أن ترى تحتك . (٢)

وقال الحسن البصري – رحمه الله لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة(٣) .

---

١ – إحياء علوم الدين جـ٢ ص١٩٠.

٢ – كتاب قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا رقم ٢١

٣ – كتاب قضاء الحوائج رقم ٣٧

سعادتك تبدأ بمن تجالس:

يا طالب السعادة، انظر إلى أصحابك؛ فإنَّ صحبتهم تترك أثرًا في قلبك، وفي أفكارك، وفي عبادتك، وفي قراراتك. ابحث عن الصاحب الذي إذا رأيته ذكَّرك بالله، وإذا تحدثت معه ازددت علمًا وحكمة، وإذا ضاقت بك الدنيا وجدت عنده مواساةً صادقة، وإذا ضعفت عزيمتك أعانك على النهوض.

ولا تنسَ أن تكون أنت ذلك الصاحب لغيرك؛ فكما تبحث عن إنسان يزرع السعادة في قلبك، ازرع أنت الأمل في قلوب الآخرين، وكن عونًا لهم على الخير، وسببًا في طمأنينتهم.

فالسعادة ليست في كثرة الأصدقاء، وإنما في صدق الصحبة، ونبل المواقف، والتعاون على البر والتقوى.

فعن عبادة بن الصامت (رضي اله عنه) قال : سمعت النبي ﷺ قال الله تعالى : حقت محبتي للمتباذلين في . (١)

عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) وسعد بن الربيع (رضي الله عنه) .

لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة آخي بين المهاجرين والأنصار آخي بين سعد بن الربيع الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف المهاجري، فتأمل إلى حرص عبد الرحمن بن عوف على البذل والسخاء ومواساة الأخوة

إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ

---

١ – سبق تخرجه

بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ مهيم قال تزوجت قال كم سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب شك إبراهيم. (١).

جاء الفتح الموصلي إلى صديق له يقال له عيسي التمار، فلم يجده في المنزل فقال للخادم: أخرجي إلي كيس أخي، فأخرجته له فأخذ درهمين وجاء عيسي منزله فأخبرته الخادمة بمجيء فتح وأخذ الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت. (٢).

✍رياح السماحة: يحكى انه كان هناك صاحبان يمشيان في الصحراء وفي أثناء سيرهما، اختصما!

فصفع أحدهما الآخر فتألم الصاحب لصفعة صاحبه فسكت ولم يتكلم بل كتب على الرمل

[اليوم اعز أصحابي صفعني على وجهي]

---

١ – وأخرجه البخاري ح ٣٧٨٠، وأخرجه مسلم في ١٦ كتاب النكاح ١٢

٢ – كتاب الإخوان. رقم ١٦٢، و المتحابين في الله – (رقم ١٠٠)و تاريخ بغداد – (٣ / ٢٢٧)

وواصلا المسير ووجدا واحة فقررا أن يستحما في الماء .... ولكن الذي انصفع وتألم من صاحبه

غرق أثناء السباحة فأنقذه صاحبه الذي صفعه ولما أفاق من الغرق ابتسم ثم قام ونحت على الصخر [اليوم اعز أصحابي أنقذ حياتي]

فسأله صاحبه: عندما صفعتك كتبت على الرمل ...!

لكن عندما أنقذت حياتك من الغرق كتبت على الحجر.

فلماذا؟

فأبتسم وأجابه:

عندما يجرحنا من نحب علينا أن نكتب ما حدث على الرمل لتمسحها رياح التسامح والغفران

ولكن عندما يعمل الحبيب شيء رائع علينا أن ننحته على الصخر حتى يبقى في ذاكرة القلب حيث لا رياح تمحوه

رابعا: الإحسان إلى الناس

اعلم-بارك الله فيك -أن من أعظم مفاتيح السعادة التي يغفل عنها كثير من الناس أن يجعل الإنسان حياته بابًا للخير، ويدَه ممتدةً بالعطاء، وقلبه مملوءًا بالرحمة، ولسانه عامرًا بالكلمة الطيبة. فالإحسان إلى الناس ليس مجرد خُلُق

كريم يتحلَّى به الإنسان، بل هو عبادة عظيمة يتقرَّب بها إلى الله تعالى، وسبب من أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وبركة العمر، ومحبة الخلق.

وما أجمل أن يستيقظ الإنسان كلَّ صباح وهو يحمل في قلبه نيةً صالحة، فيسأل نفسه: مَن الذي أستطيع أن أُدخل السرور على قلبه اليوم؟ ومَن الذي أستطيع أن أُخفِّف عنه همًّا، أو أقضي له حاجة، أو أواسيه في مصيبة، أو أدلَّه على خير؟ إنَّ هذا التفكير ينقل الإنسان من دائرة الانشغال بنفسه وحدها إلى رحابة العطاء والإحسان.

والعجيب أنَّ الإنسان قد يظن أنَّ السعادة في كثرة ما يملك، ولكنَّه يكتشف مع مرور الأيام أنَّ من أطيب لحظات حياته تلك اللحظة التي يرى فيها أثر إحسانه على وجه محتاج، أو يسمع دعوة صادقة من قلب مكلوم، أو يشعر أنَّه كان سببًا في تفريج كربة إنسان.

فالسعادة الحقيقية ليست في أن تعيش لنفسك وحدك، بل في أن تعيش حياةً نافعةً، تترك فيها أثرًا طيبًا، وتكون سببًا في تخفيف آلام الآخرين وإدخال الأمل إلى قلوبهم.

أَعْطِ الْفَقِيرَ وَلَا تَمْنُنْ بِعَطِيَّةٍ فَالْمَنُّ يَهْدِمُ فِي الْقُلُوبِ بُنْيَانَا

وَاسْتُرْ عَلَى مَنْ قَدْ أَتَاكَ بِحَاجَةٍ فَالسَّتْرُ أَكْرَمُ مَا يَكُونُ عَطَايَا

وَامْسَحْ دُمُوعَ الْمُعْدَمِينَ بِرَحْمَةٍ وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ بَذْلِكَ الْخَيْرِ عَوْنَا

وَابْذُلْ، فَإِنَّ الْمَالَ يَبْقَى أَثَرُهُ وَالْبِرُّ يَزْهُو فِي الْحَيَاةِ جَنَانَا

وَتَرَاحَمُوا، فَبِرَحْمَةِ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ يحْيَا الْمُجْتَمَعُ رَيْحَانَا

فهؤلاء المُحْسِنون عَبَدوا اللهَ تعالى، وكأنَّهم يرونَ ربَّهم سبحانه، قد امتلأتْ قلوبُهم بمحبَّتِه، ولا يخفى أنَّ أهلَ الإحسانِ شارَكوا أهلَ الإسلامِ والإيمانِ في حُسْنِ الجزاءِ والثَّوابِ في الدُّنيا والآخِرة، وزادوا عليهم كَمًّا وكَيْفًا؛ فمِنْ تلك الثَّمراتِ العظيمة:

١-مَحَبَّةُ اللهِ للمُحْسِنين وَرِضَاهُ عنهم: قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]؛ وقال سبحانه: {فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٤٨].

٢-اسْتِمْرارُ الهدايةِ، والزِّيادَةُ فيها: هِدايَةُ اللهِ لعبدِه المُحْسِنِ ثَمَرةٌ عظيمةٌ، وليس لأحدٍ غِنًى عن الهداية، حتى رُسُلُ اللهِ، قال الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام: ٨٤].

٣-استجابَةُ الدُّعاءِ: المحسنون هُمْ خُلَّصُ أولياءِ اللهِ وأصفيائِه، ويَجِدون في قلوبِهم من الثِّقَةِ بِمَوعودِ الله؛ ما لا يَجِدُه غيرُهم: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْنِيمُحْسِنَ} [الصافات: ٧٥-٨٠]. واستجابَ اللهُ دُعاءَ إبراهيمَ عليه السلام: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: ١٠٠-١٠٥].

فالمحسن مُجابَ الدُّعاءِ؛ لِكَرامَتِه على اللهِ تعالى.

٤-مَعِيَّةُ اللهِ الخاصَّةُ للمُحْسِنين: فمِنْ لَوازِمِها؛ الحِفْظُ، والتَّأْييدُ، والنُّصْرَةُ، والتَّمْكينُ، والمَحَبَّةُ، والتَّثْبيتُ، وغيرُها من المِنَحِ الربَّانية: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]؛ {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: (أَيْ: مَعَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ، وَنَصْرِهِ، وَمَعُونَتِهِ، وَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ). فهنيئًا لك – أيها المُحْسِنُ – رِعايَةُ اللهِ. وعِنايَتُه تَكْلَؤكَ في اللَّيلِ والنَّهار، لا تَخافُ حِينَ يَخافُ الناسُ. (١)

٥-صَرْفُ السُّوءِ والفحشاءِ عن المُحْسِنين: المُحْسِنُ بَشَرٌ مُعَرَّضٌ لِغَوائِلِ أهلِ السُّوء، وما تَشْتَهيه أنفسُهم؛ من الإثمِ والمُنكر والبَغْي. لكنَّ الله عز وجل برحمتِه وقُدرَتِه على كلِّ شيءٍ؛ يَخْمُدُ نارَ الشَّهَواتَ الفِطْرِيَّةِ في نَفْسِ المُحْسِنِ، ويَصْرِفُه عنها، ويَصْرِفُها عنه، كما حَفِظَ نبيَّه الكريمَ يوسُفَ عليه السلام، وصانَه عن المؤامرةِ الخَبيثةِ التي دَبَّرَتْها له امرأةُ العزيزِ: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ

---

١ – «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (٤/ ٦١٥).

لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٣، ٢٤].

٦-النَّجاةُ مِنْ المكائِدِ، والهَلَكَةِ المُتَوَقَّعَةِ: المُحْسِنُ مُسْتَهْدَفٌ في نفسِه ودعوتِه من أهلِ الباطل، وربَّما من الحُسَّادِ، واللهُ تعالى سيُنْجِيه من غوائِلِهم ومكائِدِهم المُتوَقَّعَةِ؛ كما أنجى إبراهيمَ عليه السلام من النار التي أوقَدَها له قومُه: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ} [الأنبياء: ٦٨-٧٠]. وهكذا نَجَّى اللهُ يوسفَ عليه السلام من كيد إخوتِه: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٨٩، ٩٠].

٧-رَغَدُ العَيشِ، وزِيادَةُ الرِّزْقِ للمُحْسِنين: قال تعالى - لبني إسرائيلَ: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ٥٨].

قال القرطبيُّ رحمه الله: {رَغَدًا} أي: كَثِيرًا وَاسِعًا، وفي قوله: {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} أي: نَزِيدُهُمْ إِحْسَانًا عَلَى الإِحْسَانِ المُتَقَدِّمِ عِنْدَهُمْ). وقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمر: ١٠]. (١)

---

١ - «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٤١٥).

قال الشوكانيُّ رحمه الله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي العَمَلِ، حَسَنَةٌ فِي الدُّنْيَا؛ بِالصِّحَّةِ وَالعَافِيَةِ، وَالظَّفَرِ، وَالغَنِيمَةِ). (١)

٨-الإحسانُ يَزْرَعُ المَوَدَّةَ في قُلوبِ الخَلْقِ: ما مِنْ شيءٍ يَرْدُمُ هُوَّةَ العَداوَةِ ضِدَّ المُحْسِنِ، ويُؤلِّفُ القلوبَ عليه، ويَزْرَعُ المَودَّةَ له؛ أعْظَمَ مِنَ الإحسانِ إلى الخَلْقِ، ومُقابَلَةِ إساءَتِهم بالإنْعامِ، والتَّفَضُّلِ، والبِرِّ بِهِمْ: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤].

فالنُّفوسُ مَجْبُولةٌ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها.

٩-السِّيرَةُ الحَسَنَةُ للمُحْسِنِ، والظَّفَرُ على أَعْدائِه: والسِّيرَةُ الحَسَنَةُ للمُحْسِنِ - في حياتِهِ - هي عاجِلُ بُشْراهُ، وبعدَ مَوتِهِ شَهادَةٌ تَنْفَعُه عند ربِّه؛ قال تعالى - عن نوحٍ وإبراهيمَ، وموسى وهارونَ وإلياسَ - عليهم السلام: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: ٨].

وجَعَلَ لهم العاقِبَةَ والظَّفَرَ على أعدائِهم؛ يقول تعالى - عن موسى وهارونَ - عليهما السلام: {وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} [الصافات: ١١٦].

١٠-التَّمْكِينُ للمُحْسِنين في هذه الدُّنيا: قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٥٦].

---

١ - «فتح القدير للشوكاني» (٤/ ٥٢٠).

وهذا التَّمْكِينُ كما حَصَلَ لهذا النبيِّ الكريم؛ فإنه يَحْصُلُ لِغَيرِه من المحسنين، بِحَسَبِ ما تَقْتَضِيه حِكْمَةُ اللهِ وإرادَتُه سبحانه وتعالى.

١١-أَنَارَ اللهُ عُقولَ المُحْسِنين بالعِلْمِ: وجَعَلَها صالِحَةً للعلمِ والمَعرِفَةِ، والتَّفَكُّرِ والتَّأَمُّلِ والنَّظَرِ؛ كما قال تعالى -مُمْتَنًّا على يوسفَ عليه السلام: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٢٢].

وقال سبحانه - مُمْتَنًّا على موسى عليه السلام: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [القصص: ١٤].

ومعلومٌ أنَّ عِلْمَ الأنبياءِ عن طَرِيقِ الوَحْيِ الإلهي، وأمَّا أتباعُهم فقد جَعَلَ اللهُ لهم بصائِرَ يُمَيِّزون بها، وقُدْرَةً على فَهْمِ الدِّين.

١٢-رَفْعُ الحَرَجِ عن المُحْسِنين؛ لِصِدْقِ نَواياهم: يقول اللهُ تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٩١].

قال القرطبيُّ رحمه الله: (وَهَذِهِ الآيَةُ أَصْلٌ فِي رَفْعِ العِقَابِ عَنْ كُلِّ مُحْسِنٍ).(١)

١٣-الثَّبَاتُ على الدِّينِ، والقُوَّةُ فِيه: قال سبحانه: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [لقمان: ٢٢].

---

١ - «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٢٧)

أي: فقد ثَبَتَ في أَمْرِه، واستقامَ على الطَّريقِ المُثْلَى، والصِّراطِ المُستقيم، وتَمَسَّكَ من الدِّينِ بأقوى سَبَبٍ.

١٤-البُشْرَى الحَسَنَةُ للمُحْسِنين، وانْتِفاءُ الخَوفِ والحُزْنِ بعدَ وفَاتِهم: قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} [الأحقاف: ١٢].

قال الطبريُّ رحمه الله: (وَهُوَ بُشْرَى [يعني: القرآنَ العظيم] لِلَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ؛ فَأَحْسَنُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَحَسُنَ الجَزَاءُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ). (١)

١٥-يُجَازَى المُحْسِنون بِأَحْسَنِ أعمالِهم، ويُضَاعَفُ لَهم الثَّوَاب: قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٦]؛ {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠]؛ {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا". (٢).

---

١ - «تفسير الطبري» (٢٢/ ١١٠ ط التربية والتراث).

٢ - أخرجه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩)، وأبو عوانة ١/ ٨٤، وابن حبان (٢٢٨)، وابن منده في "الإيمان" (٣٧٣)،

عن عُقبة بن عامر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ... إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (١)

١٦-المُحْسِنُ مِنْ أَقْرَبُ النَّاسِ مَحَبَّةً ومَنْزِلَةً من النَّبيِّ ﷺ : عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (٢).

كيف تجعل الإحسان عادة يومية تجلب لك السعادة؟

جرِّب أن تجعل لنفسك كل يوم نصيبًا من المعروف:

١-أدخل السرور على قلب إنسان بكلمة طيبة.

٢-اتصل بقريب انقطعت أخباره، واسأل عن أحواله.

٣-ساعد محتاجًا بما تستطيع، ولو بشيء يسير.

٤-سامح من أخطأ في حقك إذا كان العفو أصلح.

٥-ادعُ لمن أحسن إليك، واشكر من صنع معك معروفًا.

٦-احفظ ألسنتك عن الغيبة والسخرية والاستهزاء.

٧-ابحث عن فرصة لإصلاح ذات البين أو تخفيف معاناة إنسان.

---

١ - صحيح مسلم" (٢٠٨٩)

٢ - أخرجه: الترمذي (٢٠١٨) وقال: «حديث حسن غريب».

٨-افعل الخير في الخفاء أحيانًا، حتى تربي نفسك على الإخلاص وعدم انتظار الثناء.

وبعد ذلك، حاسب نفسك في نهاية اليوم :هل كنت سببًا في راحة أحد؟ هل جبرت خاطرًا؟ هل منعت أذى؟ هل قدمت خيرًا خالصًا لله؟

إن الاستمرار على هذه الأعمال الصغيرة يصنع في حياة الإنسان أثرًا كبيرًا، ويحوِّل الإحسان من موقف عابر إلى خُلُق ثابت ومنهج حياة.

✍كن بابًا للسعادة في حياة الآخرين:

أيها القارئ الكريم، إن الحياة أقصر من أن نقضيها في الأنانية والخصام والتنافس على متاع الدنيا، وإن أجمل ما يتركه الإنسان بعد رحيله ليس كثرة ما جمعه، وإنما الخير الذي زرعه، والقلوب التي جبرها، والحقوق التي حفظها، والمواقف النبيلة التي بقي أثرها في حياة الناس.

فإذا أردت السعادة، فلا تسأل نفسك دائمًا :ماذا سأحصل عليه اليوم؟ بل اسألها أيضًا :ماذا أستطيع أن أقدِّم اليوم؟ فمن جعل الإحسان طريقه، والرحمة خُلُقه، وابتغاء مرضاة الله غايته، عاش حياة عامرة بالمعاني النبيلة، ورجا من الله عظيم الأجر والثواب.

وتذكَّر أن المعروف لا يضيع عند الله، وأن الكلمة الطيبة قد تبقى في قلب إنسان سنوات طويلة، وأن مساعدة صغيرة قد تغيِّر حياة محتاج، وأن موقفًا رحيمًا قد يعيد الأمل إلى نفس أنهكها الحزن.

فكن محسنًا ما استطعت، ولا تحتقر معروفًا، ولا تنتظر من الناس جزاءً ولا شكورًا، واجعل غايتك أن يرضى الله عنك، وأن تكون سببًا في الخير والسعادة لمن حولك.

خامسا: استثمار الوقت

اعلم علمني الله وإياك: أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وقد رآهم الأرزاق والآجال ليجدوا في عبادته وطاعته وأخرجهم إلى تلك الدنيا لا للعلب ولا للهو ولا للكسل ولا للبطالة وإنما أمرهم بعمارة الأرض والتزود من دار الغرور إلى دار البقاء.... ثم أنه سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار والليالي والأيام دليلا واضحا على زوال هذه الحياة حتى لا يركن إليها الإنسان فقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) [الفرقان : ٦١ - ٦٣]﴾ ولبيان أهمية الوقت أقسم الله تعالى به في كتابه فقال سبحانه ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر : ١ ، ٢] وقال سبحانه ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) [الفجر : ١ - ٦] وقال سبحانه﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) [الليل : ١ ، ٢]﴾ والقسم بالشيء يدل على تعظيم المقسم به فوقت الإنسان

هو حياته ووقته هو نهاره وليله وهو عمره وكل شمس تغرب هو يوم ينقص من عمر الإنسان ورصيده الحقيقي هو ما بقي من أيام حياته كما أن الوقت مال الله وحرام على الإنسان أن يضيع مال الله في غير منفعة ، ولا سيما نحن العرب والمسلمين الذين نوصم دائما وأبدأ بفقد أن الهمة والشهية للعمل ونتهم بالكسل والتراخي فإنتاجية العرب تقدر بـ "٤٦ " دقيقة في اليوم ، بينما إنتاجية اليابان تقدر بـ " ١٦ " ساعة عمل يوميا . والمسلم مسؤول عن وقته أمام الله تعالى سيحاسبه عليه إن خيرا فخير وأن شرا فشر . فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس .

عن عمره فيما أفناه؛ وعن شبابه فيما أبلاه؛ وعن ماله من أين أكتسبه؛ وفيما أنفقه؛ وعن عمله ماذا عمل فيه. (١)

وقد يقول قائل لماذا قال ﷺ عن شبابه فيما أبلاه بعد وعن عمره فيما أفناه ؟؟ أليس الشباب من العمر؛ الجواب بعون الملك الوهاب: نعم ولكن الشباب هم عماد الأمم وضياعها إذا فسدوا لذا قال الشاعر أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة (٢)

---

١ – جامع الأحاديث – (١٦ / ١٣٣)أخرجه الترمذي (٦١٢/٤ ، رقم ٢٤١٦) وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه . وأبو يعلى (١٧٨/٩ ، رقم ٥٢٧١) ، والطبراني (٨/١٠ ، رقم ٩٧٧٢) ، وابن عدى (٣٥٣/٢ ، ترجمة ٤٨٢ الحسين بن قيس أبو على الرحبى) ، وقال : هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٦/٢، رقم ١٧٨٤) . . وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ١٩٦٩.

٢ – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – (٣ / ١٤١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين – (١ / ١٢٢) الأغاني – (٤ / ٢٢)) الإيضاح في علوم البلاغة – (١ / ٣٣٤) معاهدة التنصيص – (٢ / ٢٨٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ – (٣ / ٧٦)

وكثير من الناس يفرط في وقته ويضعه فيما لا يعود عليه بخير في دنياه ولا أخراه وفي هذا يشير النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) . (١)

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: قال ابن بطال. معني الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون وأشار بقوله " كثير من الناس " إلى أن الذي يوفق لذلك قليل

ما معنى إدارة الوقت؟

إدارة الوقت أيها الإخوة الكرام في أدق عبارة وأرق إشارة هي مجموعة من الاستراتيجيات والطرق والوسائل التي تعين المرء على الاستفادة القصوى من وقته في تحقيق أهدافه وخلق التوازن في حياته بين الواجبات والرغبات والأهداف، كما تحقِّق التوازن بين حاجات الجسد والروح والعقل، وتمكِّن الفرد من استثمار وقته بشكلٍ فعّال لإنجاز مختلف أنشطته اليوميَّة بنجاح.

أبو مسلم الخولاني -رحمه الله -: لوقته وها هو عباد الله أبو مسلم الخوالاني يضن بوقته ويحافظ عليه من أن يضيع في غير فائدة عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولانى فإنه لم يكن يجالس أحد يتكلم في شيء من أمر الدنيا! إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم

---

١ - سبق تخريجه.

المسجد فنظر إلى نفرا قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول : قدم غلامي فأصاب كذا وكذا وقال آخر : جهزت غلامي فنظر إليهم وقال سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم ؛ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلت هذا البيت حتى ذهب هذا المطر ، فدخل هذا البيت لا سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا ، وقال له قائل : حين كبر ورق . لو قصرت عن بعض ما تصنع؛ فقال أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة، ألستم تقولون لفارسها دعها وأرفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقوا منها شيئا؛

قالوا: بلى، قال: فإني قد أبصرت الغاية، وأن لكل ساعة غاية وغاية كل ساعة الموت فسابق ومسبوق (١).

✍الإمام ابن عقيل الحنبلي –رحمه الله–لوقته: وقال بن الجوزي قرأت بخطه أني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري فإذا تعطل لساني من مذاكرة ومناظرة وبصري من مطالعة عملت في حال فراشي وأنا مضطجع فلا أنهض إلا وقد يحصل لي ما أسطره وإني لأجد من حرصي على العلم في عشر الثمانين أشد مما كنت وأنا بن عشرين

وكان له الخاطر العاطر والبحث عن الغوامض والدقائق وجعل كتابه المسمى بالفنون مناظرا لخواطره وواقعاته ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدة فلما كانت سنة خمس وسبعين(٢)

---

١ – حلية الأولياء – (٢ / ١٢٣)صفة الصفوة جـ٢ ص٨٢٠.

٢ – لسان الميزان –(٤ / ٢٤٣) المنتظم – (٩ / ٢١٤) ذيل طبقات الحنابلة – (١ / ٥٨) شذرات الذهب – ابن العماد – (٤ / ٣٦)

قلتُ: وذكر ابن عقل، في فنونه: قال حنبلي - يعني نفسه - وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفراً على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجل تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفة.(١)

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ : إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن زرع مثل ما زرع فيوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شرا فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر هله ، فإن أعطي خيرا فالله أعطاه ومن وقي شرا فالله وقاه ، المتقون والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة . (٢)

يقول أيضا ﷺ : إني لأبغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة . (٣)

كيف يكون استثمار الوقت مفتاحًا للسعادة؟

١ - استثمار الوقت يمنح الإنسان شعورًا بالإنجاز: حين يضع الإنسان أهدافًا واضحة، ويعمل على تحقيقها تدريجيًّا، يشعر أن حياته تتقدم، وأن جهده لا يذهب سدى.

---

١ - ذيل طبقات الحنابلة -(١ / ٥٨)و الوقت وأهميته في حياة المسلم - (١ / ٩٧) المشوق إلى القراءة وطلب العلم - (١ / ٤٠)

٢ - جامع الأحاديث -(٣٧ / ١٣٥)أخرجه أيضًا : هناد في الزهد (٣٠٤/١ ، رقم ٥٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢/١

٣ - الزهد لهناد - (٢ / ٣٥٧) حلية الأولياء - (١ / ١٣٠)وابن الجوزي جـ١ ص١٣٠.

فالطالب الذي ينظم ساعات دراسته يقترب من النجاح، والعامل الذي يتقن عمله يحقق تقدمًا، وصاحب المشروع الذي يخطط لوقته يستطيع متابعة أهدافه، والإنسان الذي يخصص وقتًا لإصلاح نفسه يرى أثر ذلك في أخلاقه وعلاقاته.

ولا يشترط أن تكون الإنجازات عظيمة كل يوم؛ فقد يكون الإنجاز قراءة صفحات من كتاب، أو تعلم مهارة، أو إتمام مهمة مؤجلة، أو قضاء حاجة من حوائج الأسرة.

٢- **استثمار الوقت يقلل القلق والتوتر**: كثير من القلق ينشأ من تراكم الأعمال، وتأجيل المسؤوليات، وعدم معرفة ما ينبغي البدء به.

أما حين ينظم الإنسان يومه، ويقسم أعماله، ويحدد الأولويات، فإنه يشعر بقدر أكبر من السيطرة على مسؤولياته، ويقل شعوره بالفوضى والارتباك.

والتنظيم لا يعني أن يملأ الإنسان كل دقيقة بالعمل، بل أن يترك وقتًا للراحة، والنوم الكافي، والعبادة، والأسرة، والأنشطة التي تجدد طاقته.

٣-**استثمار الوقت يفتح أبواب العلم والمعرفة**: العلم من أعظم ما يرفع قدر الإنسان وينفعه في حياته .ومن خصص كل يوم وقتًا للقراءة والتعلم، ولو كان قليلًا، استطاع مع مرور الأيام أن يكتسب معارف ومهارات نافعة.

وقد تكون عشرون دقيقة يوميًّا في قراءة كتاب نافع بداية لتغيير كبير في الفكر والسلوك، إذا استمر الإنسان عليها وانتفع بما يقرأ.

٤-**استثمار الوقت يقوي علاقة الإنسان بربه**: من أعظم صور استثمار الوقت المحافظة على الصلوات، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، وطلب العلم الشرعي، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق.

فحين يجعل المسلم للعبادة نصيبًا ثابتًا من يومه، لا تبقى علاقته بالله مؤجلة إلى وقت الفراغ، بل تصبح محورًا يهتدي به في ترتيب حياته وأولوياته.

٥- استثمار الوقت يحسن العلاقات الأسرية والاجتماعية

قد ينشغل الإنسان بطلب الرزق حتى ينسى أن لأهله حقًّا في وقته واهتمامه .

وقد يجلس مع أسرته جسدًا، بينما ينشغل قلبه وهاتفه عنهما.

ومن السعادة أن يخصص الإنسان وقتًا يستمع فيه إلى أبنائه، ويتفقد فيه والديه، ويصل فيه أرحامه، ويشارك أسرته لحظات من المودة والرحمة.

فالوقت الذي تمنحه لمن تحب ليس وقتًا ضائعًا، بل قد يكون من أثمن ما تقدمه لهم.

✍**رابعًا :التسويف عدو السعادة والإنجاز:** من أخطر ما يسرق العمر أن يعتاد الإنسان تأجيل أعماله، فيقول :سأبدأ غدًا، وسأقرأ عندما أتفرغ، وسأصلح علاقتي بفلان لاحقًا، وسأستثمر وقتي حين تخف مسؤولياتي.

ثم تمر الأيام، وتتراكم الفرص الضائعة، ويجد نفسه بعيدًا عن الأهداف التي كان يتمنى تحقيقها.

والتسويف لا يضيع الوقت فحسب، بل قد يورث الشعور بالندم، ويضعف الثقة بالنفس، ويزيد الضغوط.

والعلاج أن يبدأ الإنسان بما يستطيع، دون انتظار الظروف المثالية؛ فبدلًا من أن يقول :سأقرأ كتابًا كاملًا، فليبدأ بعشر صفحات .وبدلًا من تأجيل مشروع كبير، فليحدد أول خطوة وينجزها اليوم.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾]الشرح.[٨-٧ :

وفي الآيتين توجيه إلى اغتنام الفراغ في العمل والاجتهاد، وتوجيه القلب إلى الله تعالى؛ فلا يعيش الإنسان عاطلًا عن الخير، ولا يجعل انشغاله بالدنيا يصرفه عن غايته الكبرى.

سادسا: التوازن بين حاجات الروح والجسد

أخي القارئ: إن من أعظم مفاتيح السعادة أن يعرف الإنسان كيف يوازن بين حاجات روحه وحاجات جسده؛ فالإنسان ليس جسدًا يأكل ويشرب وينام ويستمتع بملذات الحياة فحسب، وليس روحًا منفصلة عن متطلبات الحياة المادية، وإنما هو كيان متكامل يحتاج إلى غذاء الروح بالإيمان والعبادة والذكر، كما يحتاج إلى غذاء الجسد بالطعام والشراب والنوم والراحة والحركة.

وإذا اختل هذا التوازن اضطربت حياة الإنسان؛ فمن بالغ في إشباع رغبات الجسد وأهمل روحه، فقد يشعر بفراغ داخلي رغم امتلاكه أسباب الراحة المادية .ومن أهمل حاجات جسده، وأرهقه بالعمل أو العبادة دون إعطائه حقه من الراحة، فقد يضعف بدنه ويعجز عن مواصلة واجباته .أما السعيد حقًّا فهو الذي يعطي كل جانب حقه، ويجعل حياته قائمة على الاعتدال، مستعينًا بنعم الله على طاعته وعمارة الأرض بالخير.

✍**أولًا :الإسلام دين التوازن والاعتدال:** لم يأت الإسلام ليجعل الإنسان أسيرًا لشهوات الجسد، ولا ليطالبه بإهمال حاجاته الفطرية، وإنما جاء بمنهج متكامل

يراعي طبيعة الإنسان، ويهذب رغباته، ويوجه طاقاته إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى:﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾[القصص٧٧ :].

تضع هذه الآية الكريمة قاعدة عظيمة في بناء الحياة السعيدة؛ فالإنسان يسعى إلى الآخرة، ولا يهمل نصيبه المشروع من الدنيا، ويستعمل ما أنعم الله به عليه في الخير والإحسان.

فليس من الكمال أن ينغمس الإنسان في الدنيا حتى ينسى آخرته، وليس من الفهم الصحيح للدين أن يترك مصالحه وأسرته وعمله بحجة التفرغ للعبادة . وإنما الكمال أن يؤدي حقوق الله، ويحفظ حقوق نفسه وأهله، ويؤدي عمله بأمانة، وينتفع بما أباح الله له دون إسراف أو غفلة.

✍ثانيًا :غذاء الروح بالإيمان والعبادة: الروح تحتاج إلى ما يحييها ويزكيها، ومن أعظم ما يغذيها الإيمان بالله، والمحافظة على الصلاة، وتلاوة القرآن، وذكر الله، والدعاء، والتوبة والاستغفار، ومجالسة الصالحين، والتأمل في نعم الله وآياته.

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد.[٢٨ :

فالقلب يحتاج إلى صلة دائمة بالله؛ لأن المال لا يجيب وحده عن أسئلة الوجود، والمنصب لا يمنح صاحبه بالضرورة راحة الضمير، وكثرة المتع لا تملأ كل فراغ داخلي.

قد يمتلك الإنسان أسباب الرفاهية، لكنه يشعر بالقلق والحيرة؛ لأنه أهمل الجانب الإيماني والأخلاقي في حياته .وقد يمر المؤمن بظروف صعبة، لكنه يجد في الصلاة والدعاء والذكر والصبر زادًا يعينه على مواجهة ما يلقاه.

ولا يعني ذلك أن العبادة تمنع الحزن أو المرض، وإنما تمنح الإنسان معاني الإيمان والرجاء والتوكل التي تساعده على التعامل مع المحن، وتذكره بأن حياته ليست محصورة في متاع الدنيا وحده.

ومن وسائل تغذية الروح:

- المحافظة على الصلوات في أوقاتها.
- تخصيص وقت يومي لتلاوة القرآن وتدبره.
- الإكثار من الذكر والاستغفار والدعاء.
- التوبة من الذنوب وتجديد الصلة بالله.
- الإحسان إلى الناس، وصلة الأرحام، ومساعدة المحتاجين.
- التفكر في نعم الله وشكره عليها.

ثالثًا :إعطاء الجسد حقه من الرعاية: كما تحتاج الروح إلى العبادة والذكر، يحتاج الجسد إلى الطعام الطيب، والشراب، والنوم، والراحة، والنظافة، والحركة، والعلاج عند المرض .وإهمال هذه الحاجات قد يضر بالإنسان ويضعف قدرته على أداء واجباته.

وقد أرشد الإسلام إلى حفظ البدن، ونهى عن الإضرار بالنفس والإسراف في المأكل والمشرب.

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف٣١ :].

فالآية تأذن بالانتفاع بالطيبات، مع النهي عن تجاوز الحد .وليس المقصود أن يحرم الإنسان نفسه من الطعام الطيب أو الراحة المباحة، بل أن يتعامل مع النعم باعتدال، ويحفظ بدنه من الإفراط والتفريط.

ومن صور العناية بالجسد:

١. تناول الطعام المتوازن، والابتعاد عن الإسراف.

٢. الحرص على نوم كافٍ ومنتظم بحسب حاجة الإنسان وظروفه.

٣. ممارسة الحركة والرياضة المناسبة.

٤. أخذ فترات راحة أثناء العمل الطويل.

٥. مراجعة المختصين عند الحاجة إلى العلاج.

٦. تجنب العادات الضارة التي تستنزف صحة الإنسان وطاقته.

والجسد أمانة، ورعايته ليست أمرًا ثانويًّا؛ فالمسلم يحتاج إلى صحته ليعمل، ويعول أسرته، ويعبد ربه، وينفع مجتمعه.

رابعًا :التوازن النبوي بين العبادة وحقوق النفس: لقد جسَّد النبي ﷺ التوازن في حياته، وعلَّم أصحابه أن التدين الصحيح لا يقوم على التشدد الذي يهمل حاجات الإنسان، ولا على التسيب الذي يضيّع الواجبات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا عن عبادته، فكأنهم تقالُّوها، فقال بعضهم :لا أتزوج النساء، وقال آخر :لا آكل اللحم، وقال آخر :لا أنام على فراش .فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: »لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي .«متفق عليه، واللفظ لمسلم.(١)

في هذا الحديث توجيه نبوي عظيم؛ فالقرب من الله لا يتحقق بإهمال الجسد أو تحريم المباحات على النفس، وإنما باتباع هدي النبي ﷺ، الذي جمع بين العبادة، والراحة، والصيام والإفطار، والحياة الأسرية، وأداء الحقوق.

إن السعادة لا تأتي من إنهاك النفس بما لا تطيق، ولا من حرمانها من المباحات، وإنما تأتي من الاستقامة والاعتدال، ومعرفة حدود الطاقة، وأداء الواجبات دون غلو أو تفريط.

✍خامسًا :لكل ذي حق حقه: من أبلغ النصوص النبوية في بيان التوازن ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، حين بلغه أن النبي ﷺ قال له: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ «قال :بلى .قال» :فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا« (٢) .

رواه البخاري.

إن هذا الحديث يؤسس لقاعدة عظيمة في الحياة :لا تجعل جانبًا واحدًا يستولي على وقتك وطاقتك حتى تضيع بقية الحقوق.

---

١ - وأخرجه أحمد (١٣٥٣٤) و (١٣٧٢٧ مختصرًا)، ومسلم (١٤٠١)، وابن حبان (١٤) وأخرجه بنحوه البخاري (٥٠٦٣)، وابن حبان (٣١٧)

٢ -أخرج أحمد ١١/ (٦٨٦٧)، والبخاري (١٩٧٥) و (٥١٩٩) و (٦١٣٤)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٢)، والنسائي (٢٧١٢) .

فمن حق الجسد الراحة، ومن حق العين النوم، ومن حق الأسرة حسن المعاشرة والرعاية، ومن حق الله العبادة والطاعة، ومن حق العمل الإتقان والأمانة، ومن حق المجتمع أن يلقى من الإنسان نفعًا وإحسانًا.

وقد يكون الإنسان مجتهدًا في جانب من حياته، لكنه مقصر في جوانب أخرى؛ فربما ينشغل بالعمل حتى يهمل أبناءه، أو ينشغل بالمباحات حتى يضيع صلاته، أو يبالغ في السهر حتى يضعف أداؤه في النهار.

والحكمة أن يضع الإنسان أولوياته، وينظم وقته، ويؤدي الحقوق بقدر استطاعته، مستعينًا بالله، ومراجعًا نفسه كلما شعر بالاختلال.

سادسًا :الإفراط في الدنيا يرهق الروح، وإهمال الجسد يرهق البدن:

إن من أسباب الشقاء أن يظن الإنسان أن السعادة تتحقق بإشباع كل رغبة جسدية دون ضابط؛ فيبالغ في الطعام، أو السهر، أو الترفيه، أو الانشغال بالمظاهر والمشتريات، ثم يكتشف أن هذه الأمور، على ما فيها من متعة مباحة، لا تكفي وحدها لبناء حياة مستقرة.

وفي المقابل، قد يظن آخر أن الاهتمام بالروح يقتضي إهمال الجسد، فيحرم نفسه النوم الكافي، أو يهمل صحته، أو يحملها من الأعمال ما لا تطيق .وهذا أيضًا خلل في التوازن.

والمنهج الصحيح أن ينتفع الإنسان بالطيبات دون إسراف، ويؤدي العبادات دون غلو، ويعمل دون أن يستنزف صحته، ويستريح دون أن يستسلم للكسل، ويستمتع بالمباح دون أن ينسى واجباته.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة.[١٤٣]

والوسطية هنا تعني العدل والخيرية، وليست دعوة إلى التهاون أو التنازل عن الواجبات، بل إلى إعطاء الأمور أقدارها، ووضع كل حق في موضعه.

سابعًا :التوازن بين الروح والجسد وأثره في العلاقات الأسرية:

لا تقتصر آثار التوازن على الفرد وحده، بل تمتد إلى أسرته ومجتمعه .فالإنسان الذي يعتني بروحه وجسده يكون في الغالب أقدر على الصبر، وأحسن استعدادًا للتواصل، وأقل عرضة لأن تتحكم فيه مشاعر الإرهاق والتوتر.

فالأب الذي يخصص وقتًا لعبادته، ووقتًا لعمله، ووقتًا لأبنائه، ووقتًا للراحة، يكون أقدر على رعاية أسرته من إنسان استهلك العمل كل وقته، أو انشغل بنفسه عن جميع من حوله.

والزوجان يحتاجان إلى التوازن بين المسؤوليات والراحة، وبين الواجبات والأنشطة المشتركة، وبين الاهتمام بالدنيا وتغذية الجانب الإيماني في الأسرة.

كما أن الأبناء يحتاجون إلى الغذاء والنوم والحركة واللعب والتعلم، ويحتاجون كذلك إلى التربية الإيمانية، والحوار، والشعور بالأمان، والقدوة الحسنة.

إن الأسرة السعيدة ليست الأسرة التي لا تواجه مشكلات، بل التي تحسن تنظيم حياتها، وتراعي احتياجات أفرادها، وتتعامل مع الخلافات بالحكمة والرحمة.

ثامنًا :كيف نحقق التوازن بين حاجات الروح والجسد؟

يمكن للإنسان أن يقترب من التوازن بخطوات عملية بسيطة، يداوم عليها دون تكلف:

١-تنظيم اليوم :يحدد أوقاتًا للصلاة، والعمل، والطعام، والراحة، والأسرة، والتعلم، مع مراعاة اختلاف ظروف الناس.

٢-البدء بالفرائض :يجعل الصلاة والواجبات الشرعية أساس يومه، ثم ينظم بقية الأعمال حولها بحسب استطاعته.

٣-تخصيص وقت لتغذية الروح :ولو دقائق ثابتة يوميًّا لقراءة القرآن والذكر والدعاء والتأمل.

٤-الاهتمام بالصحة :يحرص على النوم المناسب، والطعام المتوازن، والحركة، والعلاج عند الحاجة.

٥-الاعتدال في الترفيه :يجعل للراحة والمتعة المباحة نصيبًا، دون أن تتحول إلى إضاعة للوقت أو تضييع للحقوق.

٦-حفظ حقوق الأسرة :يخصص وقتًا للاستماع إلى الزوج أو الزوجة والأبناء، ومشاركتهم شؤون حياتهم.

٧-معرفة حدود الطاقة :فلا يحمّل نفسه فوق طاقتها، ولا يقارن ظروفه بظروف الآخرين، بل يسعى إلى التحسن التدريجي.

٨-المراجعة المستمرة :يسأل نفسه :هل قصّرت في عبادتي؟ هل أهملت صحتي؟ هل ضيعت حقًّا من حقوق أسرتي؟ ثم يصلح ما يستطيع إصلاحه.

تاسعًا :نموذج عملي لحياة متوازنة: تأمل حال رجل يبدأ يومه بصلاة الفجر وذكر الله، ثم يسعى إلى عمله بإخلاص، ويحرص على تناول طعامه باعتدال، ويمنح جسده قدرًا مناسبًا من الراحة، ويعود إلى أسرته فيستمع إلى أبنائه

ويشاركهم شؤونهم، ثم يخصص وقتًا لقراءة نافعة أو عبادة أو صلة رحم، وينام في وقت يساعده على أداء واجبات اليوم التالي.

هذا الرجل ليس بالضرورة خاليًا من الهموم، ولا يعني تنظيم حياته أنه لن يواجه أزمات، ولكنه يتعامل مع يومه بوعي، فلا يطغى العمل على الأسرة، ولا تستولي المباحات على العبادة، ولا يستهلك السهر صحته.

وإذا طرأ ظرف طارئ، أو مرض، أو مسؤولية جديدة، أعاد ترتيب أولوياته وفق قدرته .فالتوازن ليس جدولًا جامدًا لا يتغير، بل حكمة في توزيع الجهد والوقت بحسب الحقوق والظروف.

✍خاتمة :السعادة في الاعتدال وحسن القيام بالحقوق: إن التوازن بين حاجات الروح والجسد من مفاتيح السعادة؛ لأنه يحفظ للإنسان تكامله، ويعينه على أداء رسالته في الحياة، ويمنعه من الغلو والتفريط .فالروح تحتاج إلى الإيمان والعبادة والذكر، والجسد يحتاج إلى الرعاية والراحة، والأسرة تحتاج إلى الحضور والاهتمام، والعمل يحتاج إلى الأمانة والإتقان.

وليس المطلوب أن يكون الإنسان كاملًا في كل جانب في كل وقت، وإنما أن يسعى إلى الاعتدال، ويعترف بحدود طاقته، ويصحح مساره كلما اختل، ويستعين بالله على أداء الحقوق.

فلنجعل حياتنا قائمة على العبادة والعمل، والراحة والمسؤولية، والاهتمام بالروح والجسد، ولنقتدِ بهدي النبي ﷺ الذي علَّمنا أن لكل ذي حق حقه، وأن خير الهدي ما جمع بين الاستقامة والرحمة والاعتدال.

****

خاتمة

في ختام هذا البحث الذي دار حول موضوع السعادة وموانعها ومفاتيحها في ضوء التصور الإسلامي، يمكن تلخيص أبرز النتائج التي خلص إليها العمل على النحو الآتي:

✍أولاً: تبين أن مفهوم السعادة في الإسلام مفهوم مركّب يتجاوز اللذة الحسية والراحة الجسدية، ليصبح حالة قلبية ومعنوية ترتبط بالإيمان والعمل الصالح والرضا بقدر الله. وقد ظهر من خلال المقارنة مع التعريفات الفلسفية القديمة

والمعاصرة أن الرؤية الإسلامية تتميز بربط السعادة بغاية أخروية، مما يمنحها بعداً مستداماً لا ينقطع بانقطاع الأسباب الدنيوية.

ثانياً: أظهرت الدراسة أن كثيراً مما يُظن سعادة في الوعي الاجتماعي المعاصر (المال، المنصب، الشهرة، كثرة الأبناء) لا يعدو أن يكون أوهاماً زائفة، إذ ثبت بالنصوص الشرعية والتجربة البشرية أنها لا تضمن طمأنينة القلب، بل قد تكون سبباً في الشقاء إذا خلت من الإيمان والرضا.

ثالثاً: كشفت فصول الباب الثاني عن منظومة مترابطة من الموانع التي تحول دون تحقق السعادة، سواء على مستوى العقيدة والقلب (الكفر، ضعف الإيمان، الذنوب، اليأس، الحسد، الكبر)، أو على مستوى السلوك والأخلاق (الظلم، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم، سوء الظن، الخصام)، أو على المستوى النفسي والدنيوي (الطمع، عدم الرضا، الهموم، الإسراف في الشهوات، التعلق بالدنيا، الحقد). وقد ظهر أن هذه الموانع تتغذى من بعضها بعضاً، وأن معالجتها تستلزم مقاربة شاملة.

رابعاً: أثبت الباب الثالث أن السعادة قابلة للتحقق عبر منظومة من الأسباب العملية، تبدأ بالإيمان والعبادة (العلم، العمل الصالح، حسن الظن بالله، التوكل، الذكر)، وتمر بتهذيب النفس (الرضا، القناعة، الشكر، العفو، سلامة الصدر، حسن الظن، التفاؤل)، وتنتهي بتحسين العلاقات الاجتماعية واستثمار الوقت.

وبناءً على ما سبق، فإن السعادة في التصور الإسلامي ليست أمراً عشوائياً أو حظاً عارضاً، بل هي ثمرة لجهد إيماني وأخلاقي ونفسي متكامل. ومن هنا

تبرز أهمية الوعي بهذه الموانع والمفاتيح في بناء شخصية متوازنة قادرة على مواجهة تحديات العصر دون أن تفقد طمأنينتها أو غايتها الأخروية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المراجع

أولًا: القرآن الكريم والتفسير

١-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن — محمد الأمين الشنقيطي

٢-تفسير القرآن العظيم — إسماعيل بن عمر ابن كثير

٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — عبد الرحمن بن ناصر السعدي

٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن — محمد بن جرير الطبري

٥-الجامع لأحكام القرآن — محمد بن أحمد القرطبي

٦-فتح القدير — محمد بن علي الشوكاني

ثانيًا: مصادر الحديث والآثار:

٧-الأدب المفرد — محمد بن إسماعيل البخاري

٨-الجامع الصحيح — محمد بن إسماعيل البخاري

٩-الجامع / سنن الترمذي — محمد بن عيسى الترمذي

١٠الزهد — عبد الله بن المبارك

١١-الزهد — هناد بن السري

١٢-الزهد — عبد الله بن أحمد بن حنبل

١٣-سنن ابن ماجه — محمد بن يزيد ابن ماجه

١٤-سنن أبي داود — سليمان بن الأشعث السجستاني

١٥-سنن الدارمي — عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي

١٦-سنن النسائي — أحمد بن شعيب النسائي

١٧-شعب الإيمان — أحمد بن الحسين البيهقي

١٨-صحيح ابن حبان — محمد بن حبان البستي

١٩-كتاب الإخوان — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٢٠-كتاب التواضع والخمول — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٢١-كتاب الشكر — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٢٢-كتاب قضاء الحوائج — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٢٣-المتحابين في الله — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٢٤-المستدرك على الصحيحين — محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري

٢٥-المسند — أحمد بن حنبل

٢٦-المسند الصحيح — مسلم بن الحجاج النيسابوري

٢٧-مصنف ابن أبي شيبة — عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة

٢٨-مصنف عبد الرزاق — عبد الرزاق بن همام الصنعاني

٢٩-المعجم الكبير — سليمان بن أحمد الطبراني

٣٠-مكارم الأخلاق — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

ثالثًا: شروح الحديث والتخريج

٣١-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل — محمد ناصر الدين الألباني

٣٢-الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء — خليل بن كيكلدي العلائي

٣٣-البدر التمام شرح بلوغ المرام — الحسين بن محمد المغربي

٣٤-تخريج أحاديث إحياء علوم الدين — زين الدين العراقي

٣٥-الترغيب والترهيب — عبد العظيم المنذري

٣٦-التنوير شرح الجامع الصغير — محمد بن إسماعيل الصنعاني

٣٧-جامع الأصول في أحاديث الرسول — مجد الدين ابن الأثير

٣٨-جامع العلوم والحكم — عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي

٣٩-سلسلة الأحاديث الصحيحة — محمد ناصر الدين الألباني

٤٠-شرح صحيح البخاري — علي بن خلف ابن بطال

٤٢-صحيح الترغيب والترهيب — محمد ناصر الدين الألباني

٤٣-صحيح الجامع الصغير وزيادته — محمد ناصر الدين الألباني

٤٤-فتح الباري شرح صحيح البخاري — أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني

٤٥-فيض القدير شرح الجامع الصغير — عبد الرؤوف المناوي

٤٦-اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان — محمد فؤاد عبد الباقي

٤٧-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — علي بن أبي بكر الهيثمي

٤٨-مشكاة المصابيح — محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي

٤٩-معالم السنن — حمد بن محمد الخطابي

رابعًا: التزكية والأخلاق والسلوك:

٥٠-إحياء علوم الدين — أبو حامد محمد بن محمد الغزالي

٥١-أدب الدنيا والدين — علي بن محمد الماوردي

٥٢-الجزاء من جنس العمل — الشيخ سيد حسين العفاني

٥٣-حرص السلف على بر الوالدين وعقوق الخلف —السيد مراد سلامة

٥٤-حسن الظن بالله — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٥٥-خلق المسلم — محمد الغزالي

٥٦-الداء والدواء — محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

٥٧-رسالة في شرح حديث ما ذئبان جائعان — عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي

٥٨-الرضا عن الله بقضائه — لم يتضح اسم المؤلف في المادة المرسلة

٥٩-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء — محمد بن حبان البستي

٦٠-زاد المعاد في هدي خير العباد — محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

٦١-الشكر — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٦٢-صيد الخاطر — عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

٦٣-عقوق الوالدين — محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد

٦٤-عيون الأخبار — عبد الله بن مسلم ابن قتيبة

٦٥-غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب — محمد بن أحمد السفاريني

٦٦-فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب — عبد الحي بن أحمد ابن العماد

٦٧-القناعة والتعفف — لابن أبي الدنيا

٦٨-كتاب الإخوان — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٦٩-لا تحزن — عائض بن عبد الله القرني

٧٠-مجابو الدعوة — عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا

٧١-المحاسن والمساوئ — إبراهيم بن محمد البيهقي

٧٢-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين — محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

٧٣-مساوئ الأخلاق ومذمومها — محمد بن جعفر الخرائطي

٧٤-المستطرف في كل فن مستظرف — محمد بن أحمد الأبشيهي

٧٥-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة — محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

٧٦-منحة الأكياس في حسن الظن بالناس — محمد عثمان الإسحاقي

٧٧-من عجائب الدعاء — خالد بن سليمان الربعي

٧٨-الوقت وأهميته في حياة المسلم — علي بن نايف الشحود

خامسًا: السيرة والتاريخ والتراجم:

٧٩-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى — أحمد بن خالد الناصري

٨٠-البداية والنهاية — إسماعيل بن عمر ابن كثير

٨١-تاريخ الإسلام — محمد بن أحمد الذهبي

٨٢-تاريخ بغداد — أحمد بن علي الخطيب البغدادي

٨٣-تاريخ دمشق — علي بن الحسن ابن عساكر

٨٤-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء — أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني

٨٥-الدلائل — أحمد بن الحسين البيهقي

٨٦-ذيل طبقات الحنابلة — عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي

٨٧-سير أعلام النبلاء — محمد بن أحمد الذهبي

٨٨-السيرة النبوية — عبد الملك بن هشام

٨٩-شذرات الذهب في أخبار من ذهب — عبد الحي بن أحمد ابن العماد

٩٠-صفة الصفوة — عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

٩١-طبقات الأولياء — عمر بن أحمد ابن الملقن

٩٢-لسان الميزان — أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني

٩٣-محاضرات — علي القرني

٩٤-مختصر صفة الصفوة — عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

٩٥-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم — عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

سادسًا: اللغة والأدب والبلاغة:

٩٦-الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين لخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي

٩٧-الأغاني — أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

٩٨-الإيضاح في علوم البلاغة — جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني

٩٩-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية — إسماعيل بن حماد الجوهري

١٠٠-عيون الأخبار — عبد الله بن مسلم ابن قتيبة

١٠١-القاموس المحيط — محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

١٠٢-لسان العرب — محمد بن مكرم ابن منظور

١٠٣-مجلة الرسالة — مجلة أدبية؛ ومن المقالات المذكورة مقال لإبراهيم عبد القادر المازني

١٠٤-معاهدة التنصيص — عبد الرحيم بن أحمد العباسي

١٠٥-نهاية الأرب في فنون الأدب — أحمد بن عبد الوهاب النويري

١٠٦-النهاية في غريب الحديث والأثر — مجد الدين ابن الأثير

سابعًا: السعادة وعلم النفس والفلسفة

١٠٨-الأخلاق إلى نيقوماخوس — أرسطو

١٠٩الازدهار — (Flourish) مارتن سيليغمان

١١٠-التأملات — ماركوس أوريليوس

١١١-حقيقة السعادة — لم يتضح اسم المؤلف في المادة المرسلة

١١٢-دليلك إلى السعادة — لم يتضح اسم المؤلف في المادة المرسلة

١١٣-رسالة إلى مينيقيوس — أبيقور

١١٤-الرسائل الأخلاقية إلى لوكيليوس — سينيكا

١١٥-السعادة الحقيقية — (Authentic Happiness) مارتن سيليغمان

١١٦-السعادة بين الوهم والحقيقة — ناصر بن سليمان العمر

١١٧-سيكولوجية السعادة — مايكل أرجايل؛ ترجمة فيصل عبد القادر

١١٨-علم النفس في الحديث الشريف — لم يتضح اسم المؤلف في المادة المرسلة

١١٩-المبادئ الرئيسية — : أبيقور (Epicurus)، الفيلسوف اليوناني القديم.

١٢٠-المحادثات — إبكتيتوس

١٢١-المختصر — (Enchiridion) إبكتيتوس

١٢٢-مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع — جيرمي بنثام

١٢٣-النفعية — جون ستيوارت ميل

الإنتاج العلمي للمؤلف

الإنتاج العلمي للمؤلف / الشيخ السيد مراد سلامة

القسم الأول. الردود والفرق والمذاهب والاعتقاد

١-تَبصرة الموحدين بخيانات ومخططات الشيعة على الإسلام والمسلمين.

٢-التسعون العلية من أسماء الذات الإلهية.

٣-طقوس وشعائر وأعياد شيعية في ميزان الشريعة الإسلامية.

٤-فتاوى الأئمة الأعلام في بيان حقيقة وعقيدة الرافضة اللئام.

٥-فكر المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال.

٦-المباهلة في الإسلام.

٧-الشيطان كأنك تراه.

القسم الثاني: كتب الحديث الشريف والسنّة والآثار:

٨-الإذاعة بذكر أربعين حديثا في السمع والطاعة.

٩-الأربعون البرزخية.

١٠-الأربعون البلدانِية.

١١-الأربعون التيسيرية من سنة خير البرية.

١٢-الأربعون الرمضانية من أحاديث خير البرية.

١٣-الأربعون السماوية من أحاديث صفوة البشرية.

١٤-الأربعون الكتابية.

١٥-الأربعون النبوية في حرمة الدماء البشرية.

١٦-الأربعون النبوية لمغفرة خطايا الإنسانية.

١٧-الأربعون النورانية في وصف صفوة البشرية.

١٨-البدر الأتم في ذكر أربعين حديثا قال فيها الصحابة الله ورسوله أعلم.

١٩-الدر المختار من استفسارات الصحابة عن غريب قول النبي المختار.

٢٠-الدر المختار من الأحاديث الواردة في البحار.

٢١-فتح الجليل بذكر الأحاديث التي ذكر فيها النخيل.

٢٢-فتح الكبير المتعال بالأحاديث الطوال.

٢٣-متن الأربعين الشتوية من أحاديث خير البرية.

٢٤-متن الأربعين المرادية إياكم واختراق المنهيات.

٢٥-متن الأربعين من أهوال يوم الدين.

٢٦-الأحاديث الواردة في فضائل سيناء.

٢٧-الأحاديث والآثار الواردة في محبة الوطن عند الشعراء.

٢٨-الأحاديث النبوية في أحكام الأذان وآدابه.

٢٩-الأحاديث والدروس المستفادة من الهجرة النبوية.

٣٠-نظم السبائك بذكر من تصلي عليهم ومن تلعنهم الملائك.

القسم الثالث: كتب الخطب والمواعظ والدروس المنبرية:

٣١-إرواء المشتاق من خطب الأخلاق.

٣٢-الخطب المرادية عن شمائل خير البرية.

٣٣-الخطب والمواعظ الباهرة في ذكر الموت وأهوال المقبرة.

٣٤-الدرر البهية من المقدمات المنبرية.

٣٥-العشريات المرادية من الخطب المنبرية.

٣٦-المسك الأذفر للدرس والموعظة والمنبر.

٣٧-موسوعة القصص المنبرية -الجزء الأول.

٣٨-موسوعة القصص المنبرية -الجزء الثاني.

٣٩-النسمات المباركات من مقدمات المناسبات.

٤٠-تحفة الواعظ للخطب والمواعظ (ألف قصة وقصة).

القسم الرابع قسم الخطب الأخلاقية والمعاملات

٤١-كتب ومجالس شهر رمضان المبارك وصلاة التراويح.

٤٢-إشراق المصابيح لجلسة صلاة التراويح.

٤٣-الأماليح لجلسة صلاة التراويح.

٤٤-ري الظمآن من دروس العصر في رمضان.

٤٥-فيض الرحمن دروس وخواطر شهر رمضان.

٤٦-القصص المليح لجلسة صلاة التراويح.

٤٧-الكنوز الرمضانية.

٤٨-اللآلئ الحسان من أوصاف شهر رمضان.

٤٩-مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح.

٥٠-المواعظ العصرية للدروس الرمضانية.

٥١-نفح الريح لجلسة صلاة التراويح.

القسم الخامس: الفتاوى والأحكام الفقهية والشرعية:

٥٢-أَرِيجُ العطر في بيان أحكام زكاة الفطر.

٥٣-تحفة الأنام بفتاوى شهر رجب الحرام.

٥٤-تحفة الملهوف بأحاديث الخسوف والكسوف.

٥٥-تشنيف الآذان بما ورد في فضل وآداب وأحكام الأذان.

٥٦-الدرر البهية من آداب وأحكام التحية.

٥٧-الدرر البهية من الفتاوى الرمضانية.

٥٨-الدرر السنية من فتاوى الأضحية (١٣٠ سؤال وجواب).

٥٩-قرة العينين بفتاوى أبي همام بالحرمين.

٦٠-المشكاة في بيان آداب وأحكام اصطحاب الأطفال إلى الصلاة.

٦١-رسالة عاجلة إلى من فاته الحج.

٦٢-مخالفات في الطرق والمواصلات رؤية شرعية.

٦٣-أسباب غلاء الأسعار وقلة البركة من منظور الشرع.

القسم السادس: السيرة النبوية والشمائل والخصائص:

٦٤-تحفة الداعية والإمام بدروس سيرة خير الأنام.

٦٥-رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

٦٦-السراج الوهاج من عبر ودروس الإسراء والمعراج.

٦٧-العناية الربانية بصفوة البشرية.

٦٨-الفتح الرباني لمنهج الإمام الرمضاني.

٦٩-فتح رب البرية من خطب ودروس الهجرة النبوية.

٧٠-الكوكب الوهاج من خطب الإسراء و المعراج.

٧١-مؤذنو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧٢-النسوة يسألن والنبي يجيب.

القسم السابع موسوعة "حرص السلف وتفريط الخلف"

٧٣-حرص السلف على اغتنام الأوقات وتفريط الخلف.

٧٤-حرص السلف على إقامة العدل في الأرض وتفريط الخلف.

٧٥-حرص السلف على الاتباع وتفريط الخلف.

٧٦-حرص السلف على الزهد في الدنيا وإفراط الخلف في الحرص عليها.

٧٧-حرص السلف على الصلاة وتفريط الخلف.

٧٨-حرص السلف على العمل والكسب الحلال وتفريط الخلف.

٧٩-حرص السلف على الغيرة على دينهم وأعراضهم وتفريط الخلف.

٨٠-حرص السلف على القرآن الكريم تلاوة وعملا وتفريط الخلف.

٨١-حرص السلف على المحاسبة وتفريط الخلف.

٨٢-حرص السلف على النصح لولاة الأمور وتفريط الخلف.

٨٣-حرص السلف على بر الوالدين وتفريط الخلف.

٨٤-حرص السلف على تقوية روابط الأخوة والحب في الله وتفريط الخلف.

٨٥-حرص السلف على طلب العلم وتعليمه وتفريط الخلف.

٨٦-حرص السلف على قيام الليل وتفريط الخلف.

القسم الثامن: التراجم والسير والتاريخ الإسلامي:

٨٧-أنبياء وعلماء وقضاة خلف القضبان.

٨٨-تذكرة النبلاء بفضائل سيناء.

٨٩-ريب المنون في ذكر من مات بالطاعون من الصحابة والعلماء والقضاة والخلفاء والأمراء والشعراء.

٩٠-صور من وصايا الأنبياء والخلفاء والعلماء والآباء والصحابة والتابعين عند موت.

٩١-فتح الكريم الوهاب بتراجم العلماء العزاب.

٩٢-صور مشرقة من الثبات على الإيمان للعبرة والعظة

٩٣-صور مشرقة من ثبات الصالحين ومواقفهم تاريخياً.

٩٤-مواقف حاسمة من تاريخ المرأة المسلمة.

٩٥-الفائزون بدعاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

القسم التاسع: التربية والأسرة والشباب والتربية الجنسية:

٩٦-أخطاؤنا في تربية الأبناء.

٩٧-أي بنيتي تلك هي وصيتي.

٩٨-التربية الجنسية في الإسلام.

٩٩-الدرر الغراء من وصايا الآباء للأبناء.

١٠٠-الفتاوى العصرية في المسائل الجنسية.

١٠١-صور مشرقة من حياة الأطفال.

القسم العاشر: القضايا المعاصرة، الأخلاق، والمجتمع:

١٠٢-أخطاء ومخالفات في الطرق والمواصلات رؤية شرعية

١٠٣-أسباب غلاء الأسعار وقلة البركة من منظور الشرع.

١٠٤-تذكرة النبلاء بمحبة الوطن عند الشعراء.

١٠٥الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود.

١٠٦-درر الحكم، والأمثال لرسائل الجوال.

١٠٧-فيض العزيز الغفار في بيان حقوق وأحكام الجار.

١٠٨-اللامبالاة في حياة الفرد والأسرة والمجتمع (المظاهر -الأسباب-الآثار-العلاج).

١٠٩مفاتيح النجاح العشرة.

١١٠-نبع الإيمان بخطب محبة وحقوق الأوطان.

١١١-القول الجلي في مخالفات شرعية يقع فيها رواد التواصل الاجتماعي.

القسم الحادي عشر النوازل، مآسي الأمة، وقضية فلسطين

١١٢-بيت المقدس بين وحشية الغاصبين ورحمة الفاتحين.

١١٣-مجازر في تاريخ الأمة الإسلامية (دماء وأشلاء .. عويل وبكاء).

١١٤-مجازر في تاريخ غزة.

١١٥-مجازر من تاريخ سوريا دماء وأشلاء.

١١٦-هزة غزة (هزة إيمان واعتقاد وعزة).

القسم الثاني عشر سلسلة كتب الموانع:

١١٧-موانع طلب العلم.

١١٨-موانع الهداية وأسبابها.

١١٩-موانع التوبة وأسبابها.

١٢٠-موانع الخشوف في الصلاة وأسبابه.

١٢١-موانع السعادة وأسبابها.

الفهرس

المقدمة.....٣

الباب الأول مفهوم السعادة في
الإسلام.....٦
الفصل الأول تعريف.....٧
تعريفات السعادة عند القدماء.....١٠
الفصل الثاني السعادة بين الوهم والحقيقة ١١
المبحث الأول هل السعادة هي اللذة؟ ١٣
المبحث الثاني هل الراحة هي السعادة؟ ١٨
الفصل الثالث أوهام السعادة.....٢١
المبحث الأول السعادة ليست في
المال.....٢١
المبحث الثاني: السعادة ليست في
المنصب.....٢٨
المبحث الثالث السعادة ليست في الشهرة.....٣٤
المبحث الرابع: السعادة ليست في كثرة
الأبناء.....٤١
الباب الثاني: موانع السعادة.....**٤٥**
الفصل الأول: موانع السعادة في العقيدة والقلب.....**٤٨**
أولا-الكفر.....٥٢
ثانيا: ضعف الإيمان بالله.....٥٩

ثالثا: الذنوب والمعاصي.....٦١

رابعا: اليأس والقنوط.....٦٧

خامسا: الحسد والغيرة.....٥٩

سادسا: الكبر.....٧٥

الفصل الثاني موانع السعادة في السلوك والأخلاق.....٧٨

أولا: الظلم.....٧٩

ثانيا عقوق الوالدين وقطيعة الرحم.....٨٨

ثالثا: الخوف من غير الله.....٩٣

رابعا: أصدقاء السوء طريق إلى الشقاء.....٩٨

خامسًا: سوء الظن بالناس.....١٠٣

سادسا: الخصام والنزاع.....١٠٩

سابعا: مقارنة الإنسان نفسه بغيره.....١١٢

الفصل الثالث موانع السعادة النفسية والدنيوية.....١١٤

أولا: الطمع والجشع.....١١٥

ثانيا: عدم الرضا بما قسم الله.....١٢٠

ثالثا: كثرة التفكير والهموم.....١٢٤

رابعا: الإسراف في الشهوات

والملذات.....١٢٦

خامسا: التعلق بالدنيا.....١٢٩

سادسا: الحقد والغل.....٤٠

سابعا: الفراغ و عدم استغلاله.....١٣٨

الباب الثالث: مفاتيح السعادة.....١٤٣

الفصل الأول: أسباب السعادة في العقيدة

والعبادة.....١٤٥٠

أولا: العلم والسعادة.....١٤٦

ثانيا: الإيمان بالله والعمل

الصالح.....١٥٤

ثالثا : طاعة الله تعالى وامتثال أمر.....١٦٧

رابعا: حسن الظن بالله ١٧٤

خامسا: التوكل على الله.....١٧٧

سادسا: الإكثار من ذكر الله تعالى.....١٨٤

الفصل الثاني: أسباب السعادة في القلب والنفس.....١٩٣

أولا: الرضا بما قسم وكتب الله..... ١٩٣

ثانيا: القناعة بما قسم الله.....٢٠٤

ثالثا: الشكر.....٢١١

رابعا: العفو والتسامح.....٢١٧

خامسا: سلامة الصدر.....٢٢٤

سادسا: حسن الظن بالناس.....٢٣٠

سابعا: التفاؤل وحسن الرجاء.....٢٤٠

ثامنا: النسيان.....٢٤٧

الفصل الثالث: أسباب السعادة في الحياة والعلاقات.....٢٥٨.

أولا: بر الوالدين.....٢٥٨

ثانيا صلة الرحم.....٢٦٣

ثالثا: الصحبة الصالحة.....٢٧١

رابعا: الإحسان إلى الناس.....٢٧٨

خامسا: استثمار الوقت.....٢٨٨

سادسا: التوازن بين حاجات الروح والجسد.....٢٩٤

الخاتمة.....٣٠٤

المراجع.....٣٠٥

الإنتاج العلمي للمؤلف.....٣١٣

الفهرس.....٣٢٠